BIRZEIT UNIVERSITY
Birzeit . Palestine

كية الآداب

الدراسات العليا

برنامج الدراسات العربية المعاصرة / تركيز شؤون سياسية عربية

أثر أحداث 11 سبتمبر على الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية

The Impact of 11th September Events on U.S.A Position Toward the Palestinian Question

إعداد

روز يعقوب هيلانة

إشراف

د. صالح عبد الجواد

أيار/2008

أثر أحداث 11 سبتمبر على الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية

The Impact of 11th September Events on U.S.A Position Toward the Palestinian Question

إعداد الطالبة

روز يعقوب هيلانة

تاريخ المناقشة 14/05/2008

لجنة المناقشة

الدكتور صالح عبد الجواد / رئيساً

الدكتور سميح شبيب/ عضواً **الدكتور عبد الكريم البرغوثي/ عضواً**

قُدِّمت هذه الرِّسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدِّراسات العربية المعاصرة من كلية الدِّراسات العليا في جامعة بيرزيت – فلسطين.

قائمة المحتويات

الإهداء	**I**
الشكر والتقدير	**II**
الملخص	**III**
Abstract	**V**
المقدِّمة	**VI**
الفصل الأول: الإطار النَّظري لتفسير أحداث 11 سبتمبر والدّوافع التي تقف وراءها	**1**
تمهيد	**2**
لمحة تاريخية لِمواقف الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينيّة	**2**
تحوُّلات السّياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية وقيام إسرائيل	**6**
إدارة الرَّئيس بيل كلينتون وتبعاتها على خلفه جورج بوش الابن تجاه القضية الفلسطينية	**17**
أسباب ودوافع وقوع أحداث 11 سبتمبر	**22**
خلاصة	**32**
الفصل الثاني: انعكاس التَّغير في الموقف الأمريكي بعد 11 سبتمبر على القضية الفلسطينية	**34**
تمهيد	**35**
ما بين المقاومة والإرهاب	**36**
التّحول في السِّياسة الأمريكية منذ 11 سبتمبر	**45**
الموقف المتغير من الانتفاضة والمقاومة والفصائل الفلسطينية	**56**
مبادرات الولايات المتحدة المطروحة لحلِّ القضية بعد 11 سبتمبر	**73**
الموقف الفلسطيني من المتغيرات الَّتي تبعت أحداث 11 سبتمبر	**81**
خلاصة	**93**
الفصل الثالث: تطور الصِّراع الفلسطيني – الإسرائيلي على الأرض بالتَّركيز على فترة ما بعد الاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي (أوسلو).	**95**
تمهيد	**96**
أسباب الانتفاضة وعسكرتها (الموقف الفلسطيني الدّاخلي من الانتفاضة)	**96**
الانتفاضة بين الفعل ورد الفعل	**105**

المبادرة العربية والاجتياح وتدمير السلطة	**107**
احتلال الولايات المتحدة للعراق وأثره على القضية الفلسطينية	**113**
الانتخابات الفلسطينية الرِّئاسيّة والتَّشريعيّة	**119**
– محمود عباس (أبو مازن) وحكومة حماس	**128**
– الحصار السِّياسي والمادي	**131**
غياب آريئيل شارون وصعود ايهود أولمرت مع حزب(كديما)	**133**
خلاصة	**137**
الخاتمة: النتائج والتوصيات	**139**
قائمة المصادر والمراجع	**153**

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات	**IV**
الإهداء	**VI**
الشكر والتقدير	**VII**
الملخص	**VIII**
Abstract	**X**
المقدِّمة	**XII**
الفصل الأول: الإطار النَّظري لتفسير أحداث 11 سبتمبر والدّوافع التي تقف وراءها	**1**
تمهيد	**2**
لمحة تاريخية لِمواقف الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينيّة	**2**
تحوُّلات السّياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية وقيام إسرائيل	**6**
إدارة الرَّئيس بيل كلينتون وتبعاتها على خلفه جورج بوش الابن تجاه القضية الفلسطينية	**17**
أسباب ودوافع وقوع أحداث 11 سبتمبر	**22**
خلاصة	**32**
الفصل الثاني: انعكاس التَّغير في الموقف الأمريكي بعد 11 سبتمبر على القضية الفلسطينية	**34**
تمهيد	**35**
ما بين المقاومة والإرهاب	**36**
التّحول في السِّياسة الأمريكية منذ 11 سبتمبر	**45**
الموقف المتغير من الانتفاضة والمقاومة والفصائل الفلسطينية	**56**
مبادرات الولايات المتحدة المطروحة لحلِّ القضية بعد 11 سبتمبر	**73**
الموقف الفلسطيني من المتغيرات الَّتي تبعت أحداث 11 سبتمبر	**81**
خلاصة	**93**
الفصل الثالث: تطور الصِّراع الفلسطيني – الإسرائيلي على الأرض بالتَّركيز على فترة ما بعد الاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي (أوسلو).	**95**
تمهيد	**96**
أسباب الانتفاضة وعسكرتها (الموقف الفلسطيني الدّاخلي من الانتفاضة)	**96**

الانتفاضة بين الفعل ورد الفعل	**105**
المبادرة العربية والاجتياح وتدمير السلطة	**107**
احتلال الولايات المتحدة للعراق وأثره على القضية الفلسطينية	**113**
الانتخابات الفلسطينية الرِّئاسيّة والتَّشريعيّة	**119**
– محمود عباس (أبو مازن) وحكومة حماس	**128**
– الحصار السِّياسي والمادي	**131**
غياب آريئيل شارون وصعود ايهود أولمرت مع حزب(كديما)	**133**
خلاصة	**137**
الخاتمة: النتائج والتوصيات	**139**
قائمة المصادر والمراجع	**153**

الإهداء

-

إلى كلِّ من عَشِق وطنه دون انتظارٍ ليأخذ حُبّاً من سِواه.

إلى الّذين هو أسمى وأحقُّ منّا جميعًا بالبقاء: "الشّهداء".

إلى مَن غَرَسَ فيَّ تَحدّي الحياة فأبَت إلا أنْ

تَقْطِفَهُ زَهْرَةً نَضِرَةً: أخي وحبيبي وقلبي النّابض: الشّهيد "سلام" لأنّك أنت "السّلام".

إليك أنتَ، وأنتَ وحدكَ يا سلام !!!

الشّكر والتقدير

كما تعلّمنا منذ نعومة أظفارنا أن نقول الشُّكر دوماً وبدايةً: **لله**، ثمَّ كلّ الشّكر والعرفان إلى كلِّ من كان مُشجِّعاً لي لمواصلة دروب العلم والمعرفة، بدءًا بوالديّ وأهلي عُمرِيَ الباقي، **وروح أخي الشّهيد "سلام" الّتي ترفرف عليَّ لتعطيني طاقة المسير في هذه الحياة، لِأكمل حلماً تمنّاه في الدّراسة ولم تعطه الدُّنيا فرصةً لذلك.**

إلى أساتذتي والدّكاترة الّذين أفاضوا مما يمتلكونه من عِلمِ هذه الحياة فينا لكي تتفجّر، ولو للحظةٍ طاقات طلبتهم بكلِّ صدقٍ ومشاعر مُخلصة، وأخص د. صالح عبد الجواد وليس مُجاملةً له كوني أقدِّم معه هذا العمل، ولكن لأنّي وجدتُ فيه الإنسان الصّادق

والصّريح في أدائه مع طلابه لما يبتغيه فيهم من خير. كما أخص بالشكر كلاً من الدكتور سميح شبيب والدكتور عبد الكريم البرغوثي لنصائحهما المثمرة.

كما أشكر كلَّ من ساندني في عملي هذا ومنهم: "أبو سلام" عبد الله سلامة، والزّميلين محمود وزهير، حيث كانوا كالأخوة في إبداء الدَّعم المفيد.

الملخص

تبرز أحداث 11 سبتمبر بالنسبة للقضية الفلسطينية من ناحية الأثر السّلبي الّـذي خلَّفتـه عليهـا بالدّرجة الأولى من بين مُجمل القضايا المتواجدة على المستوى العالمي، وذلك لما حملتـه تلـك الأحداث من تطورات غيّرت طبيعة التَّعامل مع القضية الفلسطينية.

فقد جاءت تطورات الأحداث في غير صالح الفلسطينيين وقضيتهم، وعكس مطلب الانتفاضة؛ ما انعكس سلباً في التّعامل مع القضية، في ظلِّ استفراد أمريكي بها لم يكُن من قبل.

وعزّز هذه المواقف الانفرادية تجاه القضية؛ الموقف العربي غير الفاعـل، الأمـر الّـذي نحـى بالقضية لأن تُعامل على أساس أنّها صراع فلسطيني – إسرائيلي من جهة، وأنّها قضية تتطلـب الإصلاح من الدّاخل (السّلطة والقائمين عليها) من جهة أُخرى، حيث شكَّل ذلك مطلباً هاماً ضمن الأجندة التي تُطرح، وأصبح هنالك التفاف على طبيعة الصِّراع. فبعد أن كـان يُعتـبر الاحتلال أساسه، أضحى الاعتبار السّائد لدى أطراف اللعبة السّياسيّة من الأمريكيين والإسـرائيليين، أنَّ الفلسطيني هو أساس المشكلة والمعاناة التي يُعانيها، نتيجة عدم تعاطيه كمـا روَّجـت حملاتهـم الإعلاميّة مع المتطلبات الأمريكية والإسرائيلية في إحلال السَّلام؛ لتخليه عن مطاردة المقـاومين ووقف أعمال المقاومة التي باتوا يعتبرونها "إرهاباً".

وظهر التّغير في التّعامل مع القضية الفلسطينية عندما تمّ تداولها بصورةٍ مُختزلـة علـى شـكل جولاتٍ تفاوضيةٍ ومساعٍ للتّهدئة، دون البحث عن حلٍّ جذريٍّ على أساس الأرض مقابل السّلام أو أُسس الشّرعية الدَّولية، مقابل حالةٍ من التّدمير الشّامل الممارس من قبل الاحتلال علـى الأرض، وما سبَّبه من تفاقم تردي الوضع الفلسطيني، الّذي بات يضيق ذرعًا جراء ذلك، ودفعت به للبحث عن طرقٍ يستنفذ من خلالها ما لديه من احتقانٍ وامتعاض، كتصعيد عمليات المقاومة أو الانخراط

وراء أيّ مبادرات؛ كهروبٍ من الوضع الذي يعانيه، وكتعبيرٍ عن رفض كـــلِّ أشـــكال الاحتلال وممارساته.

كلّ ذلك انعكس على الأمور ونحى بها منحًا لفَّ القضية بكاملها، حتى بات تركيـــز الفلســـطيني موجهٌ لتحقيق أدنى المطالب لاسيما مع تعقّد الحياة المعيشية واضمحلال توافر فرص العمل لديهم، بسبب المضايقات الإسرائيلية الممارسة. كما ازداد الأمر تعقيداً مع التّغير الّذي شهدته الخريطـــة السّياسيّة الفلسطينية، عَقِبَ فوز حركة حماس في الانتخابات التَّشريعية عام 2006، وما تبعها من تطوراتٍ داخلية وخارجية، وحتى على السّاحة الإسرائيلية نفسها زادت من تـــدهور الأوضـــاع، وتجاوزت القضية السياسية الأساس. رافق ذلك غياب الاهتمام العربي والعالمي بالقضية وبمعاناة الشّعب الفلسطيني، الذي غُيِّب العديد من قادته ونشطائه البارزين كالرَّئيس ياسر عرفات، ناهيـــك عن بروز قضايا مُنافسة على السّاحة الدوليّة أخذت مكانها، كالاحتلال الأمريكـــي للعـــراق عـــام 2003.

في هذا الإطار يحاول البحث الكشف عن طبيعة التَّجاهل الأمريكي للحقوق الفلسطينية منـــذ قيـــام إسرائيل، وخلفيات الدَّعم المتواصل لها من قبل الرُّؤساء الأمريكيين. كما أنّ الفـــترة الـــتي تلـــت أحداث 11 سبتمبر ستكون المسألة الأساس التي يطرحها البحث، وذلك لجسامة التّحول الذي طرأ على السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، لا سيما عند التَّعاطي معها سياسياً والحلول الـــتي بدأت تطرحها، ثمّ الانعطاف الّذي برز بشكل علني من ناحية المقاومة التي باتوا يعتبرونها إرهاباً يجب التَّصدي له، كون تلك الأحداث وقعت خلال اشتعال الانتفاضـــة علـــى الأرض؛ فأوجـــدت تحديات كبيرة لواشنطن وتل أبيب نتيجة ما حقَّقته خلال عام لها من تعاطي دولي إيجابي معها.

Abstract

Incidents of 11th September caused negative effects to the Palestinian issue in its from among the issues on the worldwide level; resulted from the incidents represented in unnatural developments in dealing with it.

The developments of the incidents came for not the favor of the Palestinians and their issue and reflected negatively on the demands of the Intifada; this incident has been reflected negatively in dealing with the issue under the umbrella of an American uniqueness in this issue.

The American uniqueness toward the issue has reinforced the Arab ineffective position which resulted in viewing the issue to be dealt as a Palestinian-Israeli conflict and viewed the issue as it needs reforming from inside (the Palestinian National Authority and the officials) from the other side .This has formed an important request within the raised agenda and this resulted in turnings and playfulness on the nature of the issue. While the Israeli occupation was the core of the conflict in the past ,the dominant belief for the actors of the issue from the Americans and the Israelis that the Palestinians are base of the problem and sufferings as Palestinians do not interact with the American Israeli requirements in creating peace accusing the Palestinians that they stopped fighting the Palestinian fighters and the Palestinian Authority does not do its best to stop the resistance deeds.

Change in dealing with the Palestinian issue upon shrinking it to negotiation rounds and endeavors for settlement without trying to find solutions as peace for land or according to international basis ,as the Israeli occupation has been practicing a case of comprehensive destruction practiced by the occupation on land which resulted in increasing the bad situation in Palestine which has been increasing daily which made the Palestinians to search for resistance operations or looking for any initiatives as an escape

from the situation which the Palestinians have been suffering from and as an expression for all forms of occupation and its practices.

All these incidents and events have been reflected on the issue and pushed the issue toward a bad situation and the Palestinians started searching for the most minimum requirements because of the complexity of living conditions and the reduction of job opportunities because of the Israeli measures and practices. The issue has increased in complexity because of the change in the Palestinian political map after Hamas movement winning in the Legislative elections in 2006 and what follows this from internal and external developments, even in the Israeli side itself the basic issue of conflict exceeded the basic political issue which is accompanied by the Arab and international concern in the Palestinian issue as well as the sufferings of the Palestinians whose its major leaders and eminent activists have been absented such as president Yasir Arafat .Furthermore, competitive issues have arisen in the international arena that replaced the Palestinian issue such as the American occupation in Iraq in 2003.

Within this frame, the research seeks to investigate the nature of the American ignorance for the Palestinian rights since the establishment of the state of Israel and the backgrounds of the continuous sustainable support from the American presidents .The period that followed 11th September will be the basic issue of the research because of the huge transfer caused by the American policy towards the Palestinian issue particularly upon dealing with it politically and the raised solution proposed by the American administration as well as the accusations to the Palestinian resistance as a terrorism should be faced as 11th September occurred during the Intifada in Palestine which embarrassed Washington and Televiv because of its fruitful products and dealing positively with it from other international sides.

مقدِّمة

كانت أحداث 11 سبتمبر 2001 بمثابةِ حدثٍ غير عاديّ، حيث وُصفت بالزِّلزال الّـــذي ضـــرب العالم بأسره، فأحدث فيه انقلابًا على مستوياتٍ شتى وخلَّف أثره فيها. واستدعى الكثيرين لإدانتها ورفض"الإرهاب" بشتى أشكاله، وبِمدِّ يد العون والمبايعة لأمريكا "لاجتثاث الإرهـــاب والـــواقفين وراءه فيما بات يُعرف بِ "الحرب الأمريكية على الإرهاب"، الّتي طال النَّصـــيب الأكـــبر فيهـــا العالمين العربي والإسلامي، فوُضِعت الدُّول العربيّة بشعوبها وثقافتها وديانتها في قفص الاتِّهـــام، وتحميلها المسؤولية عن تلك الأحداث. ونالت مؤسساته الخيرية وأنظمته التَّعليمية نصيبها من هذه الحملة الأمريكية على الإرهاب، ودشّنتها بشكلٍ أوسع باحتلال أفغانستان والإطاحة بنظام طالبان، ثمّ احتلال العراق والإطاحة بنظام صدام حسين. وهذا ألقى بظلاله الثَّقيلة على حركـــات التّحـــرر والمقاومة في العالم الّتي تتَّخذ من نهج الكفاح المسلح طريقاً لتحقيق أهدافها، فبدأت تُوصف منـــذ وقوع هذه الأحداث بأنّها "حركات إرهابيّة" لا حركات تحرر.

وفلسطين شعبًا وأرضًا وسلطةً وقضيةً؛ واحدةٌ ممّن تأثرت بهذه الأحداث، وأصـــبحت تئنُّ تحـــت ضغوط الولايات المتحدة وحلفائها بمن فيهم العالم العربي، حيـــث وُضـــعت بعـــض المنظمـــات الفلسطينيّة في قائمة المنظمات الإرهابية كحماس والجهاد الإسلامي والجبهـــة الشّـــعبية لتحريـــر فلسطين..الخ، وعُمل على تجفيف مواردها المالية، وشُرِّعَ اغتيال القادة الفلسطينيين. وكان أخطر ما واجهته المقاومة الفلسطينيّة التي تسعى لإزالة آخر احتلالٍ عسكريٍّ في عالم اليـــوم وأطـــوله (دون استثناء الاحتلال الأمريكي للعراق في العام 2003)، هو تصنيفها ضمن الأعمال "الإرهابية" الواجب التّصدي لها والقضاء عليها.

كانت الفترة التي سبقت انتفاضة الأقصى محتقنةً سياسيًّا فلسطينيًّا بسبب انهيار محادثات كامب ديفيد، التي حمَّل الجانب الأمريكي، ظلمًا، مسؤولية فشلها على الجانب الفلسطيني. وقد أدت سياسات إسرائيل إلى اندلاع أحداث مواجهةٍ عُرفت بانتفاضة الأقصى، كسياسات إسرائيل الاستيطانية، وامتناعها عن تنفيذ اتفاقيات قديمة (كالمرحلة الثّالثة من الانسحاب، والمعابر..الخ)، وغياب أيِّ أفقٍ لحلٍّ سياسيّ. أضف إلى ذلك حالة الفساد المالي والإداري الّتي سادت في أوساط أجهزة السلطة.

في ظلِّ ذلك جاءت أحداث 11 سبتمبر لترفع سقف الضّغوطات العلنية على الفلسطينيين وقيادتهم، كالتّدخل في الشّأن السّياسيّ الدّاخلي والمطالبة بمحاربة هذا الفساد، من حيث المطالبة باستحداث منصب رئيس الوزراء، ووصل الأمر إلى وصف رئيس السّلطة بأنّه "ليس شريك سلام". وباتت المناداة بتغيير القيادة الفلسطينية بأخرى تحظى برضى واشنطن وإسرائيل، هدفًا ومطلبًا أمريكيًّا وإسرائيليًّا علنيًّا ورئيسيًّا، لإعادة إنعاش "عملية السّلام" بين الطّرفين. فعُزِل الرَّئيس ياسر عرفات في مقر قيادته في رام الله حيث كابدَ مختلف الضُّغوط حتى وفاته الغامضة في (11/11/2004) لِتُطوى بموته حقبةٌ قاد فيها النّضال الوطني الفلسطينيّ مدة أربعة عقودٍ، ولتدخل السّاحة الفلسطينيّة مرحلةً جديدةً تضمنت انتخاب محمود عباس "أبو مازن" للرِّئاسة (9/1/2005)، ونجاح حركة حماس في الانتخابات التّشريعيّة (25/1/2006)، حيث تبلور منهجان سياسيّان متباينان في تولي إدارة الأمور والقضايا، وما رافق الحياة السِّياسية الفلسطينية خلال عام من فوز حماس من تطوراتٍ كالحصار المادي والسياسي، ومشاهد العنف الدّاخلي، وتوقيع اتِّفاق مكة في (

8/2/2007)، إلى إعلان حكومة الوحدة الفلسطينية في (17/3/2007). وما تلا ذلك من سيطرة حماس على قطاع غزَّة، وإعلان تشكيل حكومة طوارئ برئاسة سلام فيّاض في الضفّة.

وسيحاول هذا البحث متابعة الأوضاع الّتي تراكمت على السّاحة الفلسطينيّة منذ 11 سبتمبر 2001 بأبرز تداعياتها، لا سيما السياق الّذي باتت تُطرح فيه القضية الفلسطينيّة للحلِّ في ظلِّ التَّغيرات الحاصلة، وكيفيّة إدارة الصرَّاع من الولايات المتحدة ومطالبها المطروحة بناءً على ما يخدمُ إسرائيل.

فرضية البحث

تنطلق هذه الدِّراسة من فرضية مفادها أنَّه وعلى الرّغم من بُعد المكان الّذي وقعت فيه أحداث 11 سبتمبر عن فلسطين؛ ورغم أنَّ أحداً من المنفِّذين لم يكن فلسطينيّ الجنسية أو الهُويّة فإنَّ هذه الأحداث أدت إلى زيادة الضّغوط على الفلسطينيين قيادةً وشعبا، وأدت إلى تراجع محاولات تسوية القضية وخلق مجالاتٍ مُغايرة للحلِّ عمّا كان.

وعن هذه الفرضيّة يتفرَّع عدّةُ فرضياتٍ منها:

– عزَّزت هذه الأحداث من انحياز الولايات المتحدة القوّةَ العظمى المهيمنة على الصّعيد الدّولي للكيان الصّهيوني.

– وضعت هذه الأحداث صعوبات ومعوِّقات أمام المقاومة الفلسطينيّة لإقامة الدّولة الفلسطينيّة في مواجهة المخططات الصِّهيونية.

– شكّلت هذه الأحداث دافعاً جديداً لزيادة ضغط الولايات المتحدة على الفلسطينيين للقبول بالحـــلِّ بما يتناسب مع حاجات الكيان الصِّهيوني الأمنيّة.

– أثبت العرب ممثَّلين بنظامهم الرّسمي (الأنظمة وجامعة الدّول العربية) بعد أحداث 11 سبتمبر عدم مقدرتهم على مواجهة التّطورات والتّغيرات الّتي حدثت تجاه القضية.

إشكالية البحث

تكمن إشكالية هذه الدِّراسة في أنَّها تتناول الوضع الفلسطيني بعد أحداث 11 سبتمبر والتّغيـــرات التي حدثت وكيفيّة التَّعامل مع القضية الفلسطينية الَّتي مضى عقود من الزّمن دون إيجاد حلٍّ لها، وبما تركته تلك الأحداث من صدى حتى أصبح يُنظرُ للقضية كقضيَّةٍ فلسطينيةٍ داخليةٍ يكمن حلُّها فيمن يدير كفتها. وترسيخ ذلك من خلال إشغال الفلسطينيين بقضايا ثانوية غير القضية الأســـاس (دولة وحدود الخ..) مع محاولة استبعاد الطّرف الأساس للصِّراع وهو إسرائيل. وفـــي صـــورةٍ أُخرى اعتبار وجود "إسرائيل" طرفاً يقابل الفلسطينيّ الّذي يجب أن يتمَّ الحلُّ معه على أساس أمنه دون توفير الحدِّ الأدنى من حقوق هذا الشّعب، ما بات يعكس "حلاً" وربما إدارةً للقضية من جانبٍ واحد، وعلى حساب الطّرف "الأضعف" وهو الفلسطيني.

أهداف البحث

عززت أحداث 11 سبتمبر نظرة الولايات المتحدة للعلاقات الدّولية، ومبدأ التّعامل بين الشّـــعوب القائم على أرضية الهيمنة وفرض القوة. والقضية الفلسطينية واحدةٌ ممن أصابها قسطٌ بذلك، فمـــا طرأ من تغيراتٍ تحكمت في كيفية صياغة التّعامل مع القضية الفلسطينية وحـــتى مـــع المقاومـــة

وتحديدًا داخل الأراضي المحتلة سنة 1967 التي لم تكن يومًا مَوْضِعَ جدل، كما أصبحت عليه بعد تلك الأحداث، وطرق طرح حل القضية بعيدًا عن القرارات الدَّولية؛ أسدل تراكماته على الوضع بكلِّ مستوياته لا سيما السِّياسية والاقتصادية.

كما أنَّ المشهد الذي تراكم على القضية بعد تولي حركة حماس السلطات التَّشريعية كان حاضرًا في تطور الأحداث، وما تلا ذلك من انقسام السّاحة الفلسطينية بين طرفي فتح وحماس، حيث أنَّ الدِّراسات الّتي جاءت بعد تلك الأحداث عكست ما تتعرض له القضية من مخاطر، تدعو للمراجعة والتّأكيد على الحق الفلسطيني في النّضال لتحقيق مطالب الشعب الفلسطيني الوطنية بإقامة دولة، لا سيما مع الانشغال الفلسطيني بالشأن السياسي والتنازع على صلاحيات سلطوية غير متوفرة أصلاً على حساب المقاومة والمطالب الشَّرعية للشعب الفلسطيني، دون الاستفادة ممّا حققته المقاومة اللبنانية من صمود عسكري أمام إسرائيل في حرب تموز 2006، وتصاعد وتيرة المقاومة العراقية وحالة الارتباك لدى ساسة واشنطن جراء ذلك، وغيره من الملفات التي تبرز يومًا تلو الآخر لا سيما انقلاب حماس في قطاع غزّة.

وعليه فإنَّ البحث يهدف إلى عرض وتحليل مختلف التّغيرات التي أحاطت بالقضية الفلسطينية عَقِبَ تلك الأحداث إلى الوقت الّذي صعدت فيه حركة حماس لسدة السّلطة، والحصار والمقاطعة التي أحاطتها، ثمَّ سيطرتها على قطاع غزّة، وإسراع محمود عباس"أبو مازن" لإعلان حكومة طوارئ في الضّفة لقطع الطريق على أيِّ تطور، وما واكبَ القضية من تطوراتٍ دفعت بها لأدراج التّهاون، وطرح حلولٍ مجزأةٍ لا تستند للشّرعية الدّولية وقرارات مجلس الأمن، من خلال الوقوف على ردِّ الفعل الأمريكي تجاه القضية الفلسطينيّة بعد أحداث 11 سبتمبر، وتطور الصِّراع

بين الفلسطينيين والإسرائيليين على الأرض، والمتغيرات الّتي حدثت على الأرض العربيّة وانعكاسها على القضية الفلسطينية، لاسيما احتلال العراق وحرب لبنان الأخيرة.

وستركِّز الدِّراسة على الدّوافع الَّتي حذت بالقضية "للتّراجع" و"التّأرجح" بين كلٍّ هذه الأحداث بالانزلاق نحو ما يُطرح من حلولٍ بعيدةٍ عن القرارات الدّولية، وما إذا كان طرح الحلّ والتّسوية هما الطّريق التي تريدها الأطراف كافة، والنّهج الّذي اتّبعه الفلسطينيون للتّوفيق بين كافة المتغيرات مع تعاظم نضالهم وتصاعده.

أهمية البحث

يشكل الموضوع أهميةً لتناوله مرحلةً اعتبرت الأخطر على الشّعب الفلسطيني وقضيته منذ قيام إسرائيل، في ظلِّ معادلاتٍ دولية في غير صالحه، ووضعٍ عربيٍّ يكاد يكون استثنائيًّا من حيث الحالة التي وصل إليها الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية، وما كان من عزلةٍ شبه سياسيّة لم تشهده القضية من قبل؛ حيث باتت تُطرح عربيًّا من زاوية المساعدات الماديّة التي وصلت مرحلةً مُنعت فيها الأموال من الوصول للفلسطينيين في أعقاب فوز حماس، وانقسام فلسطيني داخلي لم تشهده السّاحة الفلسطينية من قبل.

وتأتي أهمية الدِّراسة من عدَّة اعتبارات في مقدِّمتها: ما يقوم به الاحتلال الإسرائيلي على الأرض الفلسطينيّة من قتلٍ وتدمير وتهويد، والطرق التي يتخذها الفلسطينيون لمواجهة ذلك حيث بلغت تضحياتهم وخسائرهم مرحلةً لم تُعهد من قبل، مع تغيرٍّ في المشهد الفلسطينيّ الدّاخلي.

ثمّ يأتي تناول التّعامل الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر، والدّعم اللامحدود لإسرائيل ولأعمالها القمعية من أجل تكييف الوقائع على الأرض لخدمة أهدافهم، كغطاءٍ مباشر من الإدارة الأمريكية لتسهيل فرض هيمنتها، وتفردها على القضية الفلسطينية. إضافة إلى محاولة التنظير بين الفينة والأخرى بسعيها لإيجاد حلّ "سّلمي" للقضية عبر مبادراتها المتعاقبة، دون ارتكازٍ لأيٍّ أسسٍ دولية في ذلك. وفي ضوء ذلك تنبع أهمية هذه الدِّراسة من كونها تعرض للقضية الفلسطينية باعتبارها المركز الذي تُخلِّف الأحداث والتَّغيرات العالمية تبِعاتها عليه، ومن أكثر القضايا الدُّولية تأثيراً بأيَّ مستجدات تحدث.

المنهج

إنَّ اعتماد المنهج التّاريخي التَّحليلي في الوقوف عند الأحداث الواقعة، وربطها مع بعضها بالتّفسير والتّسلسل والتّحليل وعرض الدَّوافع والأسباب، ووصف الظّواهر ورصد تطورها، وتحليلها هو أساس عمل البحث، الّذي يجعل من تتبع الأحداث التّاريخيّة مادةً مُعينةً على فهم وتفسير ما يحدث من ردود فعلٍ وسياسات بين كافة الأطر السياسية وتفاعلاتها، وبين كافة الأطراف التي تتفاعل مع الأحداث، وتُبلور مواقفها وردّات فعلها، وما ستتَّخذه من إجراءات نتيجة ذلك وانعكاساته على الواقع.

أسئلة البحث

تنطلق أسئلة البحث من عدَّة ركائز منها: أنَّ هذه الأحداث أثرت على القضية الفلسطينية حيث التّراجع في تسليط الضّوء عليها وذلك من خلال إيجاد مجالٍ آخر لطرح الحلّ، والأساس الّذي

ستستند عليه وبخاصةٍ من قبل واشنطن، باعتبار هذه الأحداث هي الفاصل في التّعامل مع القضية الفلسطينيّة. وسيتبع ذلك تساؤلاتٍ عدة:

– كيف أظهرت هذه الأحداث للولايات المتحدة أهمية القضية الفلسطينية واعتبارها استراتيجية هامة في المنطقة توظّفها لتنفيذ سياساتها ومصالحها بما يخدم كيان الصَّهاينة ؟

– لماذا اعتبرت تلك الأحداث منعطفاً هاماً في التّعاطي مع القضية والانطلاق من محاور جديدة للحلّ بعيداً عن الشّرعية والقرارات الدولية، تحت حجة"الواقع الجديد النّاشئ"؟

– كيف أطلقت هذه الأحداث يد إسرائيل لضرب الانتفاضة الدّائرة في فلسطين، والقضاء على أبرز رموزها بمختلف تنظيماتهم لتهيء لوضعٍ جديد؟

– كيف تمكَّنت إسرائيل بعد تلك الأحداث من استقطاب انتباه العالم وتعاطفه مستغلةً العمليات الاستشهادية لوصم المقاومة بالإرهاب؟

المحددات الزّمنية للبحث

تُركِّز هذه الدِّراسة زمنياً على الفترة التي تلت وقوع أحداث 11 سبتمبر 2001 وحتى العام 2007، وهي الفترة الزَّمنيّة التي تمَّت فيها خطوة عمل هذا البحث.

صعوبات البحث

إنَّ أبرز ما واجه هذا البحث أنَّ عنصر الزّمن الّذي مضى عقب تلك الأحداث ما زال يُظهر التّأثيرات والتّطورات المتعلِّقة بالقضية، والّتي تعكس المصير الّذي ستؤول إليه. فالأحداث التي

تلت شهدت تواترًا كبيرًا سواء على السّاحة الفلسطينية أو غيرها؛ سلبت بشكلٍ أو بآخر الأضـــواء عن القضية المركز، وأخذت الأولوية منها (كاحتلال العراق، وحرب لبنان، ثمَّ الوضع الـــدّاخلي بين الفلسطينيين الخ..). فرصد قضيةٍ لم تنته، وأحداث تفاعلاتها ما زالت ترتسم شـــكّل صـــعوبةً كبيرة لهذا البحث. وما تَتَبُّع تلك الأحداث والطّرق التي سأسلكها، إلا لمحاولة استشراف مصـــير القضية في ظلِّ تغيّرِ النّهج الفلسطينيّ الّذي لا يوازي حجم المتغيرات، مع ما برز من انقســـاماتٍ على السّاحة الفلسطينيّة الدّاخليّة، والإعلان عن تشكيل حكومة فلسطينيّة في الضّفّة مع تولي حركة حماس الوضع في غزّة، بعد الانقلاب الّذي قامت به.

مراجعة الأدبيات

تنبع أهمية مراجعة الدّراسات السّابقة حول الموضوع من كونها تشكِّل قاعدة معرفيـــة، وتعطـــي مدخلاً لتفسير الحالة التي تسيطر على الوضع الفلسطينيّ وفهمها في ظلِّ تأثير الأحـــداث عليـــه. فمنذ قيام الكيان الصّهيوني على أرض فلسطين وما حدث مـــن سياســـاتٍ لـــم تلـــبِ طموحـــات الفلسطينيين، بقيت وما زالت القضية الفلسطينيّة قائمة وتزداد تعقيدًا نظرًا للطّبيعة الّتي نشأت على أساسها والمتمثِّلة في هذا الكيان الصّهيونيّ الاحلاليّ.

والاطِّلاع على تلك الدّراسات يظهر الحيِّز الكبير الّذي شغلته القضية الفلسطينيّة بعد أحـــداث 11 سبتمبر، ويعطي إطلالةً عليها قبل تلك الأحداث أيضًا، كما يعكس تحوّلات القضية خلال مراحلها المختلفة، وسياسة الانحياز الّتي اتّبعتها الولايات المتحدة تجاه إسرائيل. فدراسة نعوم تشومســـكي "**الحادي عشر من أيلول**" الصّادرة سنة 2002، أظهرت أنَّ هذه الأحداث جاءت نتيجة تراكمـــات في سياسة الولايات المتحدة الّتي كانت تقف وراء غطرسة إسرائيل تجـــاه الشّـــعب الفلســـطيني

والعرب والمسلمين، والوقوف كمحامٍ لها في المحافل الدّولية التي كانت تدين ممارساته التّعسفية ضد الفلسطينيين، وإشهار حق النّقض الفيتو لإحباط أيِّ تحرك دولي يُساند القضية الفلسطينية، في كلِّ مرةٍ يصدر فيه قرار إدانة من مجلس الأمن. لكن أكثر ما ورد في هذه الدِّراسة من أقوالٍ لتشومسكي، ذكره العديد من الصُّور التي للولايات المتحدة دور فيها، وتعتبر كما يقول سببًا في صناعة الإرهاب وتشكيل المنظمات الإرهابية، وذلك من خلال دعم الاستبداد والطغيان في الكثير من الدول التي باتت تعتبرها اليوم واشنطن موطنًا للخلايا والمنظمات الإرهابية. ووجّه تشومسكي صرخةً للإنسانية لتقف في وجه أمريكا، حيث أنَّ مكافحة الإرهاب الّذي تقوده واشنطن، لا يتحقق بإحلال إرهابٍ مكان آخر، بعيدًا عمّا تنادي به من قيم الحرية والمساواة والديمقراطية التي بناها أسلافهم، وأخذت تتهدَّم على يديها اليوم نتيجة فقدان مصداقيتها لدى شعوب العالم. وأنَّ مكافحة الإرهاب تكون باجتثاثه من جذوره ومنع أسباب وقوعه، وتجفيف منابعه وأهمها الظّلم.

وفيما يخصّ الصِّراع العربي- الإسرائيلي، فقد اعتبر تشومسكي أحداث 11 سبتمبر ضربة مدمِّرة للفلسطينيين، فقد هلّلت لها إسرائيل، ووجدت فيها فرصةً سانحةً لسحق الفلسطينيين، والإفلات من أيِّ "عِقاب".

وتتقاطع هذه الدِّراسة مع الكثير من الدِّراسات التي صدرت بعد تلك الأحداث من الكثير من الباحثين العرب والأجانب كدراسة عبد الستار قاسم"**الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وانعكاسها على العرب**" سنة (2004)، ودراسة جلبير الأشقر"**صدام الهمجيات الإرهاب، الإرهاب المقابل والفوضى العالميّة قبل 11 أيلول وبعده**" سنة 2002. ودراسة أوليفيه روا "**أوهام 11 أيلول المناظرة الاستراتيجية في مواجهة الإرهاب**" سنة 2003، حيث بيَّنت أنَّ الولايات المتحدة كانت

تتجه لخدمة إسرائيل بعدم السماح للمساس بأمنها كونها تُشكِّل أهميةً استراتيجية لها. معتـــبرةً أنَّ ذلك لا يتمّ إلا من خلال ضمان الهدوء على السّاحة الفلسطينيّة، التي قُدِر لها أن تقع أحـــداث 11 سبتمبر وهي تشهد انتفاضةً مضى عليها عامٌ واحد فقط دون إنجازاتٍ حقيقية لها علـــى الأرض، رغم ما أحدثته من إرباكٍ لساسة واشنطن وتل أبيب الّذين حاولوا الخلاص منها بأيِّ وسيلة. ولـــم يتوانَ الاحتلال الإسرائيلي عن تنويع أساليبه الهمجية الّتي بلغت ذروة قمعه فيها اســـتخدام قـــوة عسكرية هائلة لمواجهة المتظاهرين الفلسطينيين، ما أثار الرأي العام العربي والعـــالمي عليهمـــا، وحرّك تظاهرات الغضب والاستنكار في شتى أنحاء العالم، مســـتنكرةً أعمـــاله الوحشـــية ضـــد الفلسطينيين.

ولكن أبرز ما تبع تصاعد التّضامن العربي والعالمي مع الفلسطينيين وأساء لنضالهم الدّائر؛ هـــو وقوع أحداث 11 سبتمبر التي رأت الولايات المتحدة فيها مجالاً أوسع للتّحرر من الكـــثير مـــن القيود التي كانت تردعها عن إشهار موقفها المنحاز لإسرائيل وما تقوم بـــه. كمـــا أكـــدت تلـــك الدِّراسات مدى التّشابك الّذي حدث في سياسة الولايات المتحدة وحكومة شارون، التي شبَّهت مـــا يجري على السّاحة الفلسطينية بما حصل في الولايات المتحدة، وأنّه "إرهاب" وســـتتعاونان معـــاً للقضاء عليه.

ولعل أهمية دراستي تشومسكي وروا تكمن في تأكيد أنّ هذه الأحـــداث أتـــاحت، فعلاً، المجـــال للولايات المتحدة، لتفرض نفسها كراعٍ وحيد في العالم، وكان ذلك عنـــدما تجـــاوزت الشّـــرعية الدّولية، واتّخذت قراراتٍ بعيدة عنها، كإعلانها الحرب على العراق بحجة "محاربـــة الإرهـــاب".

وأعطتها تلك الأحداث مجالاً لتفرض سياستها على العالم أجمع. وستكون القضية الفلسطينية ضمن المتأثرين بهذه السياسة.

أما نيكولاس غايات فقد أشار في دراسته "**قرنٌ أمريكي آخر**" الصادر سنة 2003 إلى خطورة تلك الأحداث لأنَّها أتاحت لواشنطن استخدام القوة العسكرية تحت مسمى الحرب الدِّفاعية أو الاستباقية؛ لإحباط أي محاولة تهدد واشنطن أو تهدد مصالحها في أيِّ بلدٍ كان، حيث نبّه إلى خطورة العودة إلى أسلوب الاستعمار، والاحتلال القائم على الاحتلال العسكريّ.

وكانت أبرز الدِّراسات الّتي ظهرت بعد أحداث 11 سبتمبر هي دراسة جون ميرشايمر وستيفن والت بالتَّوقيت الّذي صدرت فيه "**اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية**" (19/4/2006) حيث اعتُبرت من أهم الدِّراسات التي عُمِلت حول اللوبي الصَّهيوني ودوره في السياسة الخارجية الأمريكية؛ فقد أظهرت أنَّ الوضع الفلسطيني بعد أحداث 11 سبتمبر بقي في صُلب السّياسة الخارجية لأمريكا لصالح الانحياز للصَّهاينة، وذلك من باب التّأثير المتواصل لليهود في فرض هيمنتهم على القرار الأمريكي، ودعمهم لسياسة إسرائيل ضد الفلسطينيين. وأبرزت كيفية تمكّن اليهود، رغم نسبتهم القليلة في الولايات المتحدة الأمريكية، من استغلال القوانين الأمريكية كالقانون الصّادر عام 1946 الّذي كَفِلَ للجماعات المختلفة تشكيل مجموعة ضغط "لوبي" لتضمن مصالحها من خلال التّأثير أو الاتّصال المباشر بالسّلطتين التّشريعية والتّنفيذية، وبشكلٍ غير مباشر عبر تعبئة الرّأي العام لإبقاء الصُّورة الإيجابية لإسرائيل؛ من خلال حملةٍ إعلامية ودعائية متواصلة تروِّج لها في الغرب، وتمنع أيَّ انتقادٍ سلبي لها من الوصول إلى المنبر السِّياسي في العالم، خدمةً لمصالحهم وتقويةً لنفوذهم. فقد استطاعوا تحقيق سيطرةٍ ضاغطةٍ

على الكونغرس والحكومة الأمريكية، من خلال تأثير النّاخبين اليهود في انتخابات الرِّئاسة الأمريكية، الَّتي سيطرت قوة اللوبي هذه على قرارها.

وذكرت تلك الدِّراسة نوعًا آخر من "الأسلحة" التي تُعتبر على درجةٍ كبرى من التأثير حيث يستغلها اللوبي الصَّهيوني للضغط على الكونغرس الأمريكي وهي "تهمة اللاسامية" التي يطلقونها على كلِّ من يعترض سياساتهم وتصرفاتهم.

وأشارت دراسة ميرشايمر ووالت إلى الدّور الّذي يلعبه اللّوبي الصَّهيوني، في الحملات الانتخابية للحزبين الجمهوري والدّيمقراطي، عبر تبرعاتهم الكبيرة من خلال منظمة "آيباك" التي حصلت على المرتبة الثّانية بعد الاتّحاد الأمريكي للمتقاعدين من حيث الغنى. ويتمركز النّاخبون اليهود في ولاياتٍ تعتبر حاسمة في انتخابات الرِّئاسة الأمريكية ككاليفورنيا، وفلوريدا، وإلينوي، ونيويورك وبنسلفانيا.

وشكَّل هذا الدَّعم (سياسيًّا وعسكريًّا وماليًّا) هدفًا استراتيجيًّا لواشنطن في المنطقة، وليس وسيلةً استراتيجية تعتمدها في حال اختلال المصالح الأمريكية في المنطقة فقط، كما يرى جمال السّلطان في دراسته "**الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط 1979-2000**" الصّادر سنة 2000. وأكدته تلك الدِّراسة(دراسة ميرشايمر ووالت)، الّتي اعتبرت أنّ إسرائيل تريد من وراء مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، أن تكون قوة مهيمنة في المنطقة، وذلك من باب اعتبار أيَّ تهديدٍ لأمنها هو تهديد لأمن واشنطن.

وفي جانب مُغاير، تطرقت دراسة هنري كسنجر "**هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين**" الصادر سنة 2002 إلى الحديث عن الحل السّلمي للصراع

العربي – الإسرائيلي الّذي بدأ من أوسلو بلفت النظر إلى المبدأ الّذي انطلقت منه هـذه العمليـة، حيث أظهر العقبات التي كانت عليها لاحقًا؛ فما يسمّى بدبلوماسية السَّلام (والمقصود بها القضـايا الإقليمية والاستراتيجية من جانب، ومسائل الايدولوجيا والدين والشرعية أي اللاهوت من جهـة أخرى) التي لم تصل إلى هدفها نتيجة المفاهيم نفسها المتعلقة بعملية السَّلام، والتفاوت لـدى كـلٍّ طرف في نظرته للسلام، حيث فهمها كل طرف حسب نظرته للقضايا المتداولة، لا سيما ما يتعلق بالقضايا العالقة بالنسبة للقضية الفلسطينية التي شكلت عقبة غير قابلة للتَّذليل عنـدما تـمّ البـدء بمحاولة تناولها كالحدود واللاجئين. وما أعقب ذلك من انحسار لسقف المطالب المتداولة للطرح، والمقابل الّذي سيكون نتيجةً لذلك حيث أكدت الأحداث فشل هذه العملية لفشل الأسس التي قـامت عليها. ونوَّه لها بشكلٍ رئيسيٍّ عند محاولة إقامة عملية سلميّة مستقبلاً. ويؤكد كسنجر في جـانبٍ آخر من دراسته، على دور اللوبي الصّهيوني وقوّته في الضغط على القرار الأمريكي منذ نشأته الأولى. وذكر مثال استقالة ممثل واشنطن لدى الأمم المتحدة يونغ نتيجـة لقـائه ممثـل منظمـة التّحرير الفلسطينية زهدي التّرزي خلال حكم الرئيس كارتر.

واللافت أنّ بوش المُعاد انتخابه للرئاسة الأمريكية سنة 2004 بات يُصنِّف أفعال إسرائيل ضـد الفلسطينيين ضمن خانة محاربة الإرهاب، ما يؤكد على نهج السياسة الأمريكية المتطابقة مع نهج الاحتلال الإسرائيلي.

يُضاف إلى ذلك، أنّ دراسة جيمي كارتر" **فلسطين سلام لا تفرقة عنصرية**" الصّادر سنة 2007 اعتبر أنَّ الشرق الأوسط هو أكثر مناطق العالم حساسية، لذلك فهو مـن أهـم المنـاطق المليئة بالأحداث غير المتوقعة؛ كالمشكلات السِّياسية والعسكرية في التّاريخ الحديث، وتعتبر هذه التَّقلبات

تهديداً دائماً للسَّلام العالمي ومكاناً لتفريخ الإرهاب، وقضية الشَّرق الأوسط عدا عن كونها شديدة التَّعقيد فإنَّها ذات أصولٍ سياسيّة ودينية قديمة وحديثة.

ودعا كارتر الولايات المتحدة لتوفير تأييد قوي لمحادثات السَّلام إذا ما جرت بين الطرفين المتنازعين الفلسطيني والإسرائيلي، على أن تكون شريكاً موثوقاً به وعادلاً وذا رأيٍّ ثابت، وأن يكون دورها دور الوسيط الأمين المحايد، واستخدام نفوذها بطريقةٍ فعّالة ودون تحيّزٍ لتحقيق السّلام في الشَّرق الأوسط. كما نوَّه إلى أهمية وجود ممثلين للأمم المتحدة والاتّحاد الأوروبيّ وروسيا في أيِّ محادثاتٍ وبأيِّ شكلٍ.

إنَّ الدِّراسات السّابقة والّتي تناولت سياسة أمريكا تجاه القضية الفلسطينية بعد أحداث 11 سبتمبر، تؤكد أنَّ الملف الفلسطيني يبقى من أبرز ملفات سياسة واشنطن الخارجيّة، حتى وإن كان من باب إظهار الانحياز للطَّرف الصَّهيوني ومصالحه على حساب الطَّرف الفلسطيني، وبقاء سياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها واشنطن جرّاء تأثير اللوبي الصّهيوني على صانعي القرار في الولايات المتحدة الأمريكية. وتؤكد هذه الدِّراسات أنْ لا توجّه نحو تغييرٍ في السّياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية في الحقبة الزّمنية اللاحقة لجهة إقرار الحقِّ الفلسطينيّ ما لم تلتفت إلى مصالحها بشكلٍ أكثر وضوحاً، لا سيما أنّ التّطورات السياسية على السّاحة العربية ومنها الفلسطينية لا تحمل مدلولات إحداث التّغيير. ممّا سيكون مؤشرًا آخر ربما على استمرارية النَّهج نفسه، وأكثر سلبيةً للسِّياسة الأمريكيّة تجاه القضية الفلسطينيّة، مع التّعاظم المفرط للقوة العسكرية الأمريكية. فمصالح أمريكا أولاً ثمَّ المسيطرين على القرار السِّياسي فيها، تستند إلى قوة اللوبي الصَّهيوني بدرجةٍ أولى. لذلك كانت القضية الفلسطينيّة تأتي ضمن سياسة واشنطن الخارجية في

السِّياق الّذي يتعلق بضمان مصالحها والاطمئنان عليها، من خلال الحفاظ على هـــدوء المنطقـــة واستقرارها.

وهذا يعكس أهمية الدّور الأمريكي في القضية الفلسطينيّة بعد أحداث 11 سبتمبر، بما سيتبعها من تغيراتٍ تحتاج إلى المزيد من البحوث والدِّراسات، لا سيما مع الطّرح الأمريكي لمشروع الشّرق الأوسط الجديد، واحتلالها للعراق، وحرب لبنان الأخيرة والانقسام السِّياسي الفلسطينيّ.

التعريف بمصطلحات الدِّراسة

عبارة "أحداث 11 سبتمبر 2001" مصطلحٌ أصبح مُدرجاً على قائمة المفاهيم والأحاديث السِّياسيّة، له معنى يشير له ويوضِّح ولو نسبيًّا ما يحمله من مدلولات، اتَّسم تعريفها وارتبط بِالتّاريخ الّـــذي وقعت فيه، فأضحت كلّ الدّراسات والتّحليلات تشير لها من زوايا عدّة، جميعها ترتبـــط بالحـــدث نفسه وتشير له بالاسم، كما يظهر من عناوين المقالات والأبحاث والكتب وغيـــره، ناهيـــك عـــن المؤشرات السِّياسيّة التي تبلورت في أعقابها.

أحداث 11 سبتمبر 2001

هي الأحداث التي وقعت في 11 سبتمبر 2001، عندما قام تسعة عشر شخصًا من تنظيم القاعدة معظمهم سعوديون بخطف أربع طائرات مدنية من مطار لوغان في بوسطن، فاصطدمت اثنتـــان منها عمدًا بمركزي التّجارة العالمي في نيويورك، واللذين ينظر لهما كأحد أهم رمـــوز العولمـــة والرَّأسمالية الأمريكية ودمرتهما تدميرًا كاملاً.[1] وضربت الطّائرة الثالثة البنتاغون (مبنـــى وزارة

[1] حسن، علي ديب. (2002). أربع طائرات هزّت العالم. ط 1. بيروت: دار المنارة للطِّباعة والنَّشر والتوزيع الإعلامي. ص 9– 18 . وانظر: موقع ويكيبيديا::

ar.wikipedia.org/wiki.

الدّفاع) في واشنطن بما يمثّله من رمزٍ للهيمنة والعدوان ما أدى إلى تصدّع أحد أجزائه، في حين قامت الطّائرات الحربية الأمريكية بضرب الطّائرة الرّابعة وهي في الجوِّ فوق ولاية بنسلفانيا. وقد أسفرت الخسائر البشرية عن حوالي ثلاثة آلاف قتيل؛ وليس هنالك ما يشير إلى رقم محدد وثابت في الخسائر الماديّة.[2]

تعريف الإرهاب

أخذت كلمة الإرهاب في اللغة تعريفات محددة، ومثالها كلمة (terror) في قاموس أكسفورد: بمعنى رعب – ذعر– ارتياع. وكلمة (terrorize or terrorise): بمعنى يُرهب أو يبث الرّعب باستعمال التّهديد أو العنف ضد آخر. وكلمة (terrorism): بمعنى الإرهاب وهي استخدام العنف والحدث كالتّفجير أو القتل لتحقيق أغراض سياسية. وكلمة (terrorist): بمعنى إرهابي.[3] وجاءت لفظة إرهاب في المورد: إرهاب terrifying, terrorization, terror ، وكلمة إرهابي(صفة) terrorist(ic)، وإرهابي(اسم) terrorist. [4]وفي المعجم الوسيط جاءت تحت الجذر "رَهَبَ" بمعانٍ عدة منها: رهبَ رهبًا ورهبةً ورُهبًا: خافه. ويُقال رهب فُلان. وأرهب فلانًا: خوّفه وفزَّعه. وترهَّب فلانًا: توعَّده. واسترهبه: رهَّبه. والإرهابيون: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية.[5] فيما بقيت تعريفات الإرهاب الاصطلاحيّة الكثيرة والمتباينة تعكس الخلاف حوله، مع أنّ الكثير من الدِّراسات التي تناولت موضوع الإرهاب اعتبرته ظاهرةً صاحبت البشرية منذ أقدم العصور، حيث كان له دور في

---

2 زلوم، عبد الحي يحيى. (2003). إمبراطورية الشر الجديدة – الإرهاب الدولي ضد الإسلام. ط 1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص 418.

3 قاموس أكسفورد. (1999). ط 1. أكسفورد. ص 773.

4 البعلبكي، روحي . (أيلول/1997). المورد قاموس عربي– انجليزي. ط 10. بيروت: دار العلم للملايين.

5 المعجم الوسيط. ج 1و 2. اسطنبول: دار الدعوة. ص 376.

الصّراع بين الأفكار والمجموعات العرقيّة في التّاريخ، وعُرِفَ بأشكال مختلفة فتحدثت البرديات المصرية القديمة عن الصّراع الدّموي بين الكهنة وصور الذّعر والقسوة، كما ورد في القوانين اليونانية والرُّومانية ما يُجرِّم الإرهاب والجرائم السِّياسيّة المعادية للأمم.[6]

المقاومة

جاءت كلمة مقاومة في اللُّغة كما في قاموس أكسفورد تحت بند (Resist) بمعنى يقاوم أو يعارض. وكلمة (Resistance) بمعنى مقاومة أو معارضة.[7] فيما المقاومة كمصطلحٍ تعني استخدام كافة أشكال العمل المعّبر عن رفض الاحتلال أو وجود نظام فاسد مستبد، واستخدام العمليات المسلحة ضد العدو، والإضرار بقوّاته ومعداته، أو باتِّباع أشكالٍ أخرى من المقاومة كالمظاهرات ورفع الشِّعارات، أو المقاطعة بكافة أشكالها كرفض التَّعاون مع قوَّة الاحتلال أو الاستجابة لأوامرها (كحركة الزّعيم الهندي غاندي ضد الاحتلال البريطاني والمعروفة بالمقاومة السلمية أو البيضاء). والمقاومة في الأسلوب الشائع استخدامه عربياً هو اللجوء لأساليب الكفاح المسلح ضد قوة محتلة.[8] مع العلم أنّ هذا الأسلوب اشتهر عالميًّا كما في حرب فيتنام.

الحرب الاستباقية(Pre Ventive War)

---

6 شعيب، مختار.(2004). الإرهاب صناعة عالمية. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. ص 13. وانظر: "مفهوم الإرهاب". موسوعة الشباب السياسية. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 6/12/2006).

http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001//1/YOUN59.HTM . وانظر: موسوعة السياسة. ج 1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص 153-154. وانظر: الجديع، عبد الرحمن. "الإرهاب الدولي: المفهوم والبواعث في منطقة الشرق الأوسط". 8/2/2005.).

http://www.alriyadh.com/2005/02/08/article37124.html

7 قاموس أكسفورد، مصدر سبق ذكره، ص 632.

8 الحسيني، موسى. "المقاومة العراقية والإرهاب الأمريكي المضاد"، شبكة البصرة. 4/5/2004. (استرجعت بتاريخ:12/10/2004).

http://www.albasrah.net/maqalat_mukhtara/arabic/0504/hosayni1_040504.htm

الحرب الاستباقية كمصطلحٍ ظهر بشكلٍ واضح خلال الفترة التي تلت أحداث 11 سبتمبر وعلى لسان واشنطن تحديدًا، كمفهوم آخر من سلسلة المفاهيم التي برزت على قائمة قاموس الولايات المتحدة السّياسيّ بعد تلك الأحداث، لتخدم أهدافها ومطامعها السِّياسيّة والاقتصاديّة. فكان هذا المصطلح يُذكر بِ "الاستراتيجية الأمريكيّة" والمُعرَّفةِ بالجديدة، كونها لم تكن من قبل دارجة في سياسة واشنطن واستراتيجيتها كما بعد تلك الأحداث. فالرّئيس بوش الابن خلال حملته الانتخابية سنة 2000، وعد بتبني سياسة تعطي الأولوية للشَّأن الداخلي، ولكن بعد نجاحه تبنى سياسة خارجية تقوم على مبدأ الضربات الاستباقية ضد دول أجنبية، كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر هي القاعدة التي انطلق منها إلى هذا التَّحول. وبدأ الشيء الخطير الذي يسيطر على السياسة الخارجية الأميركية هو مبدأ بوش الجديد القائم على مقولة: هل أنت معنا أم مع الإرهابيين؟.[9]

ولتحقيق هدف البحث والإجابة عمّا طُرِحَ من تساؤلاتٍ تتَّخذ الدِّراسة الهيكلية التّالية والتي قُسمت إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، يتناول كلّ فصل جانبًا من الإجابة عن بعضٍ منها، وذلك على النّحو الآتي:

المقدمة: يتم فيها تناول المنهجيّة المتَّبعة وفرضية الدِّراسة، كما تتضمن الدِّراسات السّابقة ومصطلحات الدِّراسة: أحداث 11 سبتمبر والإرهاب والمقاومة والحرب الاستباقية.

الفصل الأوّل: يأتي كإطارٍ نظريّ لتفسير أحداث 11 سبتمبر، وتضمَّن عرضاً لسياسة الولايات المتحدة الأمريكيّة تجاه القضية الفلسطينيّة، منذ بداياته وحتى فترة رئاسة بوش الابن الثّانية. كما

---

9 سوروس، جورج. "نتائجها فاقت أحداث 11 سبتمبر، أيديولوجية بوش تتناقض مع مبادئ المجتمع المفتوح". 25/3/2004. (استرجعت بتاريخ: 8/6/2007).

www.arabgate.com

خُصِّص قسمٌ آخر من هذا الفصل للوقوف عند الأسباب التي يُعتقد أنّها وراء وقوع تلك الأحداث وكانت دافعاً لها.

الفصل الثّاني: جاء تحت عنوان (انعكاس التَّغير في الموقف الأمريكي بعد 11 سبتمبر على القضية الفلسطينيّة)، تمّ فيه وعبر أربعة أقسام استعراض ومعالجة طبيعة هذا التَّغير، وذلك من خلال التّطرق في القسم الأول لعرض موازنة تُظهر الفروقات البيِّنة بين المقاومة والإرهاب، ثمّ التّحول الّذي ظهر على السياسة الأمريكيّة بعد تلك الأحداث، وما لحق ذلك من انعكاس على القضية بعرض موقفها المتغير من الانتفاضة والمقاومة والفصائل الفلسطينيّة التي باتت تعتبرها جزءًا من "الإرهاب". إضافةً إلى المبادرات التي طرحتها خلال ذلك بُغية البحث عن حلٍّ للقضية لا سيما خريطة الطَّريق، وما تبع ذلك من المواقف الفلسطينيّة الّتي أثبتت عدم قدرتها على إدارة "المعركة الوطنية" في ظلِّ تلك المتغيِّرات.

الفصل الثّالث: حمل عنوان (تطور الصِّراع الفلسطيني – الإسرائيلي على الأرض بالتَّركيز على فترة ما بعد أوسلو)، وخاض هذا الفصل في تتبع أحداث انتفاضة الأقصى، والانتخابات الرِّئاسية، والانتخابات التّشريعية التي قلبت الميزان السّياسي في السّاحة الفلسطينية نتيجة فوز حماس بها، وعملية الاجتياح لأراضي السُّلطة الفلسطينية تزامناً مع مبادرة السَّلام العربية، الّتي أقرَّتها قمّة بيروت في آذار/2002، ثمّ ما كان من احتلال العراق الّذي أفقد القضية الفلسطينية داعماً عربيّاً هاماً وأساسياً لها، ثمّ تغيّر المشهد السِّياسي الإسرائيلي الّذي أعطى انطباعاً لمدى تأثيره على الصِّراع، بحكم ما يتمتع به آريئيل شارون من "ثِقل" سياسي وعسكري لدى الإسرائيليين، الذين اعتبروا غيابه ليس حدثاً عاديّاً.

الخاتمة والنتائج والتوصيات: ويتمّ فيه استعراض أبرز ما ورد في الدِّراسة، ناهيك عن الوقـــوف على أبرز النّتائج التي خلصت إليها، مع إيراد التَّوصيات في ذلك.

الفصل الأول

الإطار النَّظري لتفسير أحداث 11 سبتمبر والدّوافع التي تقف وراءها.

- تمهيد
- لمحة تاريخية لِمواقف الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينيّة.
- تحولات السّياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية وقيام إسرائيل.
- إدارة الرئيس بيل كلينتون وتبعاتها على خلفه (بوش الابن) تجاه القضية الفلسطينية.
- أسباب أحداث 11 سبتمبر ودوافع وقوعها.
- خلاصة.

تمهيد

كانت المنطقة العربية منذ مطلع القرن العشرين محوراً بارزاً لدى الأطراف الدُّولية المســـيطرة آنذاك ممثلةً ببريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا. وشكَّلت بؤرةً لمطامع تلك الدُّول وأهدافها، ولدولٍ أخرى لا سيما أنَّها كانت تحت الحكم العثماني.

وبرز الدَّور الأكبر لما تتمتع به من أهمية في أعقاب اكتشاف النِّفط، الّذي وجَّه الأنظـــار إليهـــا، حيث ظهر وجهٌ آخر من وجوه السيطرة على المنطقة تمثّل في الولايات المتحدة، الّـــتي دخلـــت المنطقة بهيمنة من شركات النِّفط وبمصالح تجارية، ثمَّ تطور ذلك من خلال الوجود اليهودي فـــي فلسطين، ووسائل الدَّعم التي أغدقتها عليه؛ بدءًا من الاعتراف بوعد بلفور إلى الاعتراف بدولـــة إسرائيل بعد قيامها على أرض فلسطين سنة 1948.

وكان ذلك كلّه، قد منح الولايات المتحدة مهمة توفير الدّعم الكامل سواء السياسي، أو العســـكري، أو المادي لإسرائيل باعتبارها حليفاً قويًّا لها في مواجهة خصومها، الأمر الّذي عكـــس انحيـــازاً أمريكيًّا شبه مُطلق لها خلال تلك العقود، وعلى حساب القضية الفلسطينية، الّـــتي اســـتطاعت أن تخلق حالةً من الاستياء على مرِّ أجيالٍ نتيجة مواقفها المعارضة للحقوق الفلسطينية طِـــوال تلـــك الفترة.

لمحة تاريخية لِمواقف الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية

شكَّلت أحداث 11 سبتمبر 2001 انقلاباً في العلاقات الدّوليّة وفرضت واقعًا جديدًا فـــي العـــالم، على الصَّعيد الأمريكي الدّاخلي، والسِّياسي الخارجي بما في ذلك المنظـــور الأمنـــي ومحاربـــة "الإرهاب". وكشفت عن تغيراتٍ كثيرة على المستوى الشعبي والإعلامي والحكـــومي للولايـــات المتحدة ممثلاً بالكونغرس والبيت الأبيض. كما وأحدثت تغيرات خارجية علـــى صـــعيد علاقـــة الولايات المتحدة بالعالم لجهة ترسيخ محاولاتها لتقوم بدور القطب الأوحد فيه، وتسويغ ذلك على الدُّول للقبول به سواء اقتناعاً أو خوفاً، للتَّعامل مع الواقع الجديد.

والدُّول العربية هي من الدُّول التي أريد لها الخضوع لإمرة الولايات المتحدة، وإخضاع قضاياها لتلك المتغيرات، ويقف على رأس هذه القضايا "القضية الفلسطينية". وإذا أخذنا بعين الاعتبار البعد التاريخي في نظرة الولايات المتحدة للمنطقة العربية بما تُشكِّله من أهميةٍ لها، لاتَّضح المخطط الأمريكي تجاه قضايا المنطقة، الهادف لخدمة مصالحها بالدّرجة الأولى.

فقد بنت الولايات المتحدة سياساتها في المنطقة العربية حتى إعلان الحرب العالمية الثّانية، على أساس حماية مصالحها التِّجارية، وكذلك حماية مصالح رعاياها، والابتعاد عن التَّورط السياسي في منطقةٍ كانت تعتبرها مناطق نفوذ أوروبي.[1] فتمثَّل الوجود الأمريكي في المنطقة منذ بدايات القرن التّاسع عشر بإرسال البعثات التَّبشيرية، حيث كانت نظرتهم لها نظرة دينيّة كونها تضم الأماكن المقدَّسة، ثمَّ تطوَّرت هذه العلاقة حتى شملت إقامة المشاريع التّعليميّة والخيريّة الإنسانية. لكنَّ اكتشاف النّفط في بداية القرن العشرين أحدث تحولاً في السِّياسة الأمريكية تجاه المنطقة، فارتبطت أهدافها به، وتنبَّه الأمريكيون إلى القيمة الاستراتيجيّة للمنطقة العربية فعملوا على إيجاد مصالح لهم في المنطقة على المدى البعيد، لتحقيق مصالح سياسية وتجارية واقتصادية، تكون مدخلاً لتدخلاتهم المستقبلية التي سَتُعْتَبَرُ مُبَرَّرة.[2] كما **أنّ** المتغيرات العالمية التي حدثت في مطلع القرن نفسه والمتمثلة في اندلاع الحرب العالمية الأولى، أدت بِالسِّياسة الأمريكية لتبني ملامح متباينة في تعاملها مع المنطقة، كالإعلان عن انتهاء سياسة الحياد أو العزلة التي أقرَّتها في

1- عباس، رؤوف وآخرون.(1982). السياسة الأمريكية والعرب. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص 35.

2 ويس، محمد. "تاريخ الصراع الدولي حول البترول في الشرق الأوسط". (استرجعت بتاريخ:31/5/2006). (نسخة الكترونية). http://www.taakhinews.org

أعقاب تلك الحرب، ورمت إلى عدم مشاركة الولايات المتحدة في أحداثها، والابتعاد عن مشـــاكل الدول الأوروبية.[3]

ونظراً لأنَّ مصالح الولايات المتحدة لم تكن في تلك الفترة بأهمية المصالح الأوروبية؛ الأمر الّذي لم يجعلها تدخل حلبة الصِّراع الدَّولي من أجل تقسيم الدّولة العثّمانية، ما منحها مكانة داخل هـــذه الدَّولة لتمارس إرسالياتها ونشاطاتها في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية، وتشـــجيع فكـــرة تحرير شعوب هذه المنطقة من الظُّلم والاستبداد وتُروِّج لها، وتشجيع فكرة استقلالهم عن الدَّولـــة العثمانية، وتحقيق الانفصال عنها، عَبْرَ رسائل التَّطمينات التي كانت تُغرق فيها الأعوان العرب، كما ورد في في تصريحات الرَّئيس ويلسون المتعلِّقة بحقِّ الشّعوب في تقريـــر المصـــير، حيـــث تركت أثراً في نفوس شعوب المنطقة الَّتي باتت تتطلع للخلاص من الحكم العثمـــاني.[4] غيـــر أنَّ المواقف الأمريكيّة تغيَّرت نتيجة الضَّغط الصّهيوني ومثال ذلك لجنة كنج كريـــن الَّـــتي أرســـلها ويلسون سنة 1919 والتي برزت أهميتها أنَّها سجَّلت مطالب العرب وأبدت تَفهّماً لها، حيث لـــم تلقَ أيَّ اهتمامٍ من الإدارة الأمريكيّة، ولم يُنشر تقريرها الّذي وُضِعَ في الأدراج إلا سنة 1922، واعترفت بوعد بلفور الصَّادر سنة 1917.[5]

وبقيَ الموقف الأمريكي في المنطقة منذ بداية القرن العشرين، وحتى الحرب العالمية الثانية يتميّز بِشكلٍ أساسي في الدِّفاع عن المصالح التِّجارية الأمريكية، ومصالح رعاياها والابتعـــاد عـــن أيِّ

---

3 قاسمية، السياسة الأمريكية والعرب، مصدر سبق ذكره، ص 19 –20.

4 المصدر السابق، ص 20 – 22. وانظر:"لجنة كنج كرين و برنادوت ووعد بلفور". (استرجعت بتاريخ:7/6/2006). (نسخة الكترونية). http://luq.maktoobblog.com

5 عبد الغفار، نبيل.(د. س). السياسية الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي (من حرب أكتوبر) 1973 وحتى اتفاقية كامب ديفيد. جامعة بيرزيت: مطابع الهيئة العامة – مركز الأبحاث للكتاب، ص 19– 35.

تدخلٍ سياسيّ. غير أنَّ زيادة الاكتشافات النفطية في المنطقة، أظهرت التَّدخل الأميركـــي بشـــكلٍ علنيٍّ ومنافسٍ لدور بريطانيا وفرنسا.[6]

فعند مطلع الحرب العالمية الثّانية، زَوَّدت الولايات المتحدة الحلفاء بالبترول، فنبّهها ذلك إلى عدم قدرتها على الاستمرار في إنتاج النِّفط بالمستوى نفسه لفترة ما بعد الحرب، عندها وجَّه الأمريكان أنظارهم نحو دول الخليج الغنيَّة به، واندفعت الحكومة الأمريكية بلا تردّدٍ فـــي منـــح القـــروض للحكومة السُّعودية بشكلٍ خاص إبّانَ الحرب، نتيجة ما واجهته حينها مـــن أزمـــةٍ ماليـــةٍ بســـبب الانخفاض الّذي حدث في الإنتاج البترولي السّعودي من ناحية، والنّقص في عدد الحجـــاج مـــن جراء الحرب من ناحية أخرى، وبذلك حصلت الشّركات الأمريكية ومنها تحديداً شركة "أرامكو"، على امتياز التَّنقيب عن البترول في السعودية منذ سنة 1939.[7]

وعليه، فإنَّ الدَّور الأمريكي تجاه المنطقة العربية برز خلال تلك الفـــترة مـــن نـــواحي المـــوارد النِّفطية، وإدراك الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربيّة، ثمّ بدء "المواجهة" بيـــن القـــوى القوميـــة العربية نتيجة تنامي دعم الولايات المتحدة للمطالب الصَّهيونية.[8]

تحولات السياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية

بانتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء على دول المحور، برزت معادلاتٌ جديـــدة علـــى المسرح الدُّولي، كان لها أثر مهم في تطور أحداث المنطقة، من أبرز هذه المتغيرات مـــا يتعلـــق

---

6 توقة، حسين."القيادة المركزية للولايات المتحدة الأمريكية". 20/2/2006. (استرجعت بتاريخ 14/3/2007). http://www.dialogueyemen.org/ar/modules.php?name=News&file=article&sid=1783

7 **عبد الغفار، مصدر سبق ذكره، ص 42- 45.**

8 قاسمية، مصدر سبق ذكره، ص 32 – 34.

منها بمسألة امتياز الحصول على الحق في التَّنقيب عن النّفط، وتَراجُع النّفوذ الأوروبي وخاصة البريطاني عن المنطقة العربية وتعاظم النفوذ الأمريكي اقتصادياً وعسكرياً فيها، فضلاً عن قيام دولة إسرائيل عام 1948 وبروز الصِّراع الفلسطيني – الإسرائيلي، وظهور حركة التّحرر الوطني العربية، ثمَّ ظهور الاتِّحاد السّوفييتي السّابق كقوة عظمى في مواجهة الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة، وتبنّي الولايات المتحدة على إثرها "سياسة الاحتواء"، الّتي ارتكزت على القيام بقوةٍ مضادة لما تقوم به القوة السوفييتية آنذاك، كالمساعدة الاقتصادية لدول المنطقة في حالة إقدام السّوفييت على عملٍ عسكري ما، حيث اتَّسع مفهوم الاستراتيجيّة هذه ليشمل التَّحديات الخارجية الإقليميّة والدّوليّة.[9]

إزاء هذه التَّطورات ازدادت أهمية النِّفط العربي، والأهمية الجيواستراتيجية للمنطقة، وعملت الولايات المتحدة على تطوير سياستها الخارجية، حيث سعت جاهدةً من أجل استغلال بعض الحكومات العربية وكسبها إلى جانبها، كون الكثير من الدّول العربية التي عانت من الاستعمار الفرنسي والإيطالي والانجليزي اتّجهت للتّحرر والاستقلال بعد تلك الحرب، مُستندةً في ذلك باللّعب على الجانب الدّيني لمحاربة الأيدلوجية الشّيوعيّة، باعتبارها النِّظام القائم على محاربة الأديان، لا باعتبارها النِّظام الاجتماعي الاقتصادي الجديد، كما عملت على إقامة الأحلاف العسكرية وتأييدها كتأييد حلف بغداد سنة 1955.[10]

---

9 «هارولد بنتر ونعوم تشومسكي وجون بلجر". ندوة:: رد بيير. ديسمبر/2005. (استرجعت بتاريخ:6/8/2006). (نسخة الكترونية).

http://www.kefaya.org/05znet/051210chomsky.htm

10 ثوقة، مصدر سبق ذكره. الموقع الالكتروني: http://www.dialogueyemen.org/ar/modules.php?name=News&file=article&sid

وازدادت الاهتمامات الأمريكية بالمنطقة أكثر من خلال تعدد المشاريع التي باتت تطرحها وتنوّعها. فقد قام الرّئيس ترومان بتاريخ (12/3/1947)، بالإعلان عن التزام الولايات المتحدة في الدِّفاع عن الدُّول الصَّديقة ضد الأخطار والتَّهديدات، ومساعدة الدّول الحرّة لتقرير مصيرها فيما عُرف بـ "مبدأ ترومان".[11] وتجدر الإشارة هنا أنَّ هذا الإعلان يُعتبر في صُلبِ سياسة الولايات المتحدة في حربها المعلنة على الإرهاب في الوقت الحالي وبعد وقوع أحداث 11 سبتمبر، وإن اختلفت الوسائل والمبررات.

كان الرَّئيس ترومان الّذي دعا لإدخال مئة ألف يهودي إلى فلسطين في العام 1944،[12]* بِتأثير دعمهم له في الانتخابات رغم نسبتهم التي لا تتجاوز ال 3% في الولايات المتحدة؛ أول رئيسٍ يعترف بإسرائيل عقب إعلان اليهود قيام دولتهم على أرض فلسطين سنة 1948. وشكَّل ذلك علامةً فارقة في الدور الأمريكي تجاه المنطقة العربية وفي فلسطين خاصةً؛ كونها من أولى الدّول التّي اعترفت بها وسعت لقبولها في الأمم المتحدة، وتكفَّلت بِحمايتها بالوسائل السِّياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة لإبعاد أيِّ تهديد يمسُّ أمنها ووجودها، حيث باتت مركزاً لواشنطن تُدير مصالحها منه.[13]

---

11 المسروجي، محمود. (2005). سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب. ص 280-281. وانظر: حوات، محمد. (2002). مفهوم الشرق أوسطية وتأثيرها على الأمن القومي العربي. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي. ص 51.

12 *كان الصهاينة قد عقدوا مؤتمرهم الصهيوني في فندق بلتيمور بتاريخ(11/5/1942) في نيويورك وطالبوا فيه بإدخال هذا العدد من اليهود إلى فلسطين، حيث اعتبر هذا المؤتمر نقطة انتقال التحالف المركزي للولايات المتحدة. يوسف حجازي، الإرهاب اليهودي – المنظمات الإرهابية . www.moqawama.org/_isrterrorism.php?filename=2005

13 العلاف، إبراهيم. "الشرق الأوسط .. الشرق الأوسط الجديد.. والشرق الأوسط الكبير: رؤية تاريخية سياسية". السنة الثالثة: العدد 27: آذار/ 2006، (نسخة الكترونية). http://www.ulum.nl/12.htm

لقد أضحت الولايات المتحدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مركز الثِّقل للنَّشاط الصَّهيوني بعد أن كانت بريطانيا مركز ذلك، وشكَّل مؤتمر بلتيمور سنة 1942 نقطة انتقال التحالف المركزي هذا، وباتت مهمة إسرائيل الحارس الأمين للمصالح الاستراتيجية للغرب في المنطقة.[14]

وتجسَّدت خطوة الولايات المتحدة في هذا الدّعم عندما أصدرت مع فرنسا وبريطانيا في (25/5/1950) "الإعلان الثُّلاثي"، الّذي تعهَّدت فيه بفرض قيودٍ على إرسال الأسلحة إلى المنطقة، وتوجيه تهديدٍ للعرب إذا أرادوا استعادة أراضيهم بالقوة، وتقديم ضماناتٍ أمنيةً لإسرائيل من خلال هذا الإعلان، كجزءٍ من الدّعم المالي والسِّياسي، حتى تمَّ في العام 1954 إبرام اتفاقيات التَّسلح الفرنسيّة – الإسرائيليّة،[15] وكان للفرنسيين الدَّور الأكبر في تزويد إسرائيل بالسِّلاح النَّووي عبر مفاعل ديمونا.[16]

وعلى الرَّغم من أنَّ إدارة الرَّئيس دوايت آيزنهاور قد تبنَّت سياسة "متوازنة" بالنسبة للصِّراع العربي – الإسرائيلي؛[17] فإنّه وقَّع في عام 1957 مشروعاً (يُعرف بمبدأ آيزنهاور) يقوم على "ملء الفراغ" في دول المنطقة، نتيجة انهيار نفوذ الدول الاستعمارية (فرنسا وبريطانيا)، يهدف إلى حشد أكبر عددٍ من دول المنطقة ضمن معسكر الولايات المتحدة، وتقديم المساعدات المالية والعسكرية لها،[18] ويسمح بموجبه استخدام القوة المسلحة لتأمين سلامة الدول المجاورة للولايات

---

14 العطار، مصدر سبق ذكره، ص 235– 236.

15 عبد الغفار، مصدر سبق ذكره، ص 64 – 67. وانظر: العلاف ، مصدر سبق ذكره.

16 وليد، خالد. "الأمن الإسرائيلي» في استراتيجيته الجديدة". (استرجعت بتاريخ: 27/4/2006). http://www.palestinesons.com/sub.php?id=1359

17 الموسوعة الحرة "ويكيبيديا". (استرجعت بتاريخ:18/3/2008). http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B1%D8%A8_1956

18 عبد الغفار، مصدر سبق ذكره، ص 72– 73.

المتحدة، ومنح المساعدات المالية والعسكرية للدُّول الصَّديقة.[19] وتبلور هذا المبدأ، بشكلٍ فعلي، في إعلان الكونغرس بعد العدوان الثلاثي من قِبل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام 1956، إثر إعلان الرَّئيس جمال عبد النّاصر تأميم قناة السويس، رغم رفضها لهذا العدوان وضغطها من أجل وقفه. ويُذكر أنَّ واشنطن رفضت في حينه دعم مصر مادياً؛ بحجة حماية الاستقلال السياسي لدول الشَّرق الأوسط والحؤول دون سيطرة الشيوعية، وعدم إثارة حساسية حلفاء واشنطن ومنافسيها بما فيهم السّوفييت.

وقد تطرق مبدأ آيزنهاور إلى القضية الفلسطينية باعتبارها قضية لاجئين وتحسين الوضع الاقتصادي لهم، دون الإشارة إلى حقِّهم في تقرير المصير. وتكمن أهمية هذا المبدأ في إشارته للتَّدخل الأمريكي في المنطقة.[20]

وقد كشفت سياسة خلفه جون كنيدي عام 1960 مدى مراعاة الولايات المتحدة للالتزامات التي وُقِّعت مع إسرائيل، ويظهر ذلك من قوله: "إنَّ أمريكا التزمت التزامات صريحة بحماية إسرائيل ومن مصلحتنا نحن الأمريكيين تنفيذ ما التزمنا به".[21] وقد تجلّى ذلك من خلال جعل إسرائيل حليفاً استراتيجياً لأمريكا، وبيعها المعدّات الحربية، واعتبار القضية الفلسطينية مجرد مشكلة لاجئين، وليست قضية شعب له حقّ تقرير المصير.

---

19 (استرجعت بتاريخ: 18/1/2007). الموقع الالكتروني:www.nuwab.gov.bh/InformationCenter/Show.aspx?ArticleId=146.

20 سليمان، ميخائيل.(1969). فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص 113 – 156.

21 أبو زيد، عدنان. "لكل رئيس أمريكي قصة مع العرب". (استرجعت بتاريخ 20/1/2007). http://www.elaph.com/ElaphWeb/Reports/2007/1/202603.htm

خَلِفَ الرئيس جونسون جون كندي فانتهج السّياسة ذاتها في التّعامل مع القضية وعدم الاهتمام بها، فَأثبتت حرب حزيران 1967 التي قضت على ما تبقى من فلسطين، وأجزاء من الأراضي العربية بوقوعها تحت الاحتلال الإسرائيلي؛ دعم جونسون ودفاعه اللافت عن إسرائيل، رغم انشغاله بحرب فيتنام، حيث كان ضمان أمن إسرائيل هَمُّه وشغله الشّاغل.[22]

أظهرت المراحل التّاريخية تلك أنَّ سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة، ارتكزت حتى عام 1970 على استراتيجية ما يسمى بمبدأ "العصا والجزرة" الذي يعني التوفيق بين التدخل العسكري والمساعدات الاقتصادية،[23] والاستمرار، في الوقت نفسه، بالبحث عن مكاسب تهدف إلى تحقيق السيطرة على منابع هامة كالنّفط، بغضِّ النظر عمّا رَوَّجته من قيم ومبادئ في الديمقراطية والحرية التي تغنّى الآخرون بها. فمنذ قيام إسرائيل وسياسة الولايات المتحدة تُوجَّه الدعم الأساسي لها "باعتبارها جزءًا من مصالحها".[24]

وعليه، فقد استمرت المواقف الأمريكية تجاه المنطقة في التبلور أكثر. فكشف الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عن المبادئ الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية بتاريخ (18/11/1970)،[25] وتتضمن مشاركة الولايات المتحدة في تطوير حلفائها وأصدقائها والدفاع عنهم، والمساعدة في إعداد الخطط والبرامج، وتنفيذ القرارات والدفاع عن الشعوب الحرة، وتقديم المساعدات لإحداث

---

22 المصدر السابق.

23 جابر، محمود. "الأمريكيون يدخلون السعودية!". (استرجعت بتاريخ: 26/4/2007). http://www.montadaalquran.com

24 أولبرايت، مادلين. " نعم لحراك الديمقراطية في العالم العربي.. ولكن..!". الشرق الأوسط. 13/3/ 2005 العدد: 9602. (استرجعت بتاريخ 20/1/2007). (نسخة الكترونية). www.aawsat.com

25 جابر، مصدر سبق ذكره.

التَّغيير بما يخدم مصالحها.[26] وقد وجدت هذه السياسة في المنطقة العربية أرضاً مناسبة لتطبيقها، لوجود عدد من الدُّول الرّاغبة في رؤية الولايات المتحدة تلعب دوراً أكبر في الحفاظ على أمـــن المنطقة واستقرارها، وكان لإسرائيل النَّصيب الأوفر من ذلك كونها الحليف الهام للولايات المتحدة بين هذه الدُّول.

فعندما وقعت حرب أُكتوبر 1973 أسهمت الولايات المتحدة بدورٍ فاعل فيها، عِبْر مـــدِّ إســـرائيل بِجسرٍ جويّ من الأسلحة، وصفه نيكسون قائلاً: "لقد أمرتُ ببدء جسرٍ جـــويٍّ ضـــخم للمعـــدات والمواد التي تُمكِّن إسرائيل من وقف تقدم سوريا ومصر على الجبهتين. التزامًا ببقاء "إســـرائيل" أعمق بكثير من مجرد تحالف رسمي، إنّه التزام معنوي لم يخلَّ به أيّ رئيس في الماضي وَسَيَفي به كُلُّ رئيسٍ في المستقبل بإخلاص".[27]

لم تمنع مواقف الرئيس ريتشارد نيسكون هذه محاولته، ووزير خارجيته هنري كسنجر وقف تلك الحرب، واعتبارها عاملاً هامًا في تغيير موقف الولايـــات المتحـــدة مـــن الصِّـــراع العربـــي-الإسرائيلي، وأنَّ مصلحة إسرائيل تتطلب تسوية سلمية للأراضي المحتلة سنة 1967،[28] لا سيما بعد إدراك أهمية النِّفط، كون العرب استخدموه كسلاحٍ في وجههم.

---

26 نيكسون، ريتشارد. "حول كتاب الرئيس الأسبق نيكسون 1999 نصر بلا حرب"، ترجمة: محمد عبد الحليم أبو غزالة، 27/9/2005.(نسخة الكترونية).

http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php

27 نيكسون، المصدر السابق نفسه. وانظر الكتاب نفسه: نيكسون، ريتشارد. (1988). حول كتاب الرئيس الأسبق نيكسون 1999 نصر بلا حرب، ترجمة: محمد عبد الحليم أبو غزالة. ط 1. القاهرة: مركز الأهرام المصرية للترجمة والنشر. ص 291.

28 المصدر السابق، ص 244.

مع كلِّ ذلك، فإنَّ الرّئيس ريتشارد نيكسون من خلال مبدأه*[29] كان أول رئيس أميركيٍّ يمنح إسرائيل، مساعداتٍ مالية ضخمة، رغم الدّعوة المباشرة التي أطلقها لإجراء مفاوضات من أجل السّلام بين العرب وإسرائيل. وكان قد أظهر دفاعاً عن إسرائيل باستخدامه الفيتو لا سيما بعد فضيحة ووترغيت، التي خلقت أزمة ثقةٍ أدت إلى استقالته.[30]

وفي أعقاب اجتياح القوات السوفييتية لأفغانستان بتاريخ (23/1/1980) أعلن الرّئيس الأمريكي جيمي كارتر عن سياسة الولايات المتحدة تجاه دول الخليج وهو ما يُعرف بِ "مبدأ كارتر"، أو الانتشار السَّريع وورد فيه: "ليكن معلوماً لدى الجميع أن موقف الولايات المتحدة واضح، وأن أي محاولةٍ لأيِّ قوةٍ أجنبيةٍ خارجيةٍ للحصول على مكاسب أو سيطرة في منطقة الخليج سَيُعْتَبَرُ اعتداءً مُوَجَّهاً ضد المصالح الحيوية للولايات المتحدة، وسوف نعمل على مواجهة مثل هذه المحاولات بكل الوسائل اللازمة بما فيها استخدام القوة المسلحة".[31] يُعتبر هذا التَّصريح نقطة تحول وانطلاق خطيرة، بالنسبة للمنطقة العربية، كونها المرة الأولى التي تُعلن فيها الولايات المتحدة عن استخدام القوة العسكرية لحماية مصالحها.[32] وبالتّالي شكَّلت مرحلة جيمي كارتر المرحلة الأخطر تجاه هذه المنطقة.

---

29 *المبدأ الذي أعلنه سنة 1969 "مبدأ نيكسون"، القائم على تركيز الأدوات الاقتصادية كبديل عن الأدوات العسكرية، كجزء من ضمان بقاء الولايات المتحدة في المنطقة، وجعل الدول الآسيوية أكثر اعتماداً على نفسها في حل نزاعاتها. نيكسون، مصدر سبق ذكره، ص 132 – 134.

30 الموسوعة الحرة. "ويكيبيديا". (استرجعت بتاريخ: 30/5/2007). ar.wikipedia.org/wiki. وانظر: نيكسون، (1998)، حول كتاب الرئيس الأسبق نيكسون 1999 نصر بلا حرب، مصدر سبق ذكره، ص 132 – 136.

31 توقة، مصدر سبق ذكره .وانظر: عبد الغفار، مصدر سبق ذكره، ص 240– 241.

32 المصدر السابق، ص 240– 241.

ورغم القرار الّذي تبناه جيمي كارتر؛ بقي يُسجَّل له موقفٌ هامٌ من القضية الفلسطينيّة يتمثَّل في تصويت الإدارة الأمريكيّة على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ (11/11/1976)، الّذي يُدين رفض إسرائيل السّماح لعودة النّازحين الفلسطينيين الّذين هُجِّروا من أراضيهم سنة 1967.[33] لكنَّ التناقض الأمريكي تجاه القضية يبقى الأبرز حيث استخدمت الولايات المتحدة في العام نفسه الفيتو ضد مشروع قرار يدعو إلى إقامة دولة فلسطينية جنبًا إلى جنب مع دولة إسرائيل.[34] وكان كارتر في تطرُّفه ضد الفلسطينيين ومناهضته لهم قد استقوى بِتوقيع اتِّفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل سنة 1978؛ والتي برزت أهميتها بزوال الرّادع العربي لجهة تكثيف سيطرة الإسرائيليين على الأراضي الفلسطينية.[35] ويُذكر أنَّ جيمي كارتر رفض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينيّة "آنذاك" حتى تعترف بالقرار 242 وحقِّ إسرائيل بالوجود، التزامًا منه بما قدمته الولايات المتحدة من تعهدات تجاه إسرائيل.[36] وكان في عام 1979 قد وقف أمام الكنيست الإسرائيلي وقال:"إننا نتقاسم التَّوراة". وعندما استقبل مناحيم بيغن في البيت الأبيض قال: "إن هذا الالتزام المطلق بدعم وتأييد إسرائيل ينطلقُ من التزامٍ دينيّ".[37]

---

33 المصدر نفسه، ص 241.

34 تشومسكي، نعوم. (2004). الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم. ترجمة: سامي الكعكي. بيروت: دار الكتاب العربي. ص 200.

35 المصدر السابق، ص 198.

36 جرجس، فواز. (1997). النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى دراسة في العلاقات العربية- العربية والعربية- الدولية. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص 36، وص 186-191. وانظر: سليمان، مصدر سبق ذكره، ص 158- 159. وانظر:.عبد الغفار، مصدر سبق ذكره، ص 251- 253.

37 العطار، موفق. (2005). حدود الصراع تاريخية وخفايا العربي واليهودي الصهيوني الإسرائيلي. ط 1. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع. ص 158 - 188.

وعليه، فإنَّ السياسة الأمريكيّة خلال تلك الفترة استطاعت أن تحافظ على الوضع الإقليمي للوطن العربي بأبعاده السياسية والاقتصاديّة، وتجميد أيِّ تجارب أو محاولاتٍ للوحدة العربية، مع الـــدَّفع بإسرائيل ليعترف بها العرب والوصول بها لتوقيع اتفاقية سلام بينها وبين مصر.[38]

انقضى عهد الرّئيس جيمي كارتر، ليخلفه الرّئيس رونالد ريغان الذي أَطلق بتاريخ (1/9/1982) مبادرة حملت اسمه لحل القضية الفلسطينية، تنصُّ على إقامة حكومة ذاتية للفلسطينيين،[39] هـــدفت بالأساس لإبعاد التّدخل السّوفييتي، وبالتّالي حصولها على قوة لوضعها حتى تبقى مُحافظةً علـــى مصالحها، لا سيما أنَّ إدارة ريغان كانت تعتبر منظمة التَّحرير الفلسطينية منظمة إرهابيـــة، وأنَّ حسم موضوع المشكلة الفلسطينية متروك لإسرائيل.[40] كما سارع إلـــى جعـــل إســـرائيل حليفـــاً استراتيجياً من خلال التَّوقيع على اتفاقية التَّعاون- التَّحالف الاستراتيجي معهـــا، ليكـــون دفـــاع الولايات المتحدة عنها جزءًا من الاتِّفاقات والمعاهدات.[41]

انقضى عهد رونالد ريغان وتولّى بوش الأب رئاسة الولايات المتحدة سنة 1989، وشهدت تلـــك الفترة تغيرات عدّة كإيجاد قواعد عسكرية لأمريكا كبيرة في منطقة الخليج العربي نتيجة التّحالف الّذي أقامته ضد العراق،[42] وانهيار الاتّحاد السّوفييتي، وانخراط العرب في "العملية السِّلميّة" فـــي مؤتمر مدريد للسَّلام بتاريخ (30/10/1991).

---

38 تنيرة، بكر وآخرون. السياسة الأمريكية والعرب، مصدر سبق ذكره، ص 94 – 95.

39 المصدر السابق، ص 59 – 60.

40 كريستين، كاثلين. "تصورات عن فلسطين: سياسة أمريكا الشرق أوسطية"، مجلة المستقبل العربي. شباط/2002. العدد 276. ص 84- 85.

41 منصور، كميل. (1996). الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل العروة الأوثق. ط 1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ص 182. وانظر: سارة، مصدر سبق ذكره، ص 42 . والسلطان، مصدر سبق ذكره، ص 235- 241 .

42 "جورج بوش الأب".(استرجعت بتاريخ: 15/5/2007). http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CCFB7A1E-4AE0-492F-BC05-4EAE17E1099B.htm

استغلت الولايات المتحدة تلك الظُّروف وطرحت حلاً للقضية الفلسطينية، حيث جاء طرحها أكثر مصداقيةً لدى الرّأي العام الّذي تجاوب معها، فبدأت بإرسال المبعوثين، (كوزير الخارجية الأمريكية جيمس بيكر آنذاك) من أجل التّرويج للسَّلام وحلِّ القضية الفلسطينية على أساس عملية سلام عربية- إسرائيلية من جهة، وفلسطينية- إسرائيلية من جهة أخرى، يكون الحضور العربي فيها غير فاعلٍ، بينما تكون الأمم المتحدة مراقباً، وقد ارتكزت رؤية الأمريكيين للسّلام بين الطَّرفين(الفلسطيني- الإسرائيلي) على رأيِّ الصَّهاينة.[43]

كان لسياسة الولايات المتحدة الدَّور الأكبر في دعم مكانة إسرائيل وتعزيزها لاسيما في الهيئات الدَّولية، على الرّغم من الدَّعم الّذي أبدته تجاه فكرة إنشاء هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية سنة 1945 لتعزيز فكرة حماية حقوق الإنسان، حيث كانت تعطِّل فاعلية قراراتها المتَّخذة بحقِّ الفلسطينيين نتيجة استخدامها حق النَّقض (الفيتو)، التي تجاوزت العشرات، وتغاضيها المستمر عن انتهاكات إسرائيل للحقوق الفلسطينية، انطلاقاً من تصورهم أنّ الإسرائيليين ضحايا، وَمُحبونَ للسّلام، بعكس الفلسطينيين الّذين يسعون لإبادة إسرائيل.[44]

وأثبتت مواقف الولايات المتحدة أنَّ نقطة الارتكاز في استراتيجيتها خلال مرحلة الصِّراع بين القطبين، تمركزت بشكلٍ أساسيّ نحو تدعيم قواعد إسرائيل العسكرية باعتبارها كما تقول كاثلين كريستين: "قلعة استراتيجية في وجه السوفييت".[45] كما أنَّ انتهاج سياسة إقامة معاهدات الدِّفاع

---

43 سليمان، مصدر سبق ذكره، ص 291- 297. وانظر: حوات، مصدر سبق ذكره، ص 62 – 65.

44 كريستين، مصدر سبق ذكره، ص 88- 89.

45 المصدر نفسه، ص 85.

المشتركة بينها وبين دول المنطقة، كانت لإتاحة الفرصة لقوّاتها للتَّدخل عند الأزمات،[46] لتفـــرض حضورها في رسم مجريات الأمور وتوجيهها خدمةً لها؛ حيث باتت المنطقة العربية منـــذ العـــام 1980 في وضع جديد؛ لأنَّ الولايات المتحدة وفرت القوة اللازمة للدفاع عن مصالحها من خلال تفوق إسرائيل العسكري.[47]

لقد باتت سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة تتبلور بأشكالٍ شتى تختلف فيها من قطرٍ إلى آخر، كون تلك السياسة محكومة بعوامل عدة منها داخلية: كجماعات المصالح والإعلام والرّأي العـــام، وعوامل ناتجة عن النِّظام الإقليمي في المنطقة. ناهيك عن أنَّ سياسة الولايات المتحـــدة ترســـمها مراكز عدة كالرئاسة والدفاع والخارجية والكونغرس، الأمر الذي يجعلها سياسة غير ثابتة.[48] فتلك العوامل تؤثر في صنع السياسة الأمريكية تجاه فلسطين أيضاً، فالولايـــات المتحـــدة كدولـــة عظمى، لها مصالح استراتيجية رئيسة في الشَّرق الأوسط وهي تدافع عنها باستمرار، ما يجعلهـــا تنتهج سياسة غير منصفة تجاه الفلسطينيين.

إضافة إلى ذلك، كان هنالك على مدى السنين نظرة سائدة مفادها أنَّ المصالح الأمريكية إنَّما تُخدَم على نحو أفضل من خلال إسرائيل، وهذا ما فسَّر سياسة أمريكا الدّاعمة لها، خصوصاً منذ عـــام 1976. كما أنَّ صُنّاع السياسة الأمريكية نظروا إلى الفلسطينيين وتعاملوا معهم في أطـــر غيـــر

46 القوزي، محمد. (2002). العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر. ط 1. بيروت: دار النهضة العربية. ص 194– 195.

47 توقة، مصدر سبق ذكره.

48 سعودي، هالة وآخرون.(2004). صناعة الكراهية في العلاقات العربية – الأمريكية. تحرير وتقديم: أحمد يوسف أحمد وممدوح حمزة. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص 70 – 71.

سياسية، واعتبروا قضيتهم مجرد "قضية لاجئين".[49] الأمر الّذي جعل المنطقة مركـــزًا للصّـــراع العالمي، وبؤرةً لسلسلةِ حروبٍ متواصلة لم تشهد منطقة أخرى من مناطق العالم قاطبةً شبيهاً لها.

إدارة الرئيس بيل كلينتون الأولى والثّانية وتبعاتها على خلفه بوش الابن تجاه القضية الفلسطينية:

شهدت السّياسة الأمريكيّة بعد تولي بيل كلينتون الرِّئاسة الأمريكية، سنة 1992 وإعـــادة انتخـــابه سنة 1996 تحولاً هاماً تجاه القضية الفلسطينية، حتى أنَّها اعتبرت المرحلة الفعلية التي تنـــاولت فيها الولايات المتحدة القضية الفلسطينية بصورةٍ جدية. فقد كان إسحاق رابين الّذي اغتيـــل عـــام 1995، قد أبلغ الرَّئيس بيل كلينتون أنَّ إسرائيل ومنظمة التَّحرير الفلسطينية توصلتا لسلام مـــن خلال محادثات سرية تمَّت في أوسلو، وأنّهما اتفقتا على الكثير من المبادئ، وما على الولايـــات المتحدة إلا العمل على مساعدة الطَّرفين في معالجة المسائل الصَّعبة، وتوفير المال لتمويل تكاليف الاتفاقية، لا سيما زيادة الأمن لإسرائيل والتَّنمية الاقتصادية، وإعادة توطين اللاجئيـــن وتعـــويض الفلسطينيين، حتى وُقعت الاتفاقية في البيت الأبيض بتاريخ (13/9/1993).[50]

ويُنسب إلى الرئيس بيل كلينتون النَّجاح في تحريك عملية السَّلام في الشَّرق الأوسط، كونها أتت بعد مرحلة تفاوضٍ لم تحقق أيًّا ممّا وعِدَ به الشَّعب الفلسطيني من حقوق خلال سبع سنوات مـــن مسيرة أوسلو.

---

49 أبو زايدة، حاتم. "الإدارة الأمريكية الجديدة والقضية الفلسطينية". 14/10/2005. (استرجعت بتاريخ 13/12/2005). http://www.alarabnews.com/alshaab/2005/14-10-2005/c2.htm

50 كلينتون، بيل. (2004). "مذكّرات كلينتون". تعريب: محمد توفيق البجيرمي ووليد شحادة. ط 1. بيروت: شركة الحوار الثقافي. 28/07/2005. (استرجعت بتاريخ: 12/6/2007). (نسخة الكترونية). http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=177&catid=178&artid=5966

تواصلت الجهود الأمريكية في عهد الرئيس بيل كلينتون حتى عقد اتفاق بين الرَّئيس ياسر عرفات وبنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي، أسفرت عن توقيع مذكرة واي ريفر سنة 1998 التي تنصُّ على أن يحصل الفلسطينيون على مزيد من الأرض وعلى مطار وميناء بحري، مقابل أن يحصل الإسرائيليون على تعاون أمني، واعتقال الفلسطينيين المطلوبين وحذف العبارات التي تدعو إلى تدمير إسرائيل من الميثاق الفلسطيني.[51]

ومن الجدير ذكره أنَّ الرئيس بيل كلينتون الّذي روَّج للعمل على نشر الدّيمقراطية وحقوق الإنسان؛ جعل الموقف الصهيوني مسيطرًا على مُجْمَل القرارات الأمريكيّة تجاه الصِّراع العربي-الإسرائيلي، بحيث لم يعد من الممكن إيجاد هامشٍ سياسيٍّ بسيط وإنْ شكلي بينهما؛ وتميَّزت إدارته بالحرص على تنسيق مواقفها مع الموقف الصِّهيونيّ في أيِّ اقتراحات، ما دفع بعض المعلقين للقول(ليس هناك سياسة أميركية في المنطقة وإنّما سياسة إسرائيلية تتبنّاها الخارجية الأميركية).[52] وفُسِّر هذا الوصف لسياسة واشنطن في تلك الفترة، بوجود عددٍ من المسؤولين المقربين من إسرائيل في صناعة السِّياسة الأمريكيّة، مثل نائب رئيس الأبحاث السّابق في "آيباك" ومؤسس معهد واشنطن لدراسات الشَّرق الأدنى مارتن إنديك المعروف بولائه لإسرائيل، ودينيس روس الّذي شغل منصب المنسق الأمريكي للشَّرق الأوسط، وآرون ميلر وهو ممَّن عاشوا في إسرائيل، وعلى رأسهم مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية في عهد كلينتون.[53]

---

51 غرايبة، إبراهيم. "قراءة في مذكرات وزيرة_ مذكرات مادلين أولبرايت". (استرجعت بتاريخ: 30/9/2007). http://alghad.dot.jo/index.php?news=41621

52 بشارة، مروان. (1993). بيل كلينتون الحملة الإدارة والسياسة الخارجية. ط 1. بيروت: دار الساقي. ص 69- 80. وانظر: شفيق، منير "الموقف الأميركي المستجد من القضية الفلسطينية". (استرجعت بتاريخ: 1/8/2007).(نسخة الكترونية). www.aljazeera.net/NR/exeres/7

53 ميرشايمر، جون ووالت، ستيفن." اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية". أبحاث استراتيجية أميركية(استرجعت بتاريخ: 19/4/2006). (نسخة الكترونية)..

http://www.asharqalarabi.org.uk/index.htm. وانظر: تشومسكي، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، مصدر سبق ذكره، ص 95.

بادر بيل كلينتون في فترة رئاسته الأخيرة (تموز/2000) إلى عقد قمة في كامب ديفيد بهدف كسر الجمود.[54] غير أنَّ هذه القمة اعتراها الفشل ولم تحرز أيَّ تقدّم على الأرض، رغم ما قيل عن إظهار باراك رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك "العرض الإسرائيلي السَّخي"، الّذي رفضه عرفات باعتباره مقترحاتٍ مقتطعة، أراد من خلالها باراك مساومة الرَّئيس عرفات على قضايا وطنية كالسِّيادة على الحرم القدسي الشّريف. وقد تسربت الأنباء عن فشلها وانغلاق أفق التّفاوض بين الطَّرفين الفلسطيني والإسرائيليّ، فتفجرت انتفاضة الأقصى. ثم عاد كلينتون لتكثيف هذه الجهود بتاريخ (17/10/2000) واستؤنفت المفاوضات ثانية، وأفضت إلى عقد اجتماعات رفيعة غير رسمية عقدت في طابا المصرية، بهدف تجديد المفاوضات، وإحياء فرص السَّلام، وإنهاء الانتفاضة، لكنَّها أيضاً فشلت.[55]

نخلص إلى أنَّ فترة بيل كلينتون الرِّئاسية قد انتهت دون التَّوصل إلى اتفاق نهائي للصِّراع العربي – الإسرائيلي، ودون تسوية القضايا العالقة. فقد أصرَّت إسرائيل على سيطرتها على الأراضي الفلسطينية، وانتهى مؤتمر كامب ديفيد بين الفلسطينيين والإسرائيليين دون التَّوصل إلى اتفاق، حيث اشتعلت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، التي أدخلت الأطراف كافة في معادلاتٍ جديدة.

لم تمضِ أشهرٍ قليلة على اندلاع الانتفاضة حتى أسفرت الانتخابات الأمريكية في العام 2000 عن فوز بوش الابن بالرِّئاسة. واعتبر ذلك تتويجاً منه لاستكمال ما لم يقم به والده في التِّسعينيّات من

---

54 بشارة، مروان. (1993). بيل كلينتون الحملة الإدارة والسياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص 69– 80. وانظر: شفيق، مصدر سبق ذكره.

55 أبو جابر، إبراهيم وآخرون. (2002). الانتفاضة تغير معدلات الصراع في المنطقة. ط 1. عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط. ص 157. وانظر: تشومسكي، (2004)، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، مصدر سبق ذكره، ص 203.

القرن الماضي، من حيث التّخلص من حكم الرئيس صدام حسين في العراق، وإنهـــاء الصِّـــراع العربي– الإسرائيلي، الَّذي فاق انحيازه لإسرائيل كلّ مواقف الإدارات الأمريكية السّابقة.

واجه الرئيس بوش الابن عندما تولى الحكم مجموعةً من المشاكل وضعته في مأزقٍ حاد ومنهـــا: (الانفلات الدولي ضد هيمنة واشنطن تحت لواء النِّظام العالميّ الجديد، ومطالبة دولٍ كبرى بجعله نظامًا متعدِّد القطبية، وموجة الاحتجاج ضد العولمة وسياساتها(جنوى)، وانسحاب الوفد الأمريكي مع الوفد الصّهيوني من مؤتمر ديربان في جنوب أفريقيا المناهض للعنصرية بعـد فشـلهما فـي تغيير بند إبعاد بحث علاقة الصهيونية بالعنصرية، والدولة العبرية بالأباراتيد..الخ)، إضافةً إلـــى الوضع المتصاعد بين الفلسطينيين والإسرائيليين على الأرض.

وقد ألقى الرئيس بوش الابن بسبب ذلك اللائمة على سابقه (بيل كلينتون) عنـــدما أخـــذ يـــواجه الأمور، واعتبر أن سبب ما عليه واشنطن من تحديات يكمن في تـــدخلات كلينتـــون الخارجيـــة وتخليه عن الإنجازات الَّتي حقَّقها الرئيس بوش الأب.[56] ويذكر أنَّ إدارة الرئيـــس بـــوش الابـــن أدارت ظهرها للصراع الفلسطيني– الإسرائيلي بفعل ضغط اللوبي الصَّهيوني، وجمود المســـاعي التي تتناول "الحل السِّلمي"، أو أي نية لتهدئة الأوضاع على الأرض.[57]

وقد وجد الرئيس بوش الابن أمام هذه التَّحديات، أنَّه بحاجةٍ ماسة إلى صياغة استراتيجية عالميـــة جديدة لاستعادة نظام القطب الواحد، تساعده على فرض أفكاره، وقد انتهج بوش الابـــن سياســـة

---

56 بشارة، مروان. (1993). بيل كلينتون الحملة الإدارة والسياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص 40– 68.

57 كيالي، مصدر سبق ذكره، ص 322 .

التجاهل لقضايا المنطقة لا سيما القضية الفلسطينية، حيث كانت الأراضي الفلسطينية تشهد انتفاضة الأقصى، التي أثارت أمامه الكثير من التَّحديات، كونه ظلَّ يدعم ساسة تل أبيب ويتجاهل مأساة الفلسطينيين.

ولكي يظهر الرئيس بوش الابن بموقف الرّجل الباحث عن الهدوء والاستقرار في المنطقة، انتهج سياسة وصفت بِ "المتقلِّبة" مع الدّول العربيّة حتى لا يُثير الوضع ويخلق التّوتر معها، كما مع مصر والسعودية فيما يتعلق بالملف الفلسطيني، حيث كان يُظهر حرصه على دعم الديمقراطية ونشرها في المنطقة، وسعيه كي تعيش شعوبها بأمن واستقرار، فيما كان هدفه ضمان حماية مصالح الولايات المتحدة.[58]

في ظلِّ حالةٍ من الإرباك والجمود وقعت أحداث 11 سبتمبر، لتحدث اهتزازاً في السِّياسة الأمريكية تجاه قضايا العالم، وتجاه القضية الفلسطينية: فانتفاضة الأقصى وُسِمت بالكثير من المفاهيم الأمريكية فخلطتها بالإرهاب، واعتبرت المقاومة إرهاباً، وقد جسَّد ذلك بوش الابن مع إعادة انتخابه عام 2004. لتصبح القضية الفلسطينية ضمن اهتمامات السِّياسة الأمريكية، ولكن ليتمَّ توظيفها بأخذها بعيداً عن الطُّروحات الدَّولية في التَّعامل وفرض فرص التَّسوية تجاه الصِّراع.

الأسباب التي اعتُبرت أنّها وراء وقوع أحداث 11 سبتمبر

58 المصدر السابق، ص 322 – 323.

سيطرت على واشنطن مواقف متباينة بعد أحداث 11 سبتمبر، حيث لم يكن هناك دلائل قاطعة تُبرهن على تورط ابن لادن في أحداث 11 سبتمبر، رغم أنَّ الولايات المتحدة أعلنت بعد قصف أفغانستان عن عثورها على شريط فيديو يُظهر تورط القاعدة وابن لادن في الأحداث.

وتظهرُ تلك المواقف المتباينة من تصريحات السّاسة الأمريكيين، فقد صرَّح رامسفيلد عن استعداد أمريكا لضرب العراق، بعد ساعاتٍ من وقوع الأحداث، باعتبارها بؤرة للإرهاب.

وتوالت خطابات المسؤولين الأمريكيين حيث لم يعطوا دلائل واضحة وقاطعة عن الجهة التي تقف خلف الأحداث.

ويُذكر هنا أنَّ الصّناديق السَّوداء للطّائرات اختفت آثارها. كما لم يتمّ الحديث عن دلائل للحدث، ومن تورَّط فيه، وانشغلت أمريكا بالحروب الّتي قامت بها كردّةِ فعلٍ على تلك التّفجيرات.

يبقى أن أُشير إلى أنَّ تصريحات ابن لادن المتواترة شكَّلت انطباعاً عاماً بأنَّه وتنظيم القاعدة هم من يقفون وراء الأحداث بغضِّ النَّظر عن المبررات الّتي ساقوها في ذلك. الأمر الّذي يجعل الاحتمالات المتعدِّدة والمفتوحة مطروحة لنتساءل عن أسباب وقوعها.

حاولت الكثير من الدِّراسات إعطاء تفسيرٍ لأسباب وقوع أحداث 11 سبتمبر في الولايات المتحدة وليس غيرها، وقدَّمت تحليلاتٍ عدّة متباينة، منها ما استند إلى تصريحات ابن لادن وما بثه من تسجيلاتٍ تُظهر مسؤوليته وتنظيم القاعدة عنها، ومنها من شكَ بوجود أيدٍ خارجية تقف وراء هذه الأحداث، لدرجة أنَّهم حمّلوا المسؤولية الكاملة عنها للمخابرات الأمريكية، كما في دراسة تيري

ميسان الفرنسي الّذي شكّك في قيام تنظيم القاعدة بهذا العمل، كون (ابن لادن) كان الحليف الودود لأمريكا في مواجهة السوفييت، فهل بات صديق الأمس عدو اليوم؟.[59]

وهناك مَن حمَّل المسؤولية لجهاز الاستخبارات الصَّهيوني بسبب غياب ثلاثة آلاف يهودي يعملون في مركزي التّجارة العالمي ذاك اليوم. وكذلك اعتبار ذلك العمل خدمةً للصّهاينة للحفاظ على وجودهم على أرض فلسطين وتنفيذ مخططاتهم في تهويدها.[60]

ليس من السّهل الوقوف على أسباب أحداث 11 سبتمبر بسبب الطَّريقة الّتي تمت بها، وحجمها ودقة إصابة الأهداف فيها. وإذا ما أخذنا مكانة (الولايات المتحدة) بعين الاعتبار كأقوى دولة في العالم ماليًّا وعسكريًّا واقتصاديًّا، وتمتلك من وسائل المراقبة والرّصد والتَّجسس الجويّة والأرضيّة ما يمكنها من معرفة ما يجري في العالم إضافة إلى جهاز مخابراتها (C.I.A) ازدادت الأمور تعقيداً وازدادت التَّساؤلات عن أسباب غموض الأدلة حول المرتكبين الفعليين لها.[61]

يمكن القول: تبدو الأسباب والخلفيات الكامنة وراء أحداث 11 سبتمبر حصيلة تراكمات من العوامل والظروف التاريخية، تعود جذورها إلى عقود طويلة ماضية. وسيظلُّ فهم هذا الحدث وأبعاده ودوافعه مبتوراً، وغير واضح المعالم والغايات لاسيما عند مقاربته مع تطور العلاقات الدولية وتحويلاتها والتعامل بين الدول الذي بدأ يسود في أعقاب ذلك على يد الولايات المتحدة.

وفي هذا السِّياق: يعرض فريد هاليداي، تصنيفاً لمجموعتين من الأسباب التي شكَّلت خلفية تاريخية أساسية تولدت عنها الظُّروف التي أنتجت ما يسميه "التطرف" الذي خطط لأحداث 11

---

59 ميسان، تيري. (2002). 11 أيلول 2001 الخديعة المرعبة "لم تصطدم أي طائرة بمبنى البنتاغون. ترجمة: سوزان قانان ومايا سلمان. ط 1. دمشق: دار كنعان للدراسات والنّشر.

60 المعلم، عادل وآخرون.(2002). قارعة سبتمبر. ط 1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ص 106– 109.

61 **قدوري، زبير. "سبتمبر : الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول". 6/11/2006. دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق. (استرجعت بتاريخ: 17/6/2006) (نسخة الكترونية).**

http://www.dialogueyemen.org/ar/modules.php?name=News&file=article&sid=3963

سبتمبر وتنفيذه. فأولها: تاريخية وعامة على مستوى شكل العلاقات الدولية، كحقبة الاستعمار الطويلة التي تركت تشوهات سياسية واجتماعية أوجدتها في بنية دول المنطقة، وجعلتها غارقة في وحل مشكلات عميقة، كالقضية الفلسطينية التي هي أبرز تلك المشكلات وأكثرها توليداً للعنف والتوتر. ومنها ما هو اجتماعي متعلق بالتّراتبية الداخلية للمجتمعات وتكريس نخب غنية حاكمة مدعومة من الخارج، مقابل شرائح فقيرة واسعة. ومنها ما هو ثقافي متعلق بمعنى الهوية، وأزمة الحداثة والتحديث ونمط العلاقة مع الغرب. حيث ظلت تلك المشكلات تزخر بكل التعبيرات الناقمة على الغرب والخارج، سواء أكانت تعبيرات قومية أم ماركسية أم دينية.[62]

وثانيها هو الجذور العميقة الممتدة لهذه الأحداث تحت بند ديناميكيات العولمة وتفاعلاتها، التي بدأت منذ العقدين الأخيرين من القرن الماضي، كفرض نظام اقتصادي يفتح الحدود أمام البضائع ويلغي الجمارك، ويقضي على الدولة القومية، ويقيم للعولمة نظاما قضائيا وإعلاميا وثقافيا متميزاً، وما تبع هذا التَّوجه من معارضة عالمية. فالعولمة وما أنتجته من توترات وعدم مساواة في توزيع الثِّمار والفوائد التي جاءت بها، كانت دافعًا لوقوع تلك الأحداث، بما أفرزته من تكريس لوضع الفئات الفقيرة والمظلومة، لتكون منبتاً لتوليد التطرف.[63]

كما أنَّ ديناميكية انهيار النِّظام الثنائي في العام 1991، والّذي ساد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وما عرف بحقبة الحرب الباردة الطويلة أيضاً، هيأ للولايات المتحدة تجيير تلك الأحداث لصالح استراتيجيتها العالمية التي بشرت بها وتحاول فرضها على العالم، لتضع الأمركة التي تحتكر المال والقوة على عرش التحكم العالمي، ما يؤكد أنَّ هذا النِّظام العالمي كان يحتاج إلى

---

62 هاليداي، فريد. (2001). ساعتان هزّتا العالم: الحادي عشر من سبتمبر 2001، الأسباب والنتائج. ط 1. بيروت: المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر. ص 23 – 39.

63 المصدر السابق، ص 24 – 35.

حدث غير عادي كي تستغله الولايات المتحدة لتفرض نفسها على العالم، عبر أجنداتٍ خاصة بها، لما حققته من توافق وإجماعٍ دولي بالتَّعاطف معها.[64]

فقد ارتأت واشنطن أن يكون النَّظام العالميّ الجديد خاضعاً لحاجات الاقتصاد الأمريكي ومتطلباته وقابلاً للتَّحكم والضَّبط السِّياسي الأمريكي قدر المستطاع. وهنا يأتي الدَّور المنوط بدول جنـــوب شرق آسيا القاضي بتزويد واشنطن بالمواد الأولية والموارد، لتكون لها السيطرة المطلقـــة علـــى منطقة الشَّرق الأوسط.[65]

وقد تعزَّزت رؤية الولايات المتحدة بفرض نفسها على العالم، عندما بدأت التَّحولات المتســـارعة، وردة الفعل التي أطلقتها في أعقاب تلك الأحداث، حتى بدا أن أحداث 11 سبتمبر كافية لكي تكون دافعًا لمخططات واشنطن للبروز بعلانيةٍ أكثر، ولتطول تفاعلاتها دولاً شتى. وأنّ تلك الأحداث لم تكن العامل المباشر في "تفجير" أو إيجاد المخططات الأمريكية أصلاً. فالولايات المتحـــدة عقـــب نهاية الحرب الباردة، تعاملت مع الوضع العالميّ القائم بسلوكٍ إمبراطوريٍّ قائم علـــى التوســـع، واحتكار عناصر القوة والنفوذ، وذلك نتيجة الفراغ الذي نجم عن انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، وعدم قناعة واشنطن ببناء تعاونٍ مع شركائها يقوم على التنازل المادي والمعنوي.[66]

من هنا جاء اعتبار أحداث 11 سبتمبر كما يرى هاليداي حدثًا معولمًا (globalized)، فهي تمثِّل علامة على العولمة والاتكال المتبادل، بالقدر نفسه الذي يمثله انفجار النّمو الاقتصادي. فـــالتغيير العالمي مدفوعاً بإنجازات العلم، والتغيير التكنولوجي هَيَأَ العولمة لتكون ممكنة، فيما يبقى الـــذين

---

64 اللواج، عزالدين . "عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 : الإشكاليات الفكرية والاستراتيجية". 3/10/2006. (استرجعت بتاريخ: 12/12/2006).(نسخة الكترونية). http://www.akhbar-libya.com

65 تشومسكي، (2004)، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، مصدر سبق ذكره، ص 176- 178.

66 غليون، برهان. "العرب وعالم ما بعد 11 سبتمبر". 21/5/2005. (استرجعت بتاريخ: 29/6/2005). www.fikr.com/cgi-bin/_authbooks.cgi?id=449 ·

ينفذونها وهم الساسة ورأس المال، ورجال الأعمال. وعليه فإنَّ تلك الأحداث ستكون لها تداعيات تتجاوز حدود الفعل القريبة، وتأثيرات تتجاوز الأطراف المباشرة المنخرطة فيه، لتسير في إعادة تشكيل التحالفات، والأوضاع العالمية بشكل أو بآخر.[67]

كلُّ ذلك يجعل من عملية ربط أحداث 11 سبتمبر مع تطوراتٍ سابقة أمراً مقبولاً إذا اتَّضح أنَّ هنالك ترابطاً متسلسلاً مع ما يجري. فهذا التَّرابط يمتد إلى العام 1993، حين أعلن بريماكوف وزير الخارجية الرُّوسي، أنّه بعد سقوط الاتحاد السوفييتي يجب العمل على إنشاء تحالف استراتيجي بين روسيا والصين والهند، للقضاء على التغلغل الأمريكي في آسيا؛ ما دفع واشنطن للعمل من أجل السيطرة على قلب مثلث هذا التّحالف عبرَ أفغانستان، لتسهيل الوصول إلى الثروة النفطية في بحر قزوين وآسيا الوسطى وأفغانستان، ولتكون قريبة من الصين وروسيا أعدائها المنافسين.[68]

ويمتد هذا التَّرابط إلى السيطرة على العراق الذي يملك أكبر مخزون نفطي في العالم، حيث يعتبر احتلال القوات الأمريكية للعراق في العام 2003، خطوةً أخرى على طريق استكمال مخطط واشنطن في السيطرة والتحكم، الأمر الذي سيقودها إلى "احتواء أو "القضاء" على الحركات الإسلامية المتطرفة أو الأصولية المعاصرة، ثم تحجيم المد الإسلامي بعد إيجاد قواعد عسكرية لها في منطقة الصين والهند وباكستان القريبة من إيران وكوريا الشّمالية، اللتين اعتبرتهما من قوى الشر.[69] ستكون هذه الخطوات مساعدة لأمريكا لتصل في نهاية المطاف بقرارها لمرحلة السيطرة

---

67 للمزيد: راجع هاليداي، مصدر سابق.

68 المعلم، قارعة سبتمبر، مصدر سبق ذكره، ص 110- 111.

69 حماد، سهيلة. (2003). الأكذوبة الأمريكية الكبرى: من وراء أحداث 11 سبتمبر. ط 1. عمّان: دار الإعلام للنشر والتوزيع. ص 20 – 21.

وتحريك الأمور في المنطقة، من خلال إثارة المزيد من الأزمات والنّعرات، بهدف التّغاضي عن مخططاتها الكبرى تجاه المنطقة، وبالتّالي انشغال كلّ قطرٍ من أقطار المنطقة بقضايا ثانوية داخلية. وستظهر عظمة مخططات الولايات المتحدة عجز الدول الأوروبية وغير الأوروبية لا سيما العربية عن مواجهتها، وستسهِّل فكرة القيادة العالمية أو السيطرة العالمية لأمريكا، حيث كانت حرب الخليج الثانية (1991) إحدى أولى تجلياتها لملء الفراغ الذي أحدثه غياب الاتحاد السوفيتي السابق وقد انعكس على سياسة الولايات المتحدة الإجماع الدولي (المظلّة الدّولية) الذي حشدته إبانَ الحرب على ما سمّيَ بتحرير الكويت بحيث أصبح يشاركها في كلِّ مخططاتها، ما شجَّعها وحفّزها على الانعتاق ممّا يُسمّى "القيود" الدولية والأوروبية في مخططاتها.[70] ناهيك عن التمادي في فرض التجزئة على الدُّول، لترسيخ هيمنتها كما صدر في أيلول 2007 من تأييد الكونغرس الأمريكي لتقسيم العراق إلى ثلاث مناطق، بحجة إنهاء العنف فيه.

رأت الولايات المتحدة أنَّ الحفاظ على تفوّقها يعني "بقاء فرض هيمنتها" على العالم، واتخاذ مواقف خاصة مرتبطة بمصالحها، ولو كانت على حساب القرارات، والقوانين، والشرائع الدولية، في محاولة منها لتجنب استنزاف القوة التقنية، والعسكرية والاقتصادية لها في مشكلات، وأزمات داخلية، وهذا ما دفعها لاستغلال تلك الأحداث وبلورة "مفهوم مكافحة الإرهاب" – الّذي سيرد ذكره لاحقاً– في القانون الأمريكي. فمن وجهة نظر الولايات المتحدة "أنَّ من يملك التفوق العلمي والبحث، يحق له السيطرة والسيادة على العالم".

70 المصدر السابق، ص 20– 22.

نخلص إلى أنَّ من المستحيل تفسير الحدث باعتباره وليد لحظته، بل هناك مجموعةً أُخرى من المحدِّدات، والعوامل هيأت لوقوعه. وهذا يُعيد إلى الأذهان ما روّجه كلٌّ من هنتنغتون وفوكوياما لما يسمى بصراع الحضارات ونهاية العالم، وذلك عقب انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وتفككه في أوائل التِّسعينيات من القرن الماضي، والتّرويج بأنَّ الإسلام هو الخطر القادم على الغرب بعد الشيوعيّة، وعليه يجب أن يتمَّ فرض فكرٍ جديد بدلاً منه، يتضمن زرع بذور كراهية الإسلام على الغرب كافة، ذلك أنَّه لو كانت حادثة طائرات نيويورك وواشنطن على أرض أخرى لما جُعِلت قضية دول العالم.[71]

فقد عاد المفكر الأمريكي صموئيل هنتنغتون بعد أحداث 11 سبتمبر، وطرح وجهة نظره مجدداً، عندما دعا إلى تأصيل فكرة "صدام الحضارات" باعتبار ما حدث في نيويورك وواشنطن، يؤكد نظريته التي تضمنها كتابه "صدام الحضارات" الصادر عام 1993. فهو يرى أنَّ "صراع الثقافات" أمر محتوم، خصوصاً أن الإسلام بقيمه وتراثه يُعتَبر العدو الجاهز الذي يقف في وجه انتصار الليبرالية الجديدة على المستويين السياسي والاقتصادي.[72] وهذا ما دعا إليه كذلك، المفكر الأمريكي الياباني الأصل فرانسيس فوكوياما الذي اشتهر بنظريته حول "نهاية التاريخ" منذ العام 1989، حين اعتبر أنَّ ما حدث في العالم يوم 11 سبتمبر هو تأكيد لما ذهب إليه سابقاً، ولا بد من تشديد الصراع لإحراز النصر النهائي وتحقيق "عالم ما بعد التَّاريخي"، وإعلان انتصار الليبرالية الجديدة ونجاحها كنظام سياسي واقتصادي على المستوى العالمي.[73]

---

71 بعدراني، يوسف. (2006). اختطاف العالم "خطة أمريكية. بيروت: مكتبة بيسان. ص 10 – 11.

72 شعبان، عبد الحسين. "تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر أحدثت شرخاً عميقاً في العلاقة بين الشرق والغرب هنتنغتون أطلق في صراع الحضارات التصادم بين الثقافات". جريدة (الزمان) الدولية. العدد 2709 ، 30/5/2007. (استرجعت بتاريخ: 25/8/2007). (نسخة الكترونية). http://www.azzaman.com

73 المصدر السابق.

أظهرت هذه العوامل، بكلِّ ما تحمله من تفسيرات، الدَّور الّذي لعبته واشنطن في إثـــارة العـــداء ضدها أكثر من غيرها؛ وبالتالي استهدافها بهذا العمل المروِّع. وخلقت عوامل أخرى دفعت منفذي هذا الحدث للمس بها؛ كتداعيات حرب الخليج الثّانية، التي خلَّفت قواتٍ أمريكية في مناطق تمثِّل قدسية للمسلمين كالسّعودية، والخليج العربي وما شاع عن تدنيس الجنود الأمريكان لهـــا، الأمـــر الّذي خلق رغبةً لدى الكثير من الشّباب العربي الغيور على مقدّساته، للرّد على هذا الوجود مـــن خلال التّعرض لكلِّ ما له علاقة بالولايات المتحدة. وقد بدا ذلك مترابطاً مع ما كـــان يـــرد مـــن تسجيلاتٍ لابن لادن حول ضرورة جلاء القوات الأمريكية عن الجزيرة العربية، ووقـــف دعـــم واشنطن لإسرائيل وانحيازها لها.[74]

هذه الصُّورة في عدائيتها للولايات المتحدة الرّافضة لقيمهـــا ومبادئهـــا وديمقراطيتهـــا، طرحـــت تساؤلاتٍ أكثر عن حملة الولايات المتحدة التي أطلقتها تحت مسمى "لمـــاذا يكرهوننـــا"، دون أن تُراجع سياساتها الخارجية، وتحديداً الإفراط في دعمها الموجَّه لإسرائيل على حساب الفلسطينيين أصحاب الحق والأرض.

يأخذ موضوع الصِّراع الفلسطيني– الإسرائيلي حيِّزًا هامًا باعتباره جزءًا ممّا يدور فـــي العـــالم، وفي المنطقة بشكلٍ خاص، ودافعاً لتنمية الغضب والانتقام تجاه الولايات المتحدة بحكم سياســـاتها، ويُعتبر عاملاً هامًا في الكشف عن مدى الانحياز الأمريكي السّافر لإسرائيل رغم كلِّ ما تقوم بـــه من أعمال إجرامية ضد الشّعب الفلسطيني، ما يثير الاستفزاز فـــي النّفـــوس، لا ســـيما أن مئات الأطفال والنِّساء الفلسطينيين يقتلون بدمٍ بارد على يدِ آلـــة القهـــر الصِّـــهيونية، دون أن تتحـــرك

---

74 المعلم وآخرون، قارعة سبتمبر، مصدر سبق ذكره، ص 6.

الولايات المتحدة بشكل فاعل ونزيه،[75] لإنهاء الصِّراع، بل على العكس من ذلك واصلت دعم إسرائيل وتزويدها بشتى أنواع الدَّعم: السِّياسي، والمادي، والعسكري.

وقد مرّت عقود من السِّنين على هذا الصِّراع دون إظهار الجدية في محاولة إنهائه، ما أدى إلى تنمية روح الانتقام ضد أمريكا في الخارج وفي الدّاخل. فديفيد ديوك (ممثل سابق في البرلمان الأمريكي) كان قد هاجم سياسة الولايات المتحدة المزدوجة فيما يخص الصِّراع الفلسطيني – الإسرائيلي، قائلاً: "إنَّ دعم أمريكا للإرهاب الصّهيوني ووقوفها معه، وتعاملها بازدواجيةٍ دون معايير محددة وواضحة أدى إلى الإرهاب الحالي ضدها"،[76] وأضاف: "إذا كان بوش الابن جاد في معاقبة الدول التي ترعى الإرهاب وتدعمه فعليه أن يبدأ بإسرائيل التي انتخبت رئيساً لوزرائها أسوأ إرهابي في العالم وأكثرهم دموية وممارسةً للقتل الجماعي".[77]

على جانب آخر، مثّلت حالة الحصار الشّامل والتّجويع التي فُرِضت على العراق في سنوات التِّسعينيات من القرن الماضي، دافعاً هاماً لخلق مشاعر الإذلال لدى هؤلاء "القائمين" على هذا الحدث أمام ملايين الأطفال العراقيين الّذين يعانون الجوع والموت؛ وبالتالي باتت مثل هذه القضايا الإنسانية محركاً للكثير من الأعمال "الانتقامية"، وأسباباً محوريّةً في تنمية روح الكراهية ضد أمريكا، وردّة الفعل عليها.

---

75 السلطان، مصدر سبق ذكره، ص 14.

76 الأشقر، مصدر سبق ذكره ص 101، وانظر: حسن.(2002). أربع طائرات هزت العالم، مصدر سبق ذكره، ص 33- 34.

77 فضل الله، محمد حسين. (2003). المدنّس والمقدس أمريكا ورايةُ الإرهاب الدّولي. ط 1. بيروت: رياض الرّيس للكتب والنّشر. ص 332.

تبقى دلالات أحداث 11 سبتمبر تؤكد أن من يقف وراءها لا يهدف إلى مجرد التّعاطف مع بضع ملايين يموتون جوعًا أو قمعاً، فكثيرون مثلهم قضوا على مرِّ الزّمن، وإنَّما يهدف إلى شيءٍ أعمق. وهذا يفتح آفاقاً جديدةً لتلك الأحداث طالما بقيت الولايات المتحدة تتخذها ذريعة لتحركاتها، الأمر الذي يبقيها مجالاً مفتوحاً لإعادة بلورة الكثير من السياسات وصياغتها لمدة عقودٍ من الزمن. فتقسيم الولايات المتحدة العالم إلى أشرار وطيبين، وإصرارها على تنفيذ مشروع الدروع الصاروخية البالستية، والانسحاب من معاهدة كيوتو لخفض درجة حرارة الأرض، ورفض المصادقة على وثيقة المحكمة الجنائية الدولية، جعل الكثير من المراقبين يرون أن الولايات المتحدة تسعى إلى فرض مفهوم جديد في العلاقات الدّولية، يعكس حقيقة توجهها إلى الانفراد في تبني سياسة استراتيجية خاصة وفق مبدأين هما: اعتماد الحرب الوقائية وتفضيل الحل العسكري على الحلِّ الدِّبلوماسي ضد كلّ من تراه يهدد مصالحها. وإعطاء الشَّرعية لنفسها دون غيرها لاستخدام القوة وفق منظورها للتعامل مع ما وصفته محور الشر، ولفرض نظام ديمقراطي وفق المفهوم الأمريكي في البلدان التي تعتبرها وقراً للإرهاب.[78]

خلاصة

لقد تبنت الولايات المتحدة الأمريكية خلال الخمسين عامًا الأخيرة سياسات ومواقف يمكن أن توصف بأنّها لم تخدم الفلسطينيين بما يحقق طموحاتهم معادية، وليست متفهمة لجوانب قضيتهم المختلفة. كما اتّسمت السياسة الأمريكية بالدَّعم اللامحدود الذي قُدّم على شكل مساعدات مالية

78 العطار، مصدر سبق ذكره، ص 206.

وعسكرية وسياسية لإسرائيل، رغم إدراكها أنَ "إسرائيل" دولة احتلالية، وإحلالية واستيطانية قامت على حساب تشريد شعبٍ آخر وتهجيره.

ورغم إدراك أمريكا أنَّ سياساتها الدّاعمة، بشكل كبير، لإسرائيل تزيد من كراهية الفلسطينيين والعرب لواشنطن، وتشكِّل عامل ضغط على المصالح الأمريكية الحيوية والاستراتيجية في المنطقة العربية، وكذلك عاملاً مهدداً للأمن القومي الأمريكي، إلا أنّها لم تُحدث ذاك التّحول الهام أو الجوهري تجاه القضية الفلسطينية، ولم تقف مع الشَّعب الفلسطيني.

ففي موضوع القضية الفلسطينية والصِّراع الفلسطيني– الإسرائيلي تحديدًا، تعاملت الولايات المتحدة معه بطريقةٍ أظهرتها وكأنَّها مع الشَّرعية الدّولية، وتطبيق القرارات الدّولية المتعلقة بالشَّعب الفلسطيني، حتى لا تبدو أنّها معادية له.

ويُعزى هذا الموقف العدائي من القضية الفلسطينية، إلى وجود شخصياتٍ فاعلة من اللوبي الصّهيوني في السّلطتين التّنفيذية والتّشريعية في واشنطن، وكون أغلبية أعضاء الكونغرس من الحزبين الدّيمقراطي والجمهوري من دعاة الدَّعم والتّأييد لإسرائيل، والّذين تربطهم مصالح مشتركة. والولايات المتحدة رأت في إسرائيل بعد قيامها الدَّولة الحامية لمصالحها في المنطقة، الأمر الذي انعكس تباعاً في السياسة الأمريكية المساندة لها على حساب الفلسطينيين؛ ما أثار توجهاتٍ كثيرة رافضة للسِّياسة الأمريكيّة هذه، وأوجد حالةً من العداء ضدها داخل البلدان العربية والإسلامية، التي تشعر بعمق الظُّلم الأمريكي تجاه قضية فلسطين وشعبها. وهذا يُعتبر دافعاً لتوجيه النَّقد لسياساتها التي باتت لا تعرف حدوداً ولا معياراً بعد أحداث 11 سبتمبر، وأثارت زوايا شتى حول حقيقة هذه الأحداث وأسبابها؛ لأنّها طالت واشنطن وليس غيرها من الدّول.

الفصل الثّاني

التَّغير في الموقف الأمريكي بعد 11 سبتمبر وانعكاسه على القضية الفلسطينيّة

- تمهيد
- ما بين المقاومة والإرهاب.
- التّحول في السِّياسة الأمريكية منذ 11 سبتمبر.
- الموقف المتغير من الانتفاضة والمقاومة والفصائل الفلسطينية.
- المبادرات المطروحة لحلِّ القضية بعد 11 سبتمبر.
- الموقف الفلسطيني من المتغيرات الّتي تَبِعَت أحداث 11 سبتمبر.
- خلاصة.

تمهيد

تتميَّزُ سياسة الولايات المتحدة عِبر مراحلها المختلفة بالكثير من السَّلبيات تجاه القضية الفلسطينية، فلم تشهد القضية أيَّ تعاطف أمريكي كالذي تشهده إسرائيل، ومستوى الدَّعم الذي يُقدَّم لها منذ نشأتها.

وقد تجلّى هذا الوضع أكثر بعد أحداث 11 سبتمبر حيث أثَّرت بالقضية الفلسطينية سياسيّاً وبشكلٍ غير مسبوق، حتى باتت القضية الفلسطينية مجرد مشكلة فلسطينية يتعاطى معها أطرافها الدّاخليون لاسيما عقب فوز حماس في الانتخابات التَّشريعية وما تبعها من تطورات. فالإدارة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر أظهرت انحيازاً مطلقاً لإسرائيل لدرجة أنَّها تبنَّت الطُّروحات الإسرائيلية في التَّعامل مع المقاومة الفلسطينيّة وانتفاضة الأقصى، الّتي كانت رحاها دائرة عند وقوع هذه الأحداث، وباتت تخلط بين المقاومة والإرهاب بشكلٍ غير مسبوق، من خلال حربها على الإرهاب.

انطلقت حملة الولايات المتحدة على الفلسطينيين عبر سلسلة من المطالب التي تهدف إلى إصلاح النِّظام الفلسطينيّ (حسب وجهة نظرها) ليتناسب مع تطورات الأوضاع، وليصبح قادراً على إدارة عملية التَّفاوض ويكون أهلاً للسَّلام مع الإسرائيليين.

من هنا شهدت القضية الفلسطينية تحوّلاً كبيراً في تعامل الولايات المتحدة، حيث باتت تنظر إليها بعد 11 سبتمبر، كقضية سياسية، ذات بعدٍ أمنيّ، هدفها هو توفير الأمن للإسرائيليين، بغض

النظر عن معاناة الفلسطينيين، الذين يتعرضون لأعتى أنواع القمع والتَّدمير على يد آلة الحـــرب الإسرائيلية.

لذلك سيحاول هذا الفصل تتبع أبرز تغيرات التَّعامل الأمريكي مع القضية الفلســطينية بعــد 11 سبتمبر لا سيما خلط المقاومة بالإرهاب، وطبيعة التَّغير في السياسة الأمريكيــة بشــكل خــاص وهدفه، ثمَّ حجم الرّد الفلسطيني على ذلك.

ما بين المقاومة والإرهاب

لفظة الإرهاب الّتي تمَّ حصرها لغويّاً، فأفادت بمدلولٍ واضح معنى الخوف والرَّهبة. بقي المدلول الاصطلاحيّ لها مُعقّداً وهائمًا، فليس هناك إجماع أو اتفاق عليه، لا من الأمم المتحدة ولا الاتحاد الأوروبي ولا حتى الولايات المتحدة التي تناولت مفهوم الإرهاب بتعريفاتٍ شتى، ويعود السّــبب في ذلك إلى تعدد آراء المهتمين بدراسة هذه الظّاهرة واختلافها من جــانب، والغمــوض وعــدم التَّحديد الدَّقيق لها على المستوى السِّياسي والقانوني من جانب آخر.

لقد أدى عدم وجود تعريف شامل جامع مانع مُتَّفقٍ عليه لكلمة إرهاب؛ إلى بقائها هائمة مطاطــة مرنة تقبل المد والجزر بِحسب مناخ العلاقات السِّياسية، وتتطور بحسب القوة التي تتحكــم بهــا، وتسمح بكلِّ التفّسيرات والاختلافات في المفــاهيم الفلســفيّة والسياســية والاجتماعيــة. فالــدّول الاستعمارية والاحتلالية تستخدم هذا المفهوم لوصف المقاومين لسياساتها، فيما تســتخدمه الــدّول الدِّكتاتورية لإضعاف خصومها والنَّيل منهم. فالإرهابي من وجهة نظر البعض، هو مناضل فــي

سبيل الحرية في نظر البعض الآخر، والمناضل الحرٌ من وجهة نظر دولة ما، هو إرهـــابي فـــي نظر دولة أخرى.[1]

وقد توسّع هذا التباين لمفهوم الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر فأصبح يشمل المقاومة الوطنية التي لم تكن يوماً موضع جدل، كونها كانت حقّاً مشروعاً لكل الدول الواقعة تحت احتلال؛ للدفاع عـــن حقوقها المشروعة التي أقرتها القرارات الدولية.[2] وقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكيـــة تلـــك الفرصة؛ لتضرب كل المقاومين على امتداد الوطن العربي بحجة محاربة الإرهاب.

فغياب التَّعريف المحدد للإرهاب، مكّن الولايات المتحدة من استغلاله لتفرض تعريفها الخاص.[3] * وسعت لتعميم هذا التَّعريف على دول العالم، وأطلقت معناه دون التمييز بينـــه وبيـــن المقاومـــة المشروعة للاحتلال. ورفضت كافة المساعي العربية والدولية المطالبة بتحديده وأفشلت دعواتهـــا لذلك، ومارست ضغوطًا شديدةً على كل الأطراف الدّولية والإقليميـــة دون اســـتثناء، فاعتمـــدت تعريفها الّذي تبلور في صورة قوائم وتقارير خاصة بالتَّنظيمات الإرهابية والدّول الّـــتي وصـــفت بالرّاعية للإرهاب، وهو ما عكس مصالحها بالدَّرجة الأولى من جهة؛ وسطوة النُّفـــوذ الأمريكـــي على السِّياسات الدّولية من جهة أخرى.[4]

---

1 الكيلاني، مصدر سبق ذكره، ص 16. وانظر: حجازي، مسعد. "الإرهاب والمقاومة... وجبروت القوة!!". (نسخة الكترونية). 27/4/2005.

http://www.kefaya.org/05znet/050430mhegazi.htm

2 الموقع الالكتروني للأمم المتحدة: http://www.un.org/unrwa/arabic/Roll/Ru3246.htm. وانظر: ليان، ميشال. "الإرهاب والقوانين الدولية"، 20/7/2007. (نسخة الكترونية).

http://www.intiqad.net

3 *الإرهاب حسب المفهوم الأمريكي: كل عنف تمارسه أي جهة ضد مصالحها. الموسوي، سالم."تعريف الإرهاب في قانون مكافحة الإرهاب رقم 13 لسنة ". الحوار المتمدن. العدد 1391. 6/12/2005. (نسخة الكترونية). http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=51577.6

4 "الولايات المتحدة وبناء تحالف دولي ضد الإرهاب"، التقرير الاستراتيجي العربي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية. 20/5/2007 . (نسخة الكترونية).

http://www.ahram.org.eg/acpss/ahram/2001/1/1/R1RB13.HTM

من هنا، استحوذ مصطلح الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر على الخطاب السِّياسي الدَّولي لـــديها، لما أثارته من إرباكٍ حول مفهومي "الإرهاب والمقاومة"، في محاولةٍ منها لتغيير التَّـــداول بهمـــا ليكونا مفهوماً واحداً؛ لاعتبارات سياسية أمريكية بحتة، وكجزء من خططهـــا ومشـــاريعها الـــتي تسعى لفرضها على الجميع، ولتكريس نفوذها كونها القطب الوحيد الّذي يحكم العالم. [5]

فالخطط والمشاريع الأمريكية لن تكون سهلة التطبيق بوجود مقاومة حقيقية تدافع، دائمـــاً، عـــن الحقوق وتقف بالمرصاد في وجه كلِّ من يحاول النيل من حرية الوطن وكرامته، ولذلك يصـــبح هدف أمريكا في التَّخلص من تلك المقاومة بحجة مكافحة الإرهاب الّذي كان سبباً فيما أصابها من ضربات، أسهل وأكثر إقناعاً للعالم، ويحصل على التّأييد الكامل عند القيام بأيِّ عملٍ يحارب هـــذا "الإرهاب المزعوم" ويتصدّى له، وأكثر من ذلك اعتبار من يعارضها هو إرهابياً. وعليه فقد أتاح لها هذا الأمر أن تضرب كل المقاومين، في الوطن العربي؛ بحجَّة محاربة الإرهاب رغم الفـــرق الكبير بينهما. [6] وهذا ما دفعها لاستغلال تلك الأحداث وبلورة "مفهوم مكافحة الإرهاب" في القانون الأمريكي المعروف باسم ((Combating Terrorism Act، والّذي اعتبره الرئيس بوش الابن بأنّه يهدف إلى مكافحة الإرهاب، ومنع حدوث هجمات جديدة على الولايات المتحدة.[7]

ويتيح هذا القانون لمكتب التَّحقيقات الفيدرالية (F.B.I) توسيع صلاحيات الشُّرطة على المستويين المحلي والدَّولي، والتّنصت على وسائل الاتصالات الهاتفية والإلكترونية، وفرض عقوبات قاســـية على كلِّ من يمول أو يأوي الإرهابيين، ويسمح باعتقال ومحاكمة أي شخص وأينما كـــان تحـــت

---

5 "الارهاب ومشروعية المقاومة. 9/3/2007. (نسخة الكترونية). http://hadush.maktoobblog.com/238913/%C7%E1

6 المصدر السابق.

7 الأشقر، جلبير. (2002). صدام الهمجيات الإرهاب، الإرهاب المقابل والفوضى العالميّة قبل 11 أيلول وبعده. ترجمة: كميل داغر. ط 1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنّشر. ص 101 ، وانظر: حسن، أربع طائرات هزت العالم، مصدر سبق ذكره، ص 33- 34.

تهمة "الإرهاب". كما يشتمل على إعادة تعريف لمعنى الأعمال الإرهابية، ورفع مستوى العقوبات بحق من يقوم بها، وتتضمن القوانين الجديدة تشديد قوانين الهجرة، والتعامل بشدَّة مع السياسات المصرفية.[8] فباتت معارضة الإدارة الأمريكية إرهاب، والدِّفاع عن النَّفس ليس مقاومة، ومواجهة الاحتلال والتَّصدي له لنيل الحقوق هو العنف والإرهاب.

ويذكر أنَّ الولايات المتحدة استغلت في حملتها على ما يسمى الإرهاب القرار رقم 1373 الصّادر عن الأمم المتحدة بتاريخ (28/9/2001)، الذي شكَّل سابقةً خطيرة كونه اتّخذ دون الاتِّفاق على تعريفٍ للإرهاب، فترك للولايات المتحدة حرية تحديد الجهات الإرهابية، وطريقة الرَّد عليها بالشَّكل الذي تراه مناسباً.[9]

فالقرار (1373) يعتبر التَّعصب والتَّطرف هما الدّافع للأعمال الإرهابيّة، دون الأخذ بعين الاعتبار العوامل السِّياسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة المولدة له، وهو ما يتناقض مع القرار 40/61 الصّادر بتاريخ (9/9/1985) عن الجمعية العامة وينصُّ البند التاسع منه على: "تحث الجمعية العامة جميع الدُّول فرادى بالتّعاون مع الدُّول الأخرى، وكذلك أجهزة الأمم المتحدة ذات الصِّلة، على أن تساهم في القضاء التَّدريجي على الأسباب الكامنة وراء الإرهاب الدّولي، وأن تولي اهتماماً خاصاً بجميع الحالات، بما فيها الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على انتهاكات عديدة وصارخة لحقوق الإنسان والحريات الأساسية، والحالات التي يوجد فيها احتلال أجنبي، والتي يمكن أن تولد الإرهاب الدّولي، وتعرض السلم والأمن الدوليين للخطر".[10] واللافت

---

8 "قوانين أمريكية لمكافحة الإرهاب". 26/10/2001. (استرجعت بتاريخ:17/3/2008). http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1621000/1621537.stm

9 أبراش، إبراهيم. "الإرهاب: إشكاليته في تعريفه لا في محاربته إرهاب الأقوياء ودفاع الضعفاء". 12/8/2007. (نسخة الكترونية).
http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/17/page2.html

10 غلمان، فاطمة. "العنف المسلح بين المقاومة والإرهاب". 4/10/2006. (نسخة الكترونية). http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=77303

أنّ القرار 1373 تخطّى قواعد القانون الدّولي وميثاق الأمم المتحدة؛ لأنَّه أغفل حق تقرير المصير، وحق مقاومة الاحتلال وهما أيضًا من الحقوق الثّابتة مثلهما مثل حقِّ الدِّفاع عن النَّفس الذي أقرَّ به.

كما أنَّ القرار عدا عن كونه لم يحدد مفهوم الإرهاب، فإنَّه لم يضع مواصفات يمكن من خلالها اعتبار عمل مسلحٍ ما بأنّه عمل إرهابي، ما جعله غامضاً ونتائجه خطيرة؛ لأنَّه وضع قوةً إلزامية لجميع الدُّول، عليها الالتزام بها وإلا تُتَّخذ بحقِّها تدابير بموجب المادة 41 من الفصل السّابع، تؤدي إلى تطبيق إجراءات الحصار أو المقاطعة، أو استعمال الوسائل العسكرية، وهو ما استغلته واشنطن في حملتها على "الإرهاب" كضرب أفغانستان والعراق، ومحاولاتها المتواصلة لضرب المقاومة الفلسطينية واللبنانية.[11]

فمجلس الأمن من خلال هذا القرار تدخَّل في صلب القوانين الدّاخلية للدُّول، ومنح الولايات المتحدة صلاحيات ذلك؛ كطلب تجميد أموال الأشخاص المرتكبين لأعمال إرهابية، أو لديهم نية في ارتكابها، أو يُسهِّلون ارتكابها، أو من يرتبط بهم من أشخاص وكيانات وممتلكات، وعدم توفير ملاذ آمن لهم، بالإضافة إلى تبادل المعلومات والتّعاون بين الدُّول في الشّؤون الأمنيّة والإداريّة والقضائية. وكانت نتيجة هذا القرار تمادي الدُّول المسيطرة في تطبيق أحكامه، ما فتح الباب أمام تأويلات وتفسيرات واسعة، وأسهم بالتّالي في ضرب مبادئ حقوق الإنسان، فتجاوز حركات الاستقلال والتَّحرر الوطني، وأدى إلى إدراج منظمات وحركات مقاومة وحتى أشخاص في خانة الإرهاب الدُّولي وبعلاقتهم بتنظيم القاعدة، أو أنّ في نيتهم القيام بأعمال إرهابية ضد إسرائيل

11- "الولايات المتحدة وبناء تحالف دولي ضد الإرهاب"، مصدر سبق ذكره.

والولايات المتحدة والغرب بصفة عامة.[12]

واللافت أنَّ القرار لم ينص على إرهاب الدّول مع أنّه من أخطر أنواع الإرهاب؛ لأنّ الدَّولة قادرةٌ على تبرير سلوكها انطلاقاً من قاعدة أنَّ الدَّولة لا تُوصف بالإرهاب بل بالعدوان، وأنَّ العـــدوان صفة الأفراد والمنظمات وليس الدّول. ولعل ما فتح الأمور على ذلك أنَّ الثَّغرة الّتي تعــبر منهــا هذه الدّول تتمثل في غياب تعريفٍ دوليٍّ واضحٍ للإرهاب وشرح لطبيعته وأشكاله وسبل مكافحته، ما يجعل تطوير نصوص القانون الدّولي شيء هامٌ لحماية العمل المسلح الهادف إلـــى التحريـــر وتقرير المصير.[13]

لقد سعت الولايات المتحدة لتسويغ الإرهاب، وخلطته بالمقاومة دون أن تنظر إلى الأرضيّة الّـــتي ينطلقان منها، متجاوزةً كافة القرارات الدُّوليّة وقرارات الأمم المتحدة الّتي كانت تفــرِّق بينهمـــا، وتُميّز بين الأعمال الإرهابية، والنِّضال العادل للشُّعوب الّذي تقوم به حركـــات المقاومـــة ضـــد الاحتلال والاستعمار الاستيطاني. فالمحاور الّتي ينطلق منها موضوع المقاومة والإرهاب شاسعة ولا يمكنها التّلاقي، والإرهاب له ما يوضِّح ماهيته ويميِّزه عن المقاومة.

فالعمل الإرهابي عمل من أعمال العنف ويحدث بقدرٍ من التَّنظيم، وله مضامين وأهداف سياسية، ويتسم بالطّابع الرّمزي، أي أنّه يحمل رسالة إلى فئة أو جماعة أو مجتمع أو دولة، متجاوزاً بذلك الضحية المباشرة أو الهدف المباشر للعمل الإرهابي، ويهدف إلى خلق تأثيرٍ نفسيٍّ مُعَيَّـــن لـــدى الخصم كالخوف، والذّعر، وعدم الأمان. فهو يعتمدُ العنف دون الاعتماد على الشَّرعية الدَّولية أو

---

12 المصدر السابق.

13 غلمان، مصدر سبق ذكره. الموقع الالكتروني: www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=77303

القانون الدَّولي وحقوق الإنسان، ولا يأبه بالجهة التي يستهدفها، فالقائمون به مهمتهم إرسال رسالة للخصم بِغَضِّ النَّظر عن الضَّحية المستهدفة، وليس له حدود واضحة.[14]

أمّا المقاومة فتكون عندما توجد حالة احتلال فعلي، وتواجد لقوات الاحتلال داخل الأراضي المحتلة. ومن يقوم بأعمالها هم أفراد من الشَّعب المحتلة أراضيه، وتوجّه أعمالها ضد قوات الاحتلال العسكريّة بالدَّرجة الأولى، وتتمُّ داخل حدود الأراضي المحتلة، وتكون أعمالها محصورة ضمن حدود جغرافية محددة. فمشروعيتها تستند إلى مجموعة من المبادئ القانونية الثّابتة (كحق الشّعوب في تقرير مصيرها) بعكس الإرهاب الذي يمثل اعتداءً على حقٍّ هذه الشّعوب في الحياة والحرية وتقرير المصير.[15]

وبالنَّظر إلى أعمال المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي، وبما يمارسه الاحتلال ضد الفلسطينيين من إرهاب الدّولة المتمثِّل باستخدام وسائل التَّعذيب، والاعتقالات الجماعية، والقتل والمجازر، وهدم البيوت ومصادرة الأراضي وتجريفها؛ فإنَّ أعمال المقاومة الفلسطينية لا يمكن، بأيِّ شكلٍ أن تكون إرهاباً. فالمقاومة، في هذا السِّياق تتحدد أشكالها وأساليبها وأدواتها، فطالما يستمر الاحتلال الإسرائيلي في استخدام أساليب كالتي يستخدمها ضد الفلسطينيين، فإنَّ من الطَّبيعي أن يلجأ الشَّعب الفلسطيني إلى استخدام أساليب مضادة للتَّصدي لقمعه كما في العمليات الاستشهادية.[16] فتبقى مقاومتهم للاحتلال مشروعة، ولا تختلف عن مقاومة ديغول وتشرشل للإرهاب النّازي في أوروبا، ولا المقاومة الأمريكية للاحتلال الإنجليزي لأراضيها قبل قرون.[17]

---

14 جيثوم، سليم."الإرهاب والمقاومة (رؤية نظرية)". مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية. العدد 4، 14/تموز/2007. (نسخة الكترونية)·http://fcdrs.com/magazem/405.html

15 المصدر السابق.

16 ماهر، أحمد. "حديث عن المقاومة والإرهاب". 14/7/ 2006. (نسخة الكترونية)· http://www.asharqalawsat.com/leader.asp?section=3&article=373132&issue=10090

17 "وثيقة مفهوم الإرهاب والمقاومة رؤية عربية – إسلامية". تموز 2003. (نسخة الكترونية)· http://www.mesc.com.jo/mesc-11-01.html

فالشّرعية التي تكتسبها المقاومة الفلسطينية تنطلق بالدَّرجة الأولى من عدم شرعية الاحتلال، ومن الحق في الدِّفاع المشروع عن النَّفس، وعدم القبول بالواقع الذي ينتج عن استخدام القـــوة. وهـــي مشروعة في القانون الدّولي حتى وإن استخدمت الكفاح، كونها تهدف إلى تقرير المصير للشّـــعب الفلسطيني باعتبارها موجَّهة للقوة المحتلة التي تخالف بنود اتفاقية جنيف الرّابعة. ونعت "إسرائيل" لها بالإرهاب يأتي لتستمر في احتلال الأرض، حتى وإن تبنَّت الولايات المتحدة الأمريكية الموقف الإسرائيلي في ذلك. فالمقاومة موجهة ضد الاحتلال الإسرائيليّ الّذي لا فرق فيـــه بيـــن مـــدنيٍّ وعسكريٍّ في الأراضي المحتلة، كونهم يحتلون الأرض ويبتلعونها، ويدمرونها بما يتسلحون بـــه من قوةٍ عسكريّة.[18] وبما أنّ الحلول السِّياسية قد فشلت في تحقيـــق الاســـتقلال والتَّحـــرر؛ فـــإنَّ المقاومة كما يقول غازي حسين تصبح" حتمية استراتيجية".[19]

أدت أحداث 11 سبتمبر إلى الخلط في المفاهيم دون تسويغات مبررة؛ ولذلك خلطـــت الولايـــات المتحدة أعمال الإرهاب بالمقاومة دون أن تنظر في المبادئ التي انطلقت منها تلك الأعمال؛ مـــا يجعل من مفهوم الإرهاب كما يرى تشومسكي مقتصرًا على ما يفعله الآخـــرون بأمريكـــا، دون اعتبار ما تفعله هي بهم إرهاباً وإن كان أكثر وحشية، حتى أنّه يتم إخفاؤه من التّاريخ، "فقـــانون التّاريخ هكذا طالما أنّ التّاريخ يكتبه الأقوياء وتُردِّده الطبقات المثقَّفة التي فضّلت أن تكون خـــدمًا للأقوياء". وما تبريرات انحياز واشنطن لإسرائيل على حساب الفلسطينيين، إلا لأنّ تعريف أمريكا

---

18 شعيب، مصدر سبق ذكره، ص 58- 60.

19 * كاتب ومفكر سياسي. حسين، غازي."الإرهاب الإسرائيلي وشرعية العمليات الاستشهادية". 8/6/2007 . (نسخة الكترونية). http://www.baitalketab.net/index.php?option=com_content&task=view&id=28&Itemid=36

لمفهوم الإرهاب الّذي خلط بينه وبين الكفاح المسلح المشروع للشُّعوب في تقرير المصير وإنهاء الاحتلال مثَّل أخطار الحرب الأمريكية المعلنة ضده.[20]

أصدرت منظمة العفو الدّولية في الدّورة الثّامنة والخمسين للجنة حقوق الإنسان التّابعة للأمم المتحدة بعد أحداث 11 سبتمبر بياناً نبَّهت فيه إلى ضرورة ألا تغلب الانتقائية وازدواجية المعايير على حقوق الإنسان، وإلى عدم جعل هذه الأحداث ذريعةً لاتِّخاذ إجراءات مختلفة لمحاربة الإرهاب. وقد أشار البيان إلى الوضع في الشَّرق الأوسط من خلال إدانته لانتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة في "إسرائيل" والأراضي المحتلة؛ كما دعا إلى تأييد إرسال مراقبين دوليين للمنطقة.[21]

ولكن يذكر أنَّ البيان تعمد المساواة في إدانة ما أسماه العنف بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، دون أنْ يتطرَّق إلى الوضع بشكلٍ يؤدي إلى إيجاد صيغةٍ أو آليةٍ يتبنّاها مجلس الأمن، والأمم المتحدة للعمل بفاعليةٍ على الأرض للخروج من الوضع المتدهور؛ ما شجَّع استمرار الغطرسة الأمريكية – الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين.[22]

فتعامل أمريكا مع المقاومة ومساواتها بالإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر يُظهر استمرار سياسة القوى الكبرى وأهدافها ومطامعها، ويظهر استغلالها الفرص للاستمرار في تنفيذ سياساتها، مستغلة مخاوف الشّعوب واهتماماتها، ومعتمدة في مكافحة الإرهاب على الأساليب الانتقامية

---

20 شعيب، مصدر سبق ذكره، ص 65.

21 موقع منظمة آمنيستي الالكتروني: www.ara.amnesty.org/Index/ARIOR410022002 onenfof=ARA-393 ?- 14/3/2002

22 للمزيد حول ذلك راجع: إشراف: يزيد صايغ، جاريت شوبرا. في سياق خارطة الطريق وفك الارتباط: اعتبارات التخطيط لتدخل دولي في الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي. تقارير ورشات عمل منتدى الخبراء. دائرة التحليل الاستراتيجي، المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 2005.

والعنيفة، والأساليب الأمنية: كفرض العقوبات أو استخدام القوة المسلحة.[23] وعليه يبقى مصطلح الإرهاب هائمًا طالما تتحكم في صياغته مصالح الدول، ويبقى المجال متاحًا للخلط بينه وبين المقاومة الوطنية، أو الدِّفاع المشروع عن النَّفس طالما أنَّ مصالح الدُّول لا سيما المسيطرة منها لا تلتقي مع غيرها. وهذا ما أساء للمقاومة الفلسطينية بشكلٍ غير معهود.

التّحول في السِّياسة الأمريكيّة منذ 11 سبتمبر

تأتي أحداث 11 سبتمبر لتهز العالم لأنها جاءت كما وُصِفت "كارثة قومية أمريكيّة" أو "هجوماً على أمريكا" أو "أعمال حرب ضد أمريكا"، ومحمّلة بالعديد من الدّلالات المتعلقة بالعلاقات الدَّولية،[24] وليس لأسلوبها الجديد أو ما ترتَّب عليها من خسائر بشرية ومادية فادحة، فلقد سبق وعانت مناطق عديدة من العالم خسائر أكثر فداحة؛ وإن كانت هذه هي المرة الأولى، منذ ما يزيد عن نصف قرن، التي تتعرض فيها أراض أمريكية لمثل هذه الخسائر.[25]

فقد سُجّلت أحداث 11 سبتمبر في التّاريخ؛ لأنّها بشكلٍ أو بآخر سارعت في صياغة النِّظام العالمي لقرن جديد، وقلبت ما درج في السياسات الدولية إبّان تسعينيات القرن الماضي التي جعلت الاقتصاد العالمي وشبكة الانترنت يحلان محلّها. أما على الصَّعيد العربي فقد استطاعت أن تسلب من القرار العربي وتُجمِّد من فاعليته أكثر، وأودت بالكثيرين من صنّاع القرار العرب إلى

---

23 تشومسكي، نعوم. (2002). 11/9 . ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم. ط 1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ص 76- 80. وانظر: شعيب، مصدر سبق ذكره ، ص 214- 215. وانظر:عبد العليم طه، مصدر سبق ذكره.

24 مصطفى، نادية. "الهجمات على أمريكا.. ومستقبل العالم". 15/9/2001. (نسخة الكترونية). http://www.islamonline.net/Arabic/politics/topicI.shtml

25 المصدر السابق.

الدعوة بشكلٍ أو بآخر إلى "الانحناء للعاصفة الأمريكية"، الـتي أصـابت بشـكلٍ مـا القضـية الفلسطينية.[26]

أدركت الولايات المتحدة كيفية التّعامل مع تلك الأحداث منذ لحظـة وقوعهـا حيـث وصـفتها "بالأعمال الإرهابية"، لكنَّ بوش الابن ووزير خارجيته آنذاك كولن باول أدركا مدلولات المعنـى فعادا واعتبارها من "أعمال الحرب"، لاستبعاد أيِّ اتفاقاتٍ دولية تفرض على واشنطن الخضوع لقيودها، وتقف عائقاً في وجه تحقيق أهدافها كون القانون الدولي يعتبر الهجوم العسكري من دولة قومية ضد دولة قومية أخرى عملاً من أعمال الحرب. ولذلك سارع بوش وطالب مجلس الأمـن بإصدار قرار يتيح له استخدام القوة العسكرية ضد من قام بهذه الأحداث.[27] في حين لو تمّ التّعامل مع الأحداث باعتبارها عملاً إرهابياً وفق القانون الدَّولي والمحلي، لما أمكن بـوش الابـن مـن استخدام القوة العسكرية، وهذا هو الأساس في التَّعامل مع تلك الأحداث، غير أنَّ أمريكا استخدمت تكتيكاتها لتنفيذ أهدافها.[28]

برزت تداعيات تلك الأحداث على الولايات المتحدة وعلى مستوى العالم أجمع، وبشـكل لافـت على الدّول النّامية وعلى العالمين العربي والإسلامي حتى أنَّها شكّلا أساساً مركزيّاً في تعـاطي واشنطن مع تلك الأحداث.[29] ويرجع السبب في ذلك إلى أنَّ أهـدافاً أمريكيـة تعرضـت خلال العقدين الماضيين لما يُسمى ضربات إرهابية متتاليـة – وراء البحـار– (بيـروت، لـوكربي،

---

26 "أبواب جهنم متى تفتح في فلسطين". 10/10/2004. (نسخة الكترونية). www.alarabonline.org/index.asp?Fname=

52%C200%5c09%.16%5C7.htm&dismod=_x&ts=16/09/200? edition-id=118 art ID=374394:

27 بويل، فرنسيس. (2004). تدمير النظام العالمي الامبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط قبل وبعد 11 سبتمبر. ترجمة: سمير كريم. ط 1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ص 224– 225.

28 المصدر السابق ، ص 224.

29 للمزيد راجع: هاليدي، مصدر سبق ذكره.

السعودية، كينيا، وتنزانيا، ميناء عدن)، وكذلك تعرضت الأراضي الأمريكية لعمليات في مركز التجارة العالمي(1993)، وأوكلاهوما (1995)؛ حيث اقترنت هذه الضربات (ما عدا أوكلاهوما) بعناصر "شرق أوسطية"، وعليه فقد استقر في الإدراك الأمريكي أنَّ الشرق الأوسط، والعرب المسلمين هم مصدر التَّهديد الإرهابي في ظلِّ ما يُسمّى الصِّراع مع "الأصولية الإسلامية"، وتصاعد عواقب عدم تسوية الصِّراع العربي- الإسرائيلي.[30]

فطبيعة تداعيات تلك الأحداث، أثارت التَّساؤل عن مغزى الحملة الأمريكية للتَّدخل في شؤون العالم العربي والإسلامي، وعن سبب اعتبار المسلمين الشّرارة التي تُذكّي هذا النّوع من التّطرف.[31] فظهر أنّ الهدف من وراء ذلك خلق تغييراتٍ مناقضة لما هو سائدٌ داخل هذه البلدان، وفرض سيطرة الولايات المتحدة العسكرية عليها في مجالات الحرية السِّياسية وحرية التَّعبير ونظم التّعليم، وإعادة تشكيل الدّين الإسلامي بحجة تطوير الخطاب الدّيني والتّعليمي.[32]

عكس توجُّه الولايات المتحدة المُركَّز على دول المنطقة، تغيّراً في السِّياسة الأمريكية نحوها لجهة إعادة رسم خريطة العالم من جديد وفق مصالحها، بهدف إخضاع العالمين الإسلامي والعربي للثّقافة الغربية، وفرض الهيمنة الأمريكية على منابع النِّفط، والتدخل في شؤون الحكم، كما احتلال العراق. والتَّخطيط للانقلابات والحروب العسكرية، وإثارة النّعرات العصبية، ودعم النُّظم الدّيكتاتورية التي تتناقض مع شعاراتها في الحرية، ونشر الدّيمقراطية، وحقوق الإنسان.[33]

---

30 مصطفى، "الهجمات على أمريكا.. ومستقبل العالم"، مصدر سبق ذكره.

31 بعدراني، مصدر سبق ذكره ، ص 19.

32 حسين، مجدي . "الحريات في ظل الحملة الأمريكية الصهيونية على العرب والمسلمين". 25/1/2002. (نسخة الكترونية). http://www.alarabnews.com/alshaab/GIF/25-01-2002/MagdiHussein.htm

33 النجار، زغلول وآخرون، قارعة سبتمبر، مصدر سبق ذكره، ص 99- 100.

وقد بدأت الولايات المتحدة ذلك بحملتها المعلنة "الحرب على الإرهاب" ضد الأقليات القومية، والجماعات ذات الأصول العربية والإسلامية، التي اعتقدت وقوفها وراء هذه الأحداث، وراحت تمارس عليها أسلوب التَّهديد والوعيد إذا لم تتجاوب معها، وباتت تلوح باستخدام السّلاح النَّووي للضَّغط على معارضيها وترويعهم وتوسيع هيمنتها الأمنية إذا استمرت هذه الدُّول في الوقوف ضد مصالح واشنطن.[34] وهذا ما جعلها تُغلق المجال أمام أيِّ مسعى؛ لإيجاد قواسم مشتركة تحدد مفهوم الإرهاب، وأسبابه التي تشنُّ حربها بسببه، وتمكَّنت من خلاله استقطاب العالم حولها. فقد كان لتنوع أشكاله واستراتيجياته وأسلحته وعدم وضوح مفاهيمه ودوافعه؛ أكبر الأثر في سيطرته على الأضواء كافة بعد أحداث 11 سبتمبر، وما تبعها من تطوراتٍ على المجتمع الدّولي كافة، وأخذه أولويةً على جدولِ أعمال اللِّجان والمنظمات الدّولية. فحاز موضوع محاربة "ظاهرة الإرهاب" والمخاوف منه اهتمام العالم قاطبة، وأدى ذلك إلى الخلطِ بين "الإرهاب الإجرامي، ونضال الشّعوب لتقرير مصيرها"، ما انعكس على المقاومة، والنِّضال الفلسطيني.[35]

وقد سهَّل ذلك على الولايات المتحدة طرق استغلاله والتّحكم بأساليب "مكافحته" من خلال ما حققته من تطور إيجابي في علاقاتها مع دول العالم، فحقَّقت تقارباً مع روسيا تحت شعار مكافحة الإرهاب الدولي، ورأبت التَّصدعات بينها وبين أوروبا بعد أن شابها الكثير من التوتر (لا سيما مع تعليق عضويتها في مجال أسلحة الصَّواريخ المضادة للصّواريخ البالستية)، وأعادت توثيق التحالف الأطلسي معهم، ولم تكد تمضي أربع وعشرون ساعة على وقوع تلك الأحداث، حتى

---

34 الزعيم، عصام. (2002). "الأبعاد الداخلية والخارجية للأزمة الأمريكية الراهنة". النَّهج. العدد 31. ص 23 – 24.

35 الجديع، مصدر سبق ذكره.. وانظر: شعيب، مصدر سبق ذكره، ص 35. وانظر: الكيلاني، هيثم. "إرهاب الدولة بديل الحرب في العلاقات الدولية". مجلة الوحدة. العدد 67، المجلد 6. ص 15-16.

أعلن حلف شمال الأطلسي أنَّ الهجوم على أيِّ دولة عضو في الحلف، هو بمثابة هجوم على الدّول التِّسع عشرة الأعضاء كافة، كما أعلن أمين الحلف روبرتسون بتاريخ (8/10/2001) عن وقوف سفراء الحلف مع واشنطن.[36]

كما لعبت مجموعة دول حلف الناتو بعد 11 سبتمبر دورها في دعم جهود واشنطن في مواجهة الإرهاب، ومنهم من شارك واشنطن الحرب، كبريطانيا في أفغانستان، وقدَّم التَّسهيلات المخابراتية والعسكريّة والقواعد الجويّة، وعمل على حماية القواعد العسكريّة الأمريكيّة أينما تواجدت.[37] وقادت تلك الأحداث إلى بروز تَغيُّرٍ عميق في آسيا لجهة انخراط الهند في الجهد "الأممي" بقيادة واشنطن ضد مكافحة الإرهاب.[38]

تمسكت الولايات المتحدة بأهمية اجتذاب أكثر من دولة كبرى – عالمياً– كالاتِّحاد الأوروبي وروسيا واليابان إلى خطَّتها الرّامية إلى ضرب "الإرهاب" وتحقيق ما تريد مستفيدة من دعم العالم لها. وحاولت أن تستفيد أكثر من أحداث 11 سبتمبر لمحاربة كلّ معارضٍ لسياستها، حتى وإن كانت معارضة سياسية أو اقتصادية، فأصبحت تتصرّف على أساس أنَّ على العالم أن يوافق على قراراتها ويتقبلها.[39]

---

36 حسن، (2002)، أربع طائرات هزت العالم، مصدر سبق ذكره، ص 23 – 28. وانظر: النجار، قارعة سبتمبر، مصدر سبق ذكره، ص 94.

37 شعيب، مصدر سبق ذكره، ص 237 .

38 المداح، محمد ندوة «عكاظ» في واشنطن تفتح ملف: "ما بعد 11 سبتمبر.. الاستراتيجيون الأمريكيون:الإسلام نقيض الإرهاب.. وإدارة بوش عمقت كره شعوب المنطقة لأمريكا". صحيفة عكاظ. العدد 1912، 11/9/2006. (نسخة الكترونية). http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20060911/Con20060911146519.htm

39 فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص 314– 320.

اتَّخذت واشنطن جملةً من الإجراءات فرضتها – تلك الأحداث– على الشَّعب الأمريكي عامة، وعلى صانع القرار السياسي ومُنفِّذه في الإدارة الأمريكية خاصة، سعت خلالها إلى إشاعة أنَّ الأمن القومي الأمريكي يمتد إلى أيِّ مكان في العالم فيه مصلحة أمريكية، وأنَّه لن تكون عواقب ذلك كما أفعال الإرهابيين الّذين يثيرون الموت والدّمار بلا رحمة. وقادت واشنطن حملةً تُصور فظاعة الإرهابيين في حال لم يتم القضاء عليهم، وهذا ما عبَّر عنه رامسفيلد في وزارة الدفاع الأمريكية خلال مؤتمر ميونخ ال 33 بتاريخ (17/2/2003) حيث قال: "ما حدث في 11 سبتمبر مهما يكن مُريعاً، ليس سوى ظلّ شاحب لِما قد يحدث لو استخدم إرهابيون أسلحة دمار شامل".[40] كما اغتنمت واشنطن هذه الفرصة لتسارع في نشر ما يدعى ب"العولمة الأمريكية العسكرية"، معلنةً فرض الهيمنة الأمريكية وجعل مصالحها فوق كل اعتبار، وعلى العالم أنْ يُقرَّ بذلك طوعاً أو إخضاعاً، من خلال إعلان الحرب على ما يسمى بالإرهابيين (حربها الجديدة على الإرهاب)، والتي بدأتها في أفغانستان بتاريخ (7/10/2001) وأسقطت فيها نظام حكم طالبان.[41] ثمَّ على العراق بتاريخ (8/3/2003) والتي أسقطت فيها نظام الحكم بزعامة صدام.[42]

أشاعت الولايات المتحدة بأنَّ تلك الحروب تأتي ضمن مشروعٍ كبير. فقد وصفها وزير التِّجارة الأمريكي بأنَّها "حرب بلا نهاية".[43] ما اعتبر محاولةً لتمرير مشروع الهيمنة الأمريكي على مراحل وبتكتيكات متفاوتة؛ كون هذه الحرب لا ترتبط بهدف ولا بزمان ومكان وهدف محددين،

---

40 الأشقر، مصدر سبق ذكره، ص 110 . للمزيد: انظر: غايات، نيكولاس. (2003). قرن أمريكي آخر. ترجمة: رياض حسن. ط 1. بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع.

41 غانم، مصدر سبق ذكره، ص 19 – 56.

42 حسن، (2002)، أربع طائرات هزت العالم، مصدر سبق ذكره، ص 23 – 28. وانظر: النجار، قارعة سبتمبر، مصدر سبق ذكره، ص 94.

43 المراغي، محمود (2002). حرب الجلباب والصّاروخ – وثائق الخارجية الأمريكية حول الإرهاب. ط 1. القاهرة: دار الشروق. ص 25 – 26 .

ولا تحكمها أيّ ضوابط أخلاقية أو قانونية، أو حتى سياسية، فالجميع من وجهة نظرها أمام فوضى عارمة في العلاقات الدولية،[44] أو ما باتت تصفها بـ "الفوضى الخلاقة أو البناءة". فواشنطن تسعى لتحقيق الخير والسَّلام بعد الخلاص من الإرهابيين، كما تدّعي، الّذين يسعون للقضاء على مساعيها في نشر الدّيمقراطية وإرساء الأمن، ولن يتمَّ ذلك، حسب وجهة نظرها، إلا من خلال حروبها الاستباقية التي باشرتها منذ ضرب أفغانستان والعراق؛ وتأتي ضمن استراتيجيتها الجديدة التي أعلنتها، وذلك لإضفاء نوع من الشَّرعية على أعمالها لتستمر في سيطرتها على العالم، ورفضها المتواصل لأيٍّ محاولةٍ لتعريف الإرهاب الّذي تحارب باسمه وتحت شعاره، كونه أصبح عنوان حرب السَّيطرة الكونية والمبرِّر الأساسي لها، وإبقاء الحلفاء الأوروبيين وحتى الخصوم الرّوس والصّين على الحياد.

أمّا على صعيد القضية الفلسطينيّة فرأت أنَّ الخلاص منها سيلعب دوراً هاماً في توطيد سيطرتها، كون القضاء عليها يرمز للقضاء على المقاومة العربية والإسلامية الرّافضة لمخططاتها، لذلك عملت الولايات المتحدة إعلاميّاً وأطلقت يد إسرائيل لتقوم بسياسات التّصفية والتَّدمير والقتل ضد الفلسطينيين.[45] وقد توسَّع هدفها ليشمل المقاومة اللبنانية ممثلة بحزب الله، فأعلنت "حرباً" عليه قادتها حكومة أولمرت في تموز 2006، والّذي أثبت تقرير فينوغراد (المكلف بتقصي أسباب إخفاق إسرائيل في تلك الحرب) التَّحضير لها مسبقاً وقبل اختطاف جنديها اللذَيْنِ اتُّخِذا ذريعة.

---

44 موردانت، ميشيل. (2001). أمريكا المستبدة الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم "العولمة". ترجمة: فرزات، حامد. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب. ص 142 . وانظر: غانم، مصدر سبق ذكره، ص 122 – 129.

45 غليون، مصدر سبق ذكره، الموقع الالكتروني: . www.fikr.com/cgi-bin/_authbooks.cgi?id=44

ولكي تقطع الولايات المتحدة الطَّريق على أيِّ تدخلاتٍ دولية، سعت جاهدةً بعد أحداث 11 سبتمبر لتطويع الأمم المتحدة لإرادتها، بهدف إضفاء الشّرعية على حربها الاستباقية، وقد عملت لأجل ذلك على تعديل ميثاق الأمم المتحدة، وبخاصةٍ المادة (51) ليصبح هناك حروب بمعنى الدِّفاع عن النّفس،[46] ولِيُتاح لها دخول الحرب الوقائية في إطار الحرب الاستباقية والحرب ضد الإرهاب.[47] وجديرٌ ذكره أنَّ الحرب الأميركية على العراق تركت انقسامًا كبيرًا في المجتمع الدّولي باعتبارها أول تطبيق عملي لمفهوم "الحرب الاستباقية"؛ ولذلك شدَّدت اللجنة التّابعة للأمم المتحدة الّتي كُلِّفت بإعداد تقرير حول إصلاح المنظمة الدّولية، على أنّه يجب أن يُمرَّرَ أيّ عملٍ عسكري مستقبلي يُشن تحت مبدأ "الحرب الوقائية" عبر مجلس الأمن الدّولي أولاً، محدِّدةً عدَّة معايير تُطبق على أيِّ عملٍ عسكريٍّ كي يعتبره مجلس الأمن شرعيًّا أو غير شرعي،[48] وذلك لمساعدة الأمم المتحدة على التَّكيف مع الوقائع الأمنية الجديدة.

أبلغ بوش الابن الأمم المتحدة بعدم فعّالية هذه الاستراتيجية ما لم توافق على المخططات الأمريكية وتُسلِّم بأنَّ تلك الاستراتيجية مطروحة للنِّقاش. وكان قد أظهر مع توني بلير في قمة جزر الآزور في البرتغال بتاريخ (16/3/2003) الازدراء لمؤسسات الأمم المتحدة، وطالباها بالرّضوخ للمخطط الأمريكي، وإلاّ فإنَّ واشنطن ستخوض حربها الاستباقية دون الاكتراث بها، في الوقت الّذي تحدَّث فيه بوش الابن عن سلطة بلاده المطلقة في استخدام القوة لحماية أمنها القومي.[49]

---

46 "ندوة للمؤتمر الشعبي حول الذكرى الثالثة للعدوان على العراق". 8/4/2006.(استرجعت بتاريخ:3/12/2006). www.iraq-amsi.org

47 المصدر السابق.

48 "مقترحات بخمسة معايير لإضفاء «القانونية» في مجلس الأمن على مبدأ «الحرب الاستباقية» مبادرة قد تغير مفهوم «الدفاع» كما عرف خلال العقود الستة الماضية". الشرق الأوسط. العدد 9501، 2/12/2004.(استرجعت بتاريخ 5/6/2006) http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=4

49 حسين، مجدي، مصدر سبق ذكره، الموقع الالكتروني: www.alarabnews.com/alshaab/GIF/25-01-2002/MagdiHussein.htm

روَّجت واشنطن بعد أحداث 11 سبتمبر فكرة الدِّفاع عن النّفس مستغلة فكرة الإرهاب، بما يخدم أهدافها في أفغانستان والعراق وحتى في انتهاك حقوق الأسرى (غوانتانامو)، في محاولة لإباحة ذلك في القانون الدّولي والشَّرعية الدّولية لتحقيق مصالحها. كما اعتبرت نفسها أنَّها ليست بحاجة إلى مجلس الأمن.[50]

بدت استراتيجية الحرب الوقائية بعد أحداث 11 سبتمبر عقيدةً قتالية ذات مدلولٍ سياسيّ، حيث استُبدل (القانون الدّولي) عمليًّا (**de facto**بِ (القانون الأمريكي) كنظامٍ للعلاقات الدّولية،[51] كما تمّ الالتفاف على مبادئ الأمم المتحدة وقوانينها ومؤسساتها، ومختلف المواثيق الدولية، وشرَّع العدوان للتّدخل في الشّأن الدّاخلي للدّول الأخرى؛ فسيطَرت نتيجة ذلك الدُّبلوماسية القسرية (Compellence) أو استراتيجية القهر الإمبريالية، التي تهدف لإعادة تشكيل العالم خدمةً للنِّظام الرأسمالي العالمي. وترى أنَّ مَن يملك التّفوق العسكري المطلق على الأعداء ومن يُحتمل أنَّهم أعداء يستطيع فرض مصالحه وأهدافه ومبادئه، كما يمكنه تغيير القانون الدّولي وتعديله كما يشاء.[52]

جاءت الحملة الأمريكية على الإرهاب تحت شعار "من ليس مع واشنطن فهو مع الإرهاب"، فقسمت العالم إلى محورين لا ثالث لهما. وسوَّقت لحروبها بمسميات لم نعهدها، كما "الحماية الأمريكية"، التي تُتيح الإدارة الأمنية للدُّول الخاضعة للاحتلال بأيدي جنود متعددي الجنسيات. وتأتي تلك الحروب بشعارات مختلفة منها: نشر الديمقراطية، أو إعادة البناء والإعمار. وتوسعت

---

50 تشومسكي، (2004)، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، مصدر سبق ذكره، ص 43- 44.

51 سعد، أحمد."في الذكرى الرابعة للحادي عشر من سبتمبر 2001". (استرجعت بتاريخ 11/12/2005).

http://www.al-ahaly.com/articles/05-09-14/1245-pst09.htm . وانظر: البطوش، مصدر سبق ذكره

52 حسين، مجدي، مصدر سبق ذكره، الموقع الالكتروني: www.alarabnews.com/alshaab/GIF/25-01-2002/MagdiHussein.htm

واشنطن في حملتها، فخلطت بين المقاومة والإرهاب، وذلك لإضفاء "الشرعية" و"القبول" على حروبها.[53]

استطاعت واشنطن استثمار الحشد العالمي المُجيَّش لصالحها في تأكيد تحالفها الاستراتيجي مع إسرائيل لجهة ضرب القضية الفلسطينية، التي امتدت خطوط الحرب عليها إلى أكثر من بلد عربي من خلال تشويه نضال الفلسطينيين، وإضعاف الدّعم لهم عبر ممارسة الضّغط السّياسي والمادي.[54]

وقد أشار الباحثون إلى تغيّر النَّهج الأمريكي تجاه قضايا العالم بعد 11 سبتمبر، نتيجة التفاف فريق ممن باتوا يُدعون بـِ "المحافظون الجدد أمثال إليوت أبرامز في مجلس الأمن القومي، وجون بولتون الذي شَغِل منصب ممثل واشنطن لدى الأمم المتحدة لفترة، ودوغلاس فايث في وزارة الدفاع، ولويس (سكوتر) ليبي، وريتشارد بيرل، وبول وولفويتس ودايفيد ورمسير حول بوش الابن، لتناغمهم معه فكرياً وقومياً ودينياً، وقد أسهموا بعد تلك الأحداث، في تعزيز سياسة واشنطن الانفراديّة، وعملوا على توجيه سياستها الخارجيّة لاسيما تجاه القضية الفلسطينية بما يخدم إسرائيل.[55]

وبرز تأثير هذا الفريق حينما دعا هاوارد دين (مرشح للرِّئاسة في انتخابات 2004) الولايات المتحدة إلى القيام بدور أكثر فعالية في الصِّراع العربي- الإسرائيلي فاتهمه السّيناتور اليهودي جوزيف ليبرمان بأنّه يهدد إسرائيل"، ما جعل جميع الدّيمقراطيين البارزين في الكونغرس

---

53 الغزالي، صلاح. "إعادة الإعمار بدل الاستعمار". 21/3/2003. (استرجعت بتاريخ 12/1/2004). www.alwaatan.comkw/default.aspx?paye=5&topic=16011

54 فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص 326.

55 ميرشايمر، ووالت، مصدر سبق ذكره.

يوقِّعون رسالةً شديدة اللَّهجة أدانت تصريحه.[56] وعندما قام سيمور رايتش وكان رئيساً لمنتدى السياسة "الإسرائيلية" بتوجيه ما يشبه "النُّصح" لكوندوليزا رايس وزيرة الخارجية في حكومة بوش الابن، لتقوم بالضَّغط على إسرائيل لإعادة فتح معبر غزَّة في تشرين الثّاني من العام 2005، اعتبرته تصرفاً غير مسؤول، ما حذا به التَّراجع والقول بأنَّ كلمة الضَّغط ليست من مفردات قاموسه فيما يخصّ إسرائيل.[57]

وقد تعزَّز ذلك أكثر، عند انتخاب حكومة ليكودية متشددة برئاسة شارون في إسرائيل، فالتقت حكومتان واحدة محافظة في واشنطن وأخرى متطرفة في تل أبيب، لمواجهة الطرف الفلسطيني الذي ما انفك يعيش نتائج التّقارب الأمريكي الصّهيوني في هدر حقوقه. فالقضية الفلسطينية ازدادت تعقيدًا، مع غياب فرص التسوية وتراجع صدى الانتفاضة؛ وسياسة أمريكا المنحازة "علناً" لإسرائيل. فقد واجهت أمريكا كلَّ المُعترضين على سياساتها الرَّافضين لتفردها بالقضايا العالمية، والقضية الفلسطينيّة، وبخاصةٍ أنَّ سياستها الّتي كانت تُسيِّرها من خلال حروبٍ بعيدةٍ عن أرضها لإحكام سيطرتها الاقتصادية على معظم الدُّول ذات المصادر الاقتصادية الأساسيّة، تغيَّرت بعد إصابتها من الدّاخل، بإعلان أولى حروب الألفيّة الثّالثة الّتي أسمتها حرباً مفتوحةً على الإرهاب.[58]

الموقف الأمريكي المتغير من الانتفاضة والمقاومة والفصائل الفلسطينية

---

56 سارة، فايز.(1988). اللوبي الصهيوني. عمان: منشورات دار الكرمل، صامد. ص 45 – 46. وانظر: ميرشايمر ووالت، مصدر سبق ذكره، ونفس الدراسة منشورة في مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد: 66، 2006.

57 ميرشايمر و والت، مصدر سبق ذكره.

58 غانم، مصدر سبق ذكره، ص 19 و ص 56.

تفاعلت معظم الأزمات والقضايا الدّولية بعد أحداث 11 سبتمبر وتأثرت بمحيطها وظروفها التي تمر بها. والقضية الفلسطينية الّتي تُشكِّل مركز الصِّراع العربي – الإسرائيلي واحدةٌ من هذه القضايا الّتي تأثَّرت وتفاعلت مع تلك الأحداث؛ ذلك أنّ القوى الدّوليّة غيَّرت طريقة تعاملِها مع هذه القضية بحسب الأجواء والظّروف الدّوليّة السّائدة، سواء أكان من المنظمة الأمميّة أو الأقطاب الدّولية الرّئيسيّة أو حتى الدّول العربيّة والإسلاميّة وإسرائيل. وهذا ما أفرزته أحداث 11 سبتمبر من حيث الأوضاع والتّرتيبات والظُّروف الجديدة، فقد تمثَّلت أولى انعكاسات التَّغير في الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينيّة في الحالة الّتي تعاملت فيها حكومة الاحتلال مع الانتفاضة الفلسطينية، حيث رَدَّةُ الفعل الإسرائيليّة غير الآبهة لأيِّ ردِّ فعلٍ دوليٍّ على انتهاكاتِها وتجاوزاتِها ضد الفلسطينيين. فالإدارة الأمريكيّة مسؤولة بالمطلق عمّا يجري في فلسطين من خلال إعطاء الضَّوء الأخضر لإسرائيل كي تقوم بما تراه يخدمُ مصالحها.[59]

شكَّلت أحداث 11 سبتمبر داخل الولايات المتحدة مَحطّةً هامة، حيث أسهمت في التّأثير على مسار العديد من القضايا الدّولية والعربيّة وتحديداً القضية الفلسطينية. فالأحداث وقعت في وقتٍ شهدت فيه الانتفاضة الفلسطينية نجاحاً كبيراً، وحَقَّقت إشعاعاً دوليّاً مهما، وأضحى فيها قيام الدّولة الفلسطينية مطلباً عربياً وإسلاميّاً ودوليّاً.

فقد جاءت الأحداث، لِتقوّي من جديد، العلاقات الأمريكيّة – الإسرائيليّة على حساب العلاقات الأمريكيّة – العربيّة تبعاً للموقف الإسرائيليّ من الإرهاب، الّذي وضعها في خندقٍ واحد مع الولايات المتحدة في مكافحته. وبات الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية، بعد تلك الأحداث،

---

59 فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص 208– 229.

محكومًا بعدَّةِ محددات وارتباطات ناتجة عن سياسة واشنطن تجاه الصِّراع العربي– الإسرائيلي، وتِجاه طبيعة المتغيرات الّتي أفرزتها تلك الأحداث في النِّظام الدُّولي، وفي مقدِّمتها الارتباط التّاريخي لزعماء أمريكا مع إسرائيل، وتعاونهم لضمان الدَّعم اللامحدود لها عبر نهجهم المعهود بالانحياز الكامل لها بِغَضِّ النَّظر عن قوَّة اللوبي الصّهيوني في أمريكا.[60] وبرزت نزعة واشنطن الانفرادية في الصّراع العربي– الإسرائيلي بشكلٍ لم يُعهد من قبل خلال مجرى سياستها تجاه القضية الفلسطينية، فقد كانت، دائمًا، تتَّجِه نحو إنكار وجود الشّعب الفلسطيني، وتجاهله كعاملٍ رئيسيٍّ في الصِّراع، واتّباع تكتيكاتٍ متبدِّلة لمواصلة الالتفاف على القضية الفلسطينية؛ بهدف إجهاضها، وضمان بقاء تفوّق إسرائيل العسكري والاقتصادي لتعزيز هذه السّياسة.[61]

إزاءَ ذلك كلِّه، أثارت تلك الأحداث العديد من التَّحديات المتباينة أمام القضية الفلسطينية، لأنَّها جاءت في وقتٍ تصاعدت فيه وتيرة المقاومة والنِّضال الفلسطينيين ضد الاحتلال الإسرائيلي، وتعدَّدت وسائله وآلياته الّتي حقَّقت إجماعًا وطنيًّا وتعاطفًا عربيًّا ودوليّا.[62]

وفي السِّياق ذاته، حَقَّقت إسرائيل طموحها في أعقاب الحملة الأمريكيّة لمواجهة "الإرهاب"، عندما تمَّ خلط الإرهاب بالنِّضال ضد المحتل، وتمَّ التَّركيز على الإرهاب الفردي دون إرهاب الدّولة الأكثر خطورة. وهو ما سمح لها بتمييع نشاط حركات المقاومة الفلسطينية، وذلك باعتبار ما تقوم

---

60 سعد الدين، نادية. "11 سبتمبر". 11/9/2005.(استرجعت بتاريخ: 6/8/2006). www.alghad.jo/?news=44486

61 روا، أوليفيه. (2003).أوهام 11 أيلول المناظرة الاستراتيجية في مواجهة الإرهاب. ترجمة:حسن شامي.ط 1. بيروت: دار الفارابي. ص 70 – 77. وانظر: قاسم، الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وانعكاسها على العرب، مصدر سبق ذكره، ص 17– 18. وص . انظر: الأشقر، مصدر سبق ذكره ص 106. وانظر: سلمان، مصدر سبق ذكره، ص 4445.

62 لكزيني، إدريس. "القضية الفلسطينية والمحيط الدولي المتغير". الحوار المتمدن. العدد 1574. 7/6/2006.(نسخة الكترونية). http://www.rezga.com/debat/show.art.asp?aid=66844

به من عملياتٍ في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي واعتداءاته عملاً "إرهابيّاً" وضحيةً له. هذا التّمييع الذي أسهمت في تكريسه العديد من الأنظمة العربية والإسلامية من خلال استصدار فتاوى فقهية تُجرِّم العمليات الاستشهادية، وهو ما حملته مقررات القمة الثّلاثية المصريّة – السوريّة– السعوديّة (وهي دول لها وزنها وثقلها ضمن المجموعة العربية) المنعقدة بشرم الشيخ في مصر بتاريخ (11/5/2002)، عندما تمت إدانة العنف بكلّ أشكاله دون استثناء المقاومة من ذلك.[63]

ومن جهة أخرى، فالولايات المتحدة الأمريكية "راعية السلام" المفترضة، باتت تشجِّع السُّلوكات الإسرائيلية الوحشية، والإجرامية المرتكبة بحقّ الفلسطينيين وتدعمها من خلال غضِّ الطَّرف عنها، أو الحؤول دون صدور قرار أممي يدينها، باستخدام حقِّها في الاعتراض داخل مجلس الأمن الدّولي (الفيتو). وتبنّى الرَّئيس الأمريكي بوش الابن موقف آريئيل شارون القاضي بالإطاحة بياسر عرفات من السُّلطة، في حين وصف آريئيل شارون بأنَّه "رجل سلام"، كما عمد إلى قلب المعضلة بالقول: إنّ "الإرهاب" هو الذي يجبر إسرائيل على الإبقاء على الاحتلال، وليس الاحتلال هو الذي يولد الإرهاب، كما وقَّع، أيضًا، على قرار الكونغرس القاضي باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ليصبح قانوناً ساري المفعول، وذلك في انحراف صارخ في دور الولايات المتحدة كراعٍ للسّلام في المنطقة، وخرق لمبادئ القانون الدّولي، وقرارات الشّرعية الدّولية ذات الصِّلة من جهة أخرى.[64]

---

63 لكزيني المصدر السابق.

64 المصدر نفسه.

وأمام التّناغم القائم بين مكونات الإدارتين الجمهورية في الولايات المتحدة و"الليكودية" في إسرائيل، أخذ الخطاب الأمريكي المتعلّق بالقضية الفلسطينية وما يخصُّها؛ يتماهى مع خطاب شارون من ناحية التّركيز على الالتزام بالأمن الإسرائيلي، والقبض على مخططي العمليات المسلحة ضد إسرائيل ومرتكبيها، وضرورة تفكيك التّنظيمات الفلسطينية المسلحة وبخاصة حركتي حماس والجهاد الإسلاميتين.

طُرِحت أمام جسامة هذه الأحداث وتأثيرها القوي في مسار هذه القضية المحورية في الصِّراع العربي– الإسرائيلي العديدُ من التّحديات الكبرى أمام القضية الفلسطينية، وأصبح بذلك استثمار الفرص والإمكانيات الفلسطينية والعربية والإسلامية المتاحة ضرورة حيوية ملحة لتدارك تبعاتها.

فهذه الأحداث هيَّأت للولايات المتحدة المجال لتفرض تدخلها في قلب السِّياسة الدُّوليّة، ليس كفاعلٍ أساسي ومهيمن؛ بل كَمُسَيّرٍ وقائدٍ لتشكيلةٍ جديدةٍ من التّحالفات العالمية بما أوجدته من طفرة حقيقية في العلاقات الدّولية، الّتي جعلت من صفة (الإمبراطورية) الاسم الجديد للولايات المتحدة، مع تكريس نظام القطب الواحد، مستفيدة بذلك من مستوى السيطرة والتقدم العالمي الذي حققته منذ نهاية نظام القطبين.[65]

إنّ ما يمكن قوله هنا، أنَّ هذه الأحداث أوجدت أرضيةً مناسبةً للولايات المتحدة لتربط بين كافة القضايا التي تعتبر بالمفهوم السّياسي "ساخنة"، ببعضها البعض كرزمةٍ واحدة لتسهيل الوصول لأهدافها. وأدخلت القضية الفلسطينية في كلِّ هذه الأمور، رغم خصوصيتها وبدون النّظر للسِّياق التّاريخي الّذي نشأت فيه، حتى بدت تداعياتها على القضية الفلسطينيّة كبيرة وخطيرة، لا سيما

---

65 النملة، صالح. "الولايات المتحدة الأمريكية. من دولة المبادئ إلى الإمبراطورية".21/7/2004. (استرجعت بتاريخ 12/3/2005). http://www.alriyadh.com

كونها جاءت في مرحلةٍ كان الصِّراع فيها على الأرض الفلسطينية يشهد ذروته. فكانت ردَّةُ الفعل الفلسطينية الأولى الشُّعور بالأسى من خلال التَّعبير عن فظاعةِ ما حدث، لما سيتركه من انعكاس على القضية الفلسطينية التي انطلقت من أجلها انتفاضة الأقصى، الّتي كانت تتصاعد أحداثها على الأرض عندما وقعت تلك الأحداث. وأخذت الولايات المتحدة تُصَعِّد من حملتها لخلط نضال الشُّعوب بحملتها الّتي أطلقتها ضد "الإرهاب".

فما إن وقعت تلك الأحداث حتى تمكَّنت من خطف الإعلام والاهتمام العربي والغربي من القضية الفلسطينية، وعمّا يتصل بها من تطورات، مُغيِّبةً ما تقوم به حكومة إسرائيل بحقِّ الفلسطينيين، ومنحها كما يقول بارسيمنطوف: شرعية دولية، وبالأساس أمريكية كي تُصَعِّد دَرَجَةً في أنماط الرَّد العسكري على ما سُمي بِ "الإرهاب" والمقصود المقاومة الفلسطينية.[66]

وفي إطار ذلك، جاء التّقاطع الزّمني الحاد بين انتفاضة الأقصى وأحداث 11 سبتمبر؛ ليضرب المقاومة الفلسطينية التي تشابكت مع تلك الأحداث فتوصف بالإرهاب، وتُقارِب من المواقف الأمريكية مع المواقف الإسرائيلية أكثر، حتى وصلت إلى خلط المفاهيم والمواقف تجاه الفلسطينيين فوصفوا "بالإرهابيين"، وعملت على تغيير النَّظرة للمقاومة الفلسطينية، من خلال السَّعي لإعادة "تكييف المقاومة" المشروعة بتصنيفها ضمن الأعمال الإرهابيّة، لتصبح إرهابًا يجب استئصاله، في محاولةٍ للقضاء على روح المقاومة الفلسطينية بشتى أشكالها.[67]

---

66 يعقوب بارسيمنطوف وآخرون. (آذار/2005). الانتقال من تسوية النزاع إلى إدارته المواجهة العنيفة الإسرائيلية-الفلسطينية(2000 – 2004). ترجمة: أنطوان شلحت، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار). ص 53.

67 "تأثير 11 سبتمبر في فلسطين". 9/9/2002.(استرجعت بتاريخ 5/6/2003). http://www.aljazeera.net/in-depth/America_Laden/2002/9/9-9-1.htm

واستطاعت الولايات المتحدة في حملتها غير المسبوقة على الإرهاب أن تـــدرج أســـماء لأفـــرادٍ ومنظماتٍ سواء لها علاقة في تلك الأحداث أم لم تكن ضمن "الجماعات الإرهابية"، وطالت أسماء لحركات ومنظمات فلسطينية مختلفة، وصنَّفت عشرة تنظيمات منها ست تنظيماتٍ فلسطينية ضمن أكثر المجموعات الإرهابية الأخطر في العالم وأكبرها (جماعة أبو نضال، حركة حماس، الجهـــاد الإسلامي، الجبهة الشَّعبيّة لتحرير فلسطين، جبهة التَّحرير الفلسطينية، الجبهة الشّـــعبية لتحريـــر فلسطين– القيادة العامة، وأضافت لها كتائب شهداء الأقصى، ثمَّ حزب اللهـــ اللبنـــانيّ)، ومنعـــت المساعدات الماليّة، وألحت لقطعها عنها بهدف وقف كافة نشاطاتها وتقليص تحرُّكاتهـــا وأهـــدافها لتقويض فعاليتها.[68]

ولم تتوانَ واشنطن عن كيل الاتهام "بالإرهاب" للمقاومة الفلسطينيّة والانتفاضة بشكلٍ غير معهود؛ وطالبت الفلسطينيين بالتَّوقف عمّا يسمى "أعمال العنف والإرهاب" ليتمكّنوا من نيـــل حقـــوقهم.[69] وأصبحت تربط بين حقِّ الفلسطينيين في تقرير مصيرهم وبين التّخلي عن الإرهاب الّـــذي هـــو المقاومة المشروعة الّتي أقرتها الشَّرعية الدَّولية، متناقضةً بذلك مع مبادئ القانون الدُّولي، وميثاق الأمم المتَّحدة، والعهود، والمواثيق الدّولية الأخرى، وحتى تجارب الشُّعوب الأوروبيّة في محاربة الاحتلال النّازي.

وتضافرت الجهود الأمريكية والإسرائيلية لتشويه صورة المقاومة الفلســـطينيّة بكافـــة الوســـائل، وسعوا لصبغ المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، بشكلٍ لافت، من خلال فرض هيمنتهما على الخطاب

---

68 المراغي، مصدر سبق ذكره، ص 27 – 52.

69 يحيى، عبد الحي.(2003). امبراطورية النشر الجديدة – الإرهاب الدولي ضد الإسلام. ط 1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص 108. وانظر الموقع الالكتروني: 3 /12/200htt p://www.islamonline.org/Arabic/politic

الإعلامي العربي، بهدف "تهذيب" مفرداته (كاستبدال كلمة الشُّهداء بالقتلى، والمقاومة بالعنف والإرهاب).[70] ودفع الكثير من الأطراف الفلسطينيّة والعربيّة لإدانة عمليات المقاومة مهما تكن طبيعتها. وأسهبت واشنطن وإسرائيل في إطلاق صفة "الإرهاب" على حركات المقاومة الفلسطينية، من أجل خلق صورة مشّوهة عن النِّضال الوطني الفلسطيني الّذي يُقاوم على أرضه أطول احتلال في عالم اليوم، من أجل الوصول لأهدافه. وأوصلت العرب إلى اعتبار تلك الأحداث فاصلاً لما قبلها وما بعدها، لما ستحمله من دلالةٍ أيديولوجيّةٍ سياسيّةٍ أمريكيّةٍ جديدة، وعلى العرب القبول بها وإن بدا رفض ما للنَّتائج السّياسيّة الّتي ستنشأ عنها، كما هو حاصل في العراق وحرب لبنان والحملة على حزب الله، وعزل لحكومة حماس.[71]

ساند هذه الحملة الأمريكية الإسرائيلية المُنظَّمة ضد المقاومة الفلسطينيّة، اختيار واشنطن منطقة الشَّرق الأوسط للحرب على الإرهاب، فشملت هذه الحرب التَّهديد بالعمل المسلَّح ضد بعض الدَّول وحتى تنفيذه (العراق، لبنان)، واستخدام وسائل استخباريّة وأمنيّة ضد أنظمة وتنظيمات وجمعيات وأفراد، امتدت لتشمل مجالات الثّقافة والأنشطة الخيريّة.

وقد تمَّ ذلك في توافقٍ تام بين الهجوم الأميركي على الإرهاب والحرب الشّارونيّة المسعورة على الانتفاضة، وانشغال الدّول العربيّة في تأكيد خيارها الاستراتيجي بالسّلام ومحاربة الإرهاب. وتواصلت السِّياسة الإسرائيليّة الّتي تربطُ بين الانتفاضة والإرهاب، واعتبار حكومة الاحتلال مهما تقوم به من مجازر ضد الشّعب الفلسطيني وانتفاضته؛ بمثابة الوكيل على السِّياسة الأميركيّة

---

70 بويل، فرانسيس.(2004). فلسطين والفلسطينيون والقانون الدولي. ترجمة: عبدالله الأشعل. ط 1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.ص 189. وانظر الموقع الالكتروني:

http www.syrianindustry.org/modules.php15\3\2005:/

71 الدخيل، خالد.(2002). "أحداث أيلول سبتمبر وحديث المفارقات العربية". مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد 52. ص 18– 19.

في محاربة الإرهاب في الشّرق الأوسط.[72] وقد أدى ذلك إلى تعزيز انحياز أميركا لإسرائيل، وعدم قيامها بدور نزيه في تحقيق السّلام في المنطقة، وفي الوقت نفسه تغييب أيِّ دورٍ فعّال للأمم المتحدة والشّرعية الدّولية.[73]

ومارست واشنطن، في هذا السّياق، كافة جهودها بغية إجبار أوروبا على تغيير نظرتها للمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي، ودفعت باتّجاه الضّغط على الرّاحل عرفات لوقف الانتفاضة، باعتبارها من أعمال العنف والإرهاب.[74] وعمدت إلى إطلاق الأوصاف المسيئة لها كنعتها بالإرهاب، فوصفها نائب مساعد وزير الخارجيّة الأميركي ديفيد ساترفيلد آنذاك قائلاً: "إنَّ الانتفاضة الفلسطينيّة هي عملية إرهابيّة مدروسة ومتصاعدة، تستدعي الرّد الإسرائيلي، وياسر عرفات هو شبيهٌ بابن لادن في الإرهاب.[75]

أمام هذا التَّحول في النَّهج الأمريكي تجاه القضية، كانت النّظرة الأمريكية لمستقبل حركات التَّحرر الفلسطينية بعد أحداث 11 سبتمبر، تنبع من كونها ضمن مشروع الولايات المتحدة في المنطقة، واستراتيجيتها المُتَّبعة في تنفيذه والمتمثِّلة، بشكلٍ أساسي، في مشروع واشنطن في الهيمنة والسَّيطرة، الّذي يتجسد بإعادة تفتيت المنطقة وتوزيع الأدوار فيها لجهة استيعاب المشروع الصَّهيوني وتوسيعه ودمجه فيها.[76]

---

72 موقع قناة الجزيرة الالكتروني، 9/9/2002، www.aljazeera.net

73 المصدر السابق.

74 الموقع الالكتروني: http://www.hizb-ut-tahrir.org/arabic/tahlelat/htm/040102.htm 18sep2005 17:05:10 GMT

75 حافظ، صلاح الدين.(2003). كراهية تحت الجلد: إسرائيل عقدة العلاقات العربيّة الأمريكية. تقديم: محمد حسنين هيكل.ط 1. بيروت: دار الآداب للنَّشر والتوزيع. ص 104- 118.

76 علوش، إبراهيم. "ندوة بعنوان: الانعكاسات الدولية لأحداث 11 سبتمبر على القضية الفلسطينية".(استرجعت بتاريخ: 20/6/2007). www.islamweb.net

كلّ هذه التّحولات، دفعت واشنطن إلى صياغة سلسلةٍ من المطالب الأمريكية والأوروبية، ومنها مطالبة الرّئيس الرّاحل عرفات آنذاك والسُّلطة الفلسطينية إلى تفكيك البنى التَّحتية لحركتي حماس والجهاد الإسلامي بشكلٍ تام، بعد أن كانت صنَّفتهما ضمن الحركات الإرهابيّة.[77] فالقضاء على كافة حركات المقاومة وعناصرها في فلسطين، سيمتدُّ ليطال كلّ حركات التّحرر العربي والقضاء عليها لاسيما في لبنان مُمثَّلةً بحزب الله. فحرب تموز/2006 ضد لبنان هدفت، بشكلٍ أساسيّ وعلني، إلى القضاء على هذه الحركة، وتجريدها من سلاحها، وقد اعتبرت كونداليزا رايس (رئيسة الوزراء في حكومة بوش الابن) هذه الحرب مُقدِّمةً "لمخاض شرق أوسط جديد"، ولذلك زوّدت إسرائيل بأسلحة إضافية، وأعطتها أربعة وثلاثين يوماً لتقوم بمهمتها، كونها تدير حرباً "بالإنابة" عنها، تُمهِّدُ لتفكيك إحدى معيقات تقدُّم مشروعها في المنطقة.

باتت وجهة النَّظر الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر تعتبر أنَّ القضاء على المقاومة وعناصرها يُشكلُ خطوةً في سبيل نزع أوراق القوّة من الأطراف العربيّة. وهو ما كان مطلوباً من عرفات التّنازل عنه لسحب أوراق القوَّة من يده، تمهيداً لتحييد الأنظمة العربية،[78] ولتمرير مشروع واشنطن بالتّخلص من القيادات والأنظمة المعيقة، أو الّتي لم تعد بحاجةٍ لها في المنطقة، وفي المقابل دعم مكانة الأنظمة الّتي تتوافق مع طروحاتها ومشاريعها في المنطقة وتعزيزها.

أوجدت أحداث 11 سبتمبر حالةً من القلق الفلسطيني على مصير القضية، وخلقت نتائجَ خطيرةً على السّاحة الفلسطينية. فقد هيأت المجال للاحتلال ليقوم بتصفية المقاومة والانتفاضة الفلسطينية

---

77 المصدر السابق.

78 نفس المصدر.

لا سيما مع حالة اللاتوازن الّتي اعترت الجبهة الفلسطينيّة. فالاحتلال الإسرائيلي استغل انشـــغال العالم بتلك الأحداث، ليوجّه ضربات قويّة للفلسطينيين وللسّلطة الفلسطينيّة، وليصعَّد من عمليـــات الاغتيال للقيادات الفلسطينيّة، كما عَمِلَ على عزل المناطق بعضها عن بعـــض، وعلـــى توســـيع المستوطنات، وعمل على بناء جدارٍ عنصريٍّ عازل، ليفصل بين مناطق الضّفة الغربيّة، وليشكِّل ضمانةً في المستقبل، بعدم قيام دولةٍ فلسطينيّة على أيٍّ من الأراضي الفلسطينيّة.

كانت حكومة الاحتلال قد تلقت الدّعم الأمريكي لذلك من خلال خطاب بوش الابن الذي ألقاه فـــي شباط 2003، حيث أشار إلى أنَّ النّشاط الاستيطاني في المناطق المحتلة يجـــب أن ينتهـــي مـــع إحراز تقدم نحو السلام. وكأنّه، بذلك، يحثُ الإسرائيليين على مواصلة الاستيطان طالما لا يوجـــد أفقٍ للسلام.[79]

أعلنت حكومة الاحتلال في تشرين الثّاني 2000 عن سياسة الاغتيالات كسياسة رسمية، حيث أنَّ قانون الحرب، حسب ادِّعائهم، يقضي بأنْ يقتل الشَّخص عدوّه، وأن مَن ينفذ العمليات الاستشهادية ضدهم لا يمكن اعتقاله.[80]

وكانت الإدارة الأمريكية تُبرِّر عمليات الاغتيال التي تقوم بها إســـرائيل بحـــقٍّ قـــادة المقاومـــة الفلسطينية الميدانيين وحتى السياسيين، كما اغتيال الشيخ أحمد ياسين والـــدكتور عبـــد العزيـــز الرنتيسي والدكتور ثابت ثابت وأبو علي مصطفى، وعلى رأسهم الرئيس الراحل ياسر عرفـــات، وغيرهم الكثير.

---

79 تشومسكي، (2004)، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، مصدر سبق ذكره، ص 213.

80 توفيـق، سـعد حقـي. (2003). علاقـات العـرب الدوليـة فـي مطلـع القـرن الحـادي والعشـرين. ط 1. عمّـان: دار وائل للنشـر والتوزيـع. ص 378. وانظـر: Hajar,Liza. Autumn/2006.."International Humanitarian Law and "Wars On Terror" A comparative Analysis Of Israeli And American Doctrines". Journal Of Palestine Studies. p28

قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي باغتيال القائد العسكري لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" محمود أبو هنود في صيف 2001، وألحقت ذلك بسلسلة من الضَّربات المهمة لقادة الحركة الميدانيين. زار آريئيل شارون بعدها واشنطن وهو "مطمئن" على أمن شعبه الّذي خاطبه قائلاً: "إنَّ وضعنا الأمني جيد بالتّأكيد، فقد وجدنا طريقة تمكننا من مواجهة الإرهاب بشكل فعّال ومن دون تصعيد".[81] وأشار بذلك إلى سياسة الاغتيال الّتي مارسها ضد القادة الفلسطينيين، وحملة التَّصعيد العسكرية والعدوان على الشَّعب الفلسطيني، بشكلٍ غير مسبوق حتى باتت سياسة القتل والاغتيال قراراً مشروعاً له.

أمام حملة التَّصعيد وعمليات الاغتيال جاء الرَّد الفلسطيني بزيادة العمليات الاستشهادية، الّتي تزامنت مع أحداث 11 سبتمبر، حيث لعبت دوراً كبيراً لدى الرّأي العام الأمريكي، الّذي نجح في الرّبط بين ما حدث في واشنطن ونيويورك، وبين ما يحصل في إسرائيل، الأمر الّذي أسهم في إطلاق دخول مفهوم الإرهاب على النِّضال الوطني الفلسطيني، لما استحوذه من مِساحةٍ في وسائل الإعلام. وفي خطوةٍ تصعيدية من جانب الإدارة الأمريكية رفض بوش الابن لقاء الرَّئيس ياسر عرفات، معتبراً أنَّ الإسرائيليين سيبقون ضحايا للإرهابيين، وستقوم إسرائيل بالدِّفاع عن مواطنيها، فيما عبّرت مستشارة الأمن القومي آنذاك كندوليزا رايس عن عدم قيام عرفات بما يكفي من جهدٍ ضد "الإرهاب".[82]

شكَّلت التَّصريحات الأمريكية المتعاقبة الرّافضة للتعامل مع ياسر عرفات، خطوةً أولى على طريق تهيئة الرّأي العام، بأنَّه لم يعد الشَّخص المناسب فلسطينيًّا لإيجاد مخرج للصِّراع معه.

---

81 تداعيات 11 سبتمبر والانتفاضة الفلسطينية".(استرجعت بتاريخ: 7/1/2007). www.aljazeera.net/NR/exeres/AC36DFA4-82CE-40BF-9170-A55

82 Hajar,p15 – 17.

وبرز ذلك في تصريح بوش الابن بتاريخ (4/4/2002) عندما اعتبر الرّاحل ياسر عرفات المسؤول الأول عن العنف، وأنّه خيّب آمال شعبه نتيجة عدم حزمه في محاربة الإرهاب والعنف ومن يقف وراءه. وكان صادف تصريح بوش الابن إعلان آريئيل شارون بتاريخ (29/3/2002) أنّ ياسر عرفات عدو يجب عزله.[83]

من هنا؛ انطلقت الحملة الأمريكية على لسان بوش الابن بتاريخ (24/6/2002) الّتي وضّح من خلالها سياسته تجاه الشّرق الأوسط، وطالب فيها الفلسطينيين باختيار قيادة بديلة عن قيادة ياسر عرفات لا تقبل التّهاون أو التّنازل أمام الإرهاب. وأعلن أنّ بلاده ستسعى لمساعدة الشّعب الفلسطيني في إقامة دولة لهم ذات حدود مؤقتة حتى يتم إيجاد تسوية دائمة في الشّرق الأوسط، على أساس القرار 242 و 338 والقدس واللاجئين، وحتى يتم ذلك من وجهة النّظر الأمريكية، يتطلب من الفلسطينيين إيجاد قياداتٍ جديدة قادرة على تنفيذِ اتفاقٍ نهائي في غضون ثلاث سنوات.[84]

تقاطع مطلب الرّئيس بوش الابن مع مطلب آريئيل شارون بتغيير القيادة الفلسطينيّة بأخرى تحظى برضا واشنطن وتل أبيب وموافقتهما، في محاولةٍ اعتبرت التفافاً على الشّرعية الفلسطينية، وتهدف للقضاء على كلِّ رمزٍ من رموز المقاومة والقضية تمهيداً لتصفيتها.

ترافق إعلان بوش الابن استبعاد ياسر عرفات مع سعي الولايات المتحدة الحثيث للضّغط عليه لقبول استحداث منصب رئيس الوزراء، وترشيح محمود عباس لهذا المنصب؛ حيث قَبِلَ الرّئيس

---

83 "السلطة الوطنية الفلسطينية... إلى أين؟". 30/3/2002. (استرجعت بتاريخ:16/7/2003). http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BE3B1413-A64F-408C-82F3-CAA732DF0311.htm

84 الخيرو، خالد. "واشنطن تصالحت مع شارون وتصالحت مع أصحاب الأرض". جريدة الزمان. العدد 1249. 2/7/2002. (استرجعت بتاريخ: 12/5/2005) www.Azzaman.com/azzaman/articles/2002/7/7-01/799.htm

ياسر عرفات بذلك، وأُقرَّ في المجلس التَّشريعي بتاريخ (18/3/2003) من خلال تعديل القانون الأساسي، ومنح رئيس الوزراء صلاحيات تنفيذية. اعتبر الرّئيس ياسر عرفات هذه الخطوة محاولةً لسحب البساط من تحت قدميه، لتجريده من صلاحياته التَّنفيذية، تمهيداً لعزله كونه أصبح غير مرغوبٍ فيه لدى واشنطن وتل أبيب لعجزه عن قمع "الإرهاب". وقد رحَّب الرئيس بوش الابن في خطاب له بتاريخ (14/3/2003) بمنصب رئيس الوزراء، وحثّ الرئيس الأمريكي بوش الابن محمود عباس (أبو مازن) على أن يأخذ أكبر قدرٍ من الصّلاحيات، ويعمل على وقف الانتفاضة.[85]

راودت فكرة إبعاد أو عزل الرَّئيس ياسر عرفات آريئيل شارون منذ فترة، لدرجة أنّ الكثيرين اعتبروا ذلك ثأراً بين (شارون وعرفات) منذ حصار بيروت في العام 1982. جرى المضي في تنفيذ خطَّة عزل الرئيس ياسر عرفات منذ (3/12/2001)، رغم ما كان يقوم به أنتوني زيني من جهودٍ لعودة الهدوء إلى المنطقة، وحثّ الفلسطينيين على الالتزام بالتَّهدئة بعد أحداث 11 سبتمبر. تجاوب الرئيس عرفات مع هذا المطلب في خطابه بتاريخ (16/12/2001)، الّذي جاء فيه: "إنني أؤكد مجدداً اليوم الوقف الشّامل والفوري لجميع الأعمال المسلحة، وبخاصة الهجمات الانتحارية،[86] وذلك في محاولةٍ منه لإثبات حسن النِّية.

جاء الرَّد الإسرائيلي على تصريحات ياسر عرفات بمنعه من مغادرة مقره، ومن حضور احتفالات أعياد الميلاد في مدينة بيت لحم. وتصاعدت الحملة الإسرائيلية ضده وتمَّ الإعلان عن

---

85 "استحداث منصب رئيس وزراء في السلطة الفلسطينية بين المصلحة والشروط الصهيونية". 20/3/2003. (استرجعت بتاريخ: 5/6/2006). http://www.palestine-info.info/arabic/analysis/2003/20_2_03.htm

86 الطناني، معين. "حصار الرئيس عرفات والاجتياح الإسرائيلي". (استرجعت بتاريخ 20/5/2007) · http://www.oppc.pna.net/mag/mag5-6/new_page_1.htm

استمرار الحصار المفروض على الرئيس عرفات بموافقة جميع أعضاء الحكومة الإسرائيلية على ذلك بتاريخ (24/2/2002).[87]

بقي ياسر عرفات محاصراً في مقره (وإن كان راج عن إمكانية إطلاق سراحه من مقره برام الله مقابل صفقة مع إسرائيل يتمُّ من خلالها إلغاء لجنة تقصي الحقائق الدولية بمذابح مخيم جنين) حتى اتَّخذت إسرائيل قراراً مبدئيّاً بطرد الرَّئيس عرفات؛ بقرارٍ من المجلس السياسي الأمني الإسرائيلي في(11/9/2003) بدعوى أنّه يشكل عقبة في طريق السلام وذلك في أعقاب العمليتين الاستشهاديتين اللتين وقعتا في القدس وصرفند بتاريخ (9/9/2003).[88]

شكّل هذا القرار انعطافاً نحو التّعاطي الإسرائيلي – الأمريكي تجاه القضية، والذي واجهه الرّاحل ياسر عرفات بالرَّفض والصُّمود معلناً ذلك في مقولته الشَّهيرة:"يريدونني طريداً أو أسيراً، أما أنا فأقول لهم: شهيداً". وقد تمكن بعدها الرّئيس ياسر عرفات من تحريك موجات من تظاهرات الغضب الفلسطيني المؤيدة له الرّافضة لسياسة عزله، ولخطط إسرائيل وأمريكا. كشف هذا القرار انحرافاً في التَّوجه الإسرائيلي تجاه قيادة السُّلطة ممثلةً بالرئيس عرفات، وشرعيته كقائدٍ منتخب ومعترف به دوليًّا. إضافة إلى تحويل الرّأي العام عن القضية الأساس، بتقليص الصِّراع إلى مجرد مطالب إصلاحية تتعلق بالسُّلطة ومن يقوم عليها، بشكلٍ غير مسبوق.

لقد حَقَّقت إسرائيل من المكاسب بعد أحداث 11 سبتمبر ما لم تكن لتحققه بهذه السُّرعة، حيث تمكنت من القضاء على معظم البنى التّحتية للسُّلطة الفلسطينية باعتبارها كما روّجت "سلطة

---

87 المصدر السابق.

88 المسلمي، عاطف. "ردود الأفعال الإسرائيلية على قرار إبعاد الرئيس عرفات". (استرجعت بتاريخ: 16/1/2006). http://www.oppc.pna.net/mag/mag11-12/new_page_3.htm

إرهابية".[89] كما ضاعفت هذه الأحداث من التحالف الاستراتيجي والتعاون العسكري والمناورات المشتركة بينها وبين الولايات المتحدة، ودعَّمت تفوقها العسكري الذي شهد تطويراً كما في إطلاق قمر التجسس"أفق5" بمساعدة واشنطن، لمراقبة الدول العربية لتحقيق أهداف استراتيجية لها، والتوقيع على مذكرة تفاهم تضمن التزام الولايات المتحدة بالاستمرار في تقديم المساعدات السنوية لإسرائيل على المدى البعيد.[90]

هذا ما أكده بوش الابن في خطابه بتاريخ (11/1/2007) المتعلق بتوضيح السّياسة التي ستعتمدها الإدارة الأميركية في المنطقة، حيث أكد على السياسة التي تنتهجها إدارته لجهة مكافحة الجماعات الإرهابية المتطرفة، ولجهة إصرار واشنطن على استخدام قوتها العسكرية؛ لعدم السماح لهذه الجماعات بالانتصار في العراق، وجعله مركزا لتقويض الاستقرار في المنطقة عموما. وكذلك من أجل احتواء النّفوذين الإيراني والسّوري في العراق بمختلف الوسائل. وهذا يتطلب تعزيز الوجود العسكري الأميركي في العراق وفي المنطقة.[91]

دعمت جولة كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية، ووزير الدِّفاع روبرت غيتس في اجتماعهما مع ثمان من دول المنطقة بتاريخ (29/7/2007) جهود توفير الأسلحة للدُّول التي تعتبرها حليفة في المنطقة؛ للوقوف في وجه سورية وإيران وحزب الله (أي قوى الرَّفض والمقاومة) وكذلك ضد تنظيم القاعدة. وقد كشف إيهود أولمرت عن زيادة المساعدة العسكرية

---

89 خليل، محمود ."التوازن العسكري في الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد 11 سبتمبر 2001". السياسة الدولية. أكتوبر/2002. العدد 150. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 17/7/2006). http://www.siyassa.org.eg/asiyassa/ahram/2002/10/1/TOCC0.htm

90 المصدر السابق.

91 كيال، ماجد."المسؤولية العربية عن السياسة الأمريكية الشرق أوسطية". (استرجعت بتاريخ: 18/1/2007). http://almash-had.madarcenter.org/almash-had/viewarticle.asp?articalid=3308

الأمريكية لإسرائيل لتصل حوالي 30 مليار دولار في السنة، بهدف بقاء تفوق إسرائيل العسكري لمواجهة خصومها.

أكدت تحولات السِّياسة الأمريكيّة (تولاها الجمهوريون أم الدّيمقراطيون) تجاه القضية الفلسطينية، مدى اهتمام الولايات المتحدة بمصالحها، وتقديمها على أيِّ هدفٍ آخر. ويظهر ذلك من خلال الولاء للكيان الصِّهيوني، والحفاظ على أمنه، كونه يقوم بالحفاظ على تلك المصالح. ويُستدلُّ من ذلك، أنّ الثّابت في سياسة واشنطن تجاه الصِّراع العربي- الإسرائيلي استمرارية الولاء لإسرائيل ودعمها، والنظر إليها من زاوية "أمن إسرائيل أولاً وأخيراً". وهذا أسهم في خلق وقائع على الأرض الفلسطينية تدعم مطالب إسرائيل؛ كتوسيع الاستيطان، وتشجيع هجرة اليهود وتوطينهم في المستوطنات. وتشير الوقائع على الأرض، منذ فترة أوسلو إلى ما بعد وقوع أحداث 11 سبتمبر، أنَّ عملية الاستيطان شهدت ذروة لم يسبق لها مثيل، أسهمت في خلق واقعٍ سياسي واقتصادي لا يضمن للفلسطينيين تحقيق أيِّ استقلاليةٍ بأيِّ حلٍّ يُطرح مستقبلاً. كما أنَّ توفير الدّعم الدّولي لإسرائيل عبر حق النقض "الفيتو"، سحب البساط من تحت يد الهيئات الدّولية، لعدم قيامها بتنفيذ القرارات الصّادرة بحقِّ القضية الفلسطينية، حتى باتت الهيئة الدّولية مظلةً لدعم إسرائيل، وإثارة الشَّفقة عليها.

يمكن القول: استطاعت أحداث 11 سبتمبر أن تفرز تغيّرًا جوهريًّا في سياسة واشنطن تجاه القضية الفلسطينية، فصعّدت من حربها على ما تسميه "الإرهاب"، وغيرت لهجة خطابها السّياسي تجاه الفلسطينيين بصورة عكست انحرافاً واضحاً في تغير التَّعامل الأمريكي مع القضية الفلسطينية بمستوياتها وأطيافها كافة.

مبادرات الولايات المتحدة المطروحة لحل القضية بعد 11 سبتمبر

أطلقت الولايات المتحدة خلال حملتها على الإرهاب مبادرات عدّة تتعلَّق بالقضية الفلسطينية. فقد كرست واشنطن من جهودها تجاه الوضع الفلسطيني بشكل لافت بعد أحداث 11 سبتمبر، لدرجةٍ شهدت فيها القضية حِراكاً أمريكياً غير مسبوق، بهدف إيهام الرّأي العام بنوعٍ من التَّوازن في تعاملها، وفي ظلِّ شعارها المرفوع "من ليس معنا فهو ضدنا"، ووقوف السّلطة الفلسطينية في صف واشنطن ضد الإرهاب، حيث دان الرّاحل عرفات هذه الأحداث، وسارعت الفصائل كافةً آنذاك لإدانة قتل الأبرياء.

وقد صرَّح بوش الابن بعد مرور سنة على فترة رئاسته الأولى، أنَّ أولوياته هو وقف العنف، والالتزام بما جاء في أوسلو وواي ريفر، ووقف جميع أشكال التحريض، ووقف بناء المستوطنات، والبدء بمفاوضات مبنية على قرارات مجلس الأمن 242 و 338، وقرارات مؤتمر مدريد. وتحدَّث أمام الأمم المتحدة بتاريخ (10/11/2001) قائلاً: "نعمل ليوم تعيش فيه دولتان: إسرائيل وفلسطين معاً بشكل سلمي ضمن حدود آمنة ومعترف بها كما دعت لذلك قرارات مجلس الأمن".[92] فجاء حديثه عن الدولة الفلسطينية، كجزء من التصور الأميركي لحل القضية الفلسطينية، قابله الفلسطينيون والعرب بارتياح رغم عدم وضوح الآليات في ذلك. فإعلان بوش هذا جاء استغلالاً للإعلان الفلسطيني عن وقف إطلاق النار من جانب واحد عقب تلك الأحداث؛ بهدف استعطاف الولايات المتحدة، ودفعها إلى التوازن في موقفها من القضية الفلسطينية، بخلاف

---

[92] صلوخ، مصدر سبق ذكره، ص 325 – 326.

الموقف الإسرائيلي الذي اعتبر فترة التهدئة من قبل الفلسطينيين فرصة لإضعاف الكثير من عناصر المقاومة وضربها.[93]

وقد تبع ذلك إعلان وزير الخارجية الأمريكي السابق كولن باول بتاريخ (20/11/2001) المتعلِّق بِ "رؤيته" لحل القضية الفلسطينية كإفرازٍ لأحداث 11 سبتمبر، التي كان عنوانها الرئيسي العودة إلى المفاوضات، واتخاذها سبيلاً للحل. فأوصى بوقف العنف بناء على ما ورد في تقرير"ميتشل" المعلن بتاريخ (30/4/2001)، الذي نصَّ على إنهاء العنف، واستخلاص العِبَر للمستقبل، وإيجاد طريق للعودة إلى مسيرة السلام، والعودة إلى التعاون الأمني.[94] حرص كولن باول في رؤيته تلك على ألا تكون نقطةً للوم أو الاتهام، أو أن تُصبحَ مصدرَ خلافٍ(خصوصاً أنَّها جاءت والمعارك دائرة في أفغانستان).[95]

لم تتضمن "رؤية باول" هذه جديدًا خارج سياق الدَّولةِ الفلسطينية، الّتي لم يُقدّم أيَّ شيءٍ حول تفاصيلها، باستثناء الحديث عن الاحتلال، وضرورة إنهائه. وقد عكست هذه الرُّؤية مدى تشبّث الفلسطينيين والعرب في قراءة جوانبها الإيجابية، رغم خوائها من آليات العمل، والتَّنفيذ كونها لم تطرح أيَّ خطواتٍ فعلية لتطبيقها، ومنحها إسرائيل التَّحكم في الجدول الزَّمني الّذي سيتمُّ فيه تنفيذ هذه الرّؤية.[96]

تتابعت المبادرات والمقترحات الأمريكية، وأوفدت واشنطن رئيس الاستخبارات الأمريكي جورج تينت للاطلاع على الوضع، وتقديم تقرير في ذلك. وقد اقترح تينيت ما بات يُعرف بِ "وثيقة

---

93 "تداعيات 11 سبتمبر والانتفاضة"، مصدر سبق ذكره.

94 "تقرير لجنة ميتشيل". 26/7/2007.(استرجعت بتاريخ 28/7/2007). http://www.fateh.de/arabish/arabic/doc/mit.htm

95 نوفل، محمود .(2002).الانتفاضة انفجار عملية السلام. ط 1. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع. ص 257.

96 حافظ، صلاح الدّين.(2003). كراهية تحت الجلد: إسرائيل عقدة العلاقات العربيّة الأمريكية. تقديم: محمد حسنين هيكل.ط 1. بيروت: دار الآداب للنَّشر والتوزيع. ص 104- 118.

تينيت" التي نصت على جدول زمني لوقف إطلاق النّار في الأراضي الفلسطينية، وتركزت أهم بنودها على الاعتقال الفوري لأعضاء حركتي حماس والجهاد الإسلامي المسؤولين عن الهجمات ضد الإسرائيليين، وَجَمْعِ السّلاح الموجود في أراضي السّلطة ومصادرته، ووقف التّحريض على العنف والهجمات على المستعمرات اليهودية (في الضّفة الغربية وقطاع غزة). أما على الجانب الإسرائيلي فقد كان مطلوباً منها وقف الهجمات على مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني، والانسحاب إلى ما كانت عليه قبل اندلاع الانتفاضة بتاريخ (28/9/2000).[97]

رافق التَّحرك الأمريكي بعض التَّحركات من الهيئة الدولية، التي لم يكن لقراراتها واجتماعاتها فاعلية لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر. فقد عقدت الأطراف السامية المتعاقدة في اتفاقية جنيف الرابعة اجتماعاً بتاريخ (5/11/2001) لم تحضره الولايات حيث أصدرت بياناً مفصلاً أكدت فيه من جديد أن الاتفاقية تنطبق على الأراضي المحتلة بما في ذلك القدس الشرقية.[98]

وقد جرت بتاريخ (14/12/2001) مناقشةٌ في مجلس الأمن بشأن قرار يدين أحداث العنف الدائرة على الأرض، ويؤيد إنشاء آلية للرقابة الدولية؛ لكنَّ المجلس لم يعتمد القرار بسبب استخدام الولايات المتحدة لحق النقض (الفيتو). ويُذكر أنّه استُخدمت عبارات مماثلة في القرار الصادر عن اجتماع الدَّورة، الخاصة الطّارئة، العاشرة للجمعية العامة في العشرين من الشهر نفسه. وفي كانون الأول 2002 قررت الجمعية العامة معارضة ضم إسرائيل الفعلي لمدينة القدس، فيما

---

97 "وثيقة تينيت.. السلطة تدرسها والفلسطينيون يرفضونها". 10/6/2001.(استرجعت بتاريخ 11/9/2007). http://www.islamonline.net/arabic/news/2001-06/10/article7.shtml

98 منظمة "مراقبة حقوق الإنسان"التقرير السنوي لعام 2003الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يتناول الفترة من نوفمبر 2001 إلى نوفمبر 2002". (استرجعت بتاريخ: 13/6/2006). http://hrw.org/arabic/mena/wr2003/isr-pal3.htm

صوتت أمريكا وإسرائيل ضد مشروع القرار(أي التَّصويت لصالح إسرائيل في ضـــمِّها للقـــدس) كسابقة خطيرة تجاه الصراع وكخطوة للقضاء على إمكانية التوصل لأي تسوية سياسية.[99]

أصدر مجلس الأمن خلال العام 2002 خمسة قرارات، ترافقت مع حملة التَّصعيد التي قـــام بهـــا الاحتلال الإسرائيلي، وعمليات الاجتياح للمناطق الخاضعة للسلطة الفلسطينية، وهي:

1- القرار رقم 1397 في (12/3/2002) الذي أكد لأول مرة "رؤيته للمنطقة بوجـــود دولـــتين، هما إسرائيل وفلسطين، تعيشان جنباً إلى جنب في حدودٍ آمنة ومعترفٍ بها".

2- القرار رقم 1402 في (30/3/2002) الذي أصدره المجلـــس فـــي أعقـــاب قيـــام الاحتلال الإسرائيلي بعملية السور الواقي في (29/3/2002)، ويدعو إلى وقف إطلاق النـــار وانســـحاب القوات الإسرائيلية من المدن الفلسطينية.

3- القرار رقم 1403 في (4/4/2002) والذي يطالب بتنفيذ القرار 1402.

4- القرار 1405 في (19/4/2002) الذي يرحب بتشكيل فريق لتقصي الحقائق فـــي مخيـــم جنين.

5- القرار 1435 في (25/9/2002) الذي يطالب إسرائيل بالتَّوقف عن جميع أعمال العنف.[100]

رغم عدم تنفيذ أي قرار من ذلك، كان يأتي طرح الولايات المتحدة لحل القضية الفلسطينية، دائماً، من الدعوة لضمان أمن إسرائيل أولاً، لأنَّ واشنطن ترى أنَّ الحفاظ على أمـــن إســـرائيل يعنـــي الحفاظ على أمنها. فقد أبرزت تلك الأحداث، ذلك الشّكل التّاريخيّ للعلاقات الإسرائيلية الأمريكية الّذي تُوَظَّف فيه القضية الفلسطينيّة توظيفاً أمريكيّاً لصالح إسرائيل. وقد عبَّـــرت عنـــه حكومـــة

---

99 المصدر السابق.

100 نفس المصدر.

الجمهوريين الأمريكية التي وصلت إلى الحكم عام 2000 بتحميلها السلطة الوطنية الفلسطينية المسؤولية الكاملة عن فشل جهودها في التوصل إلى تسوية بين الجانبين، وإظهارها انحيازاً مطلقاً لإسرائيل بإعطائها الضّوء الأخضر لتقوم بالقضاء على الانتفاضة وبشتى السُّبل.[101]

فقد هيأت أجواء ما بعد تلك الأحداث فرصةً للولايات المتحدة لتبدأ بالابتعاد عن الطرح الإقليمي لحل القضية الفلسطينية، من خلال تغليب العامل الدولي "مطاردة الإرهاب"، والادعاء بعدم وجود شريك فلسطيني للتفاوض معه لإحلال السَّلام، في خطوة منها لإلغاء شرعية هذا الوجود الّذي كرسته الهيئات الدولية.[102]

وبناءً على ذلك، طُرحت خريطة الطَّريق كخطوةٍ مهمة لحلِّ الصِّراع، وتهدئة الأمور بين الفلسطينيين والإسرائيليين. فقد سلّمت المجموعة الرُّباعية الخاصة بالشَّرق الأوسط (الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة، روسيا) الأمين العام للأمم المتحدة بتاريخ (30/4/2003) خريطة الطَّريق الدّولية للسّلام الّتي كانت قد أعدتها في كانون الأول من عام 2002.[103]

وجاء في هذه الخطة:" لم يعد طرفا النزاع قادرين على حلِّ النِّزاع دون مساعدة من الخارج، لهذا تحتم وضع خطة طريق وزمن للوصول إلى هدف خلق الدولتين (خريطة الطريق) مع طرف ثالث معني بمراقبة العملية(عامل أمني دولي)، وتكريس ديمقراطية المؤسسات الفلسطينية، نظرًا لأنَّ الدَّولة الفلسطينية بجانب إسرائيل لا تكون قادرة على الحياة ما لم تتوفر لديها معطيات الإصلاح الجذري والدّيمقراطية".[104]

---

101 سعد الدين، مصدر سبق ذكره، الموقع الالكتروني: www.alghad.jo/?news=44486

102 نفس المصدر.

103 علاونة، كمال.(2004). خريطة الطريق وانتفاضة الأقصى والسلام المفقود. نابلس. ص 8 – 9.

104 المركز الإعلامي الألماني. (استرجعت بتاريخ: 20/10/2007). http://www.almania -info.diplo.de/Vertretung/gaic/ar/02/1__Nahosten/Roadmap__Seite.html

وكانت بنود خريطة الطَّريق نصَّت على إنهاء الفلسطينيين مقاومة الاحتلال فوراً، ووقف الهجمات ضد الجنود في الأراضي المحتلة عام 67، لِيتمّ بعدها إعلان إسرائيل الالتزام بالرُّؤية الخاصة بالدَّولتين. ونقل الإجراءات الأمنية إلى حين التَّنفيذ، وانسحاب الجيش الإسرائيلي تدريجيّاً من المناطق الّتي احتلها بعد (28/9/2000).[105]

أمّا النقطة البارزة في خريطة الطَّريق فكانت التَّركيز على البند الأمني وليس السِّياسي؛ ما اعتبر شكلاً آخر من أشكال إهدار الحقوق المشروعة للشّعب الفلسطيني؛ وذلك لأنَّه رهن الصِّراع بوقف "العنف والإرهاب" وإيجاد قيادة فلسطينية تعمل لذلك. أمّا انسحاب إسرائيل من غزّة – وإن بدا بصورةٍ ما نتيجة ضغط المقاومة– فهو جزء من هذه الخطة لتخفِّف إسرائيل عن كاهلها العبء العسكري والأمني.[106]

بات حديث الولايات المتحدة عن أيِّ تسويةٍ للصِّراع الفلسطيني– الإسرائيلي وفق القرار 242 والقرار 338، موضع تساؤلٍ بعدما جرى على الأرض من تغيرات: كالجدار العنصري الإسرائيلي، واستمرار عمليات التَّدمير والقتل المتعَّمد للفلسطينيين، ومواصلة الاستيطان وتهويد الأراضي الفلسطينيّة. أضف إلى ذلك التّفاوت في الأولويات والاهتمامات، في وقتٍ باتت فيه المؤسسة الدّولية ممثلةً بِالأمم المتحدة والشّرعية الدّولية تعيش أزمةً كبيرة تجاه القضية الفلسطينية تحديدًا. ثمَّ ضعف الموقف العربي المُؤثر في السّاحة الدّوليّة، وتعاظم القوّة الأمريكية، وخفوت فاعلية الأوروبيين وتوجُّهه لخدمة مصالح واشنطن، ناهيك عن تمكّن إسرائيل من توجيه سياسة

---

105 " نص خريطة الطريق". (استرجعت بتاريخ: 30/10/2007). http://www.pal-news.net/arabic/news.php?maa=View&id=127

106 سعد الدين، مصدر سبق ذكره، الموقع الالكتروني: www.alghad.jo/?news=44486

القوة الأمريكية في المنطقة، بما يخدم طموحاتها ومطالبها ويحقِّقها. وهذا يُشير إلـــى غيـــاب دور هذه المؤسسات الدّولية الفاعل، وإعطاء الفرصة للولايات المتحدة لجعل نفسها دولة فوق الشَّرعيّة والقانون الدّولي، لتعمل على تهميش أيِّ دور لمجلس الأمن، والأمم المتحدة حتى أعلنت عن عدم حاجتها لغطاءٍ منه (كما في حربها على العراق) مستغلةً حاجة هذه الهيئات لدعمها المالي.[107]

فالمشاريع الّتي طرحتها واشنطن لحلِّ القضية الفلسطينية بعد أحداث 11 سبتمبر، لاسيما حـــديثها عن الدَّولة الفلسطينية، لم تكن تستند إلى الأسس الدّولية، كمـــا إنَّ دعـــم واشـــنطن للممارســـات الإسرائيلية، جعل الفلسطينيين يتساءلون عمّا تبقى من طرقٍ لإيجاد حلٍّ عادلٍ لقضـــيتهم لاســـيما بعدما بدأه آريئيل شارون من خطط الانسحاب من جانب واحد، والّتي تـــوقفت بِتـــولي أولمـــرت الحكم. فوعود رؤساء أمريكا للقادة العرب عن "حلم" الدّولة الفلسطينيّة، باتت مُجرد وسيلة ناجعـــة لواشنطن تستخدمها لامتصاص حالة السُّخط العربي عند أيِّ تردٍ للأوضاع،[108] وهذا ما برز أكثر عندما اقترحت بتاريخ (3/5/2007) محدداتٍ أمنية لتسهيل حركة الفلسطينيين بين الضِّفّة وغـــزّة مع فترة تهدئة.

فمنذ عام 1948 دُمِّرت مئات القرى بدعوى ملاحقة المقاومـــة الفلســـطينية، وعمليـــات القتـــل والاغتيال المباشر للفلسطينيين، ولم يستطع مجلس الأمـــن إدانـــة المجـــازر الإســـرائيلية ضـــد الفلسطينيين بسبب الفيتو الأمريكي.[109] وبقيت الولايات المتحدة قبل أحـــداث 11 ســـبتمبر تتحكـــم

---

107 عاصي، جوني.(2004). الأمم المتحدة وأزمة الدّبلوماسية المتعددة الأطراف. تعقيب: ناصر جاد الله، وروجر هيكوك، تحرير: وسام رفيدي. ط 1. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد. ص 34 – 42.

108 فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص 377.

109 علي ديب، حسن.(2002). الولايات المتحدة الأمريكية من الخيمة إلى الأمبرطورية. ط 1. دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية. ص 8، وص 422 ــ ص 424. وانظر" فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص 348.

بالقضية بعيدًا عن أيِّ دورٍ فاعل لمجلس الأمن أو الأمم المتحدة أو أيِّ طرفٍ كان، فكيف سيكون تعاملها بعده؟! وبخاصةٍ أنَّها استخفت بهذه الهيئة الدّولية.

وحاولت دول كثيرة منذ نشأةِ القضية الفلسطينية عام (1947) إيجاد صيغةٍ لحل القضية من خلال الجمعية العامة للأمم المتحدة، وطرحت خياراتٍ كثيرة ومتنوعة، واتّخذت الأمم المتحدة قرارات عدّة للحلِّ لكن دون أيِّ تنفيذٍ لها على الأرض.

وعلى امتداد مراحل الصِّراع الفلسطيني – الإسرائيلي؛ تقدَّمت الإدارة الأمريكيّة (سواء الجمهورية أو الدِّيمقراطية) بمبادراتٍ كثيرة لحلِّ القضية الفلسطينية. ووقفت على الجهة الأخرى موقفاً معارضاً لعشرات القرارات الدولية التي صدرت بحقِّ القضية الفلسطينية، واعتبرتها لا تخدم مصالحها ومصالح حليفتها إسرائيل. ولذلك لم تتورع عن استخدام الفيتو لمنع تمرير هذه القرارات، رغم أنَّ جَذوةَ الصِّراع لم تهدأ منذ نشأته، وتخلَّلته حروبٌ وثوراتٌ عدّة.

الموقف الفلسطيني من المتغيرات التي تبعت أحداث 11 سبتمبر وكيفية التعامل معها:

تباينت مواقف الفلسطينيين بشتى فصائلهم، خلال انتفاضة الأقصى وقبل أحداث 11 سبتمبر حول وسائل النِّضال ومحددات أي عملية تفاوض مع الإسرائيليين. ورغم ظهور ما يشبه التَّوافق في المواقف بين فتح وحماس فيما يتعلق بالجانب العسكري من المقاومة، وتشكيل فتح جناحاً عسكريّاً (كتائب شهداء الأقصى)، إلا أنَّ الحقائق والمتغيرات التي أحاطت بحركة فتح أثبتت غياب أيّ دورٍ فاعلٍ ومؤثر لها يُساعدها على تطوير أدوات تعاملها مع المتغيرات بما يخدم القضية.[110]

110- نوفل، (2002)، الانتفاضة انفجار عملية السلام، مصدر سبق ذكره، ص 111- 112.

في ظلِّ هذه الأجواء الفلسطينية غير المتكاملة، وأمام تراجع تيار دعاة السّلام- الحمائم- لصالح دعاة الحرب – الصُّقور- داخل إسرائيل، تصاعدت وحشية إسرائيل في مواجهة الفلسطينيين المنتفضين باستخدام مختلف وسائل الإبادة والتدمير والاعتقال، واغتيال رموز المقاومة الفلسطينية، مستغلة صمت الأنظمة العربية والدولية التي باتت عاجزةً حتى عن إبداء النقد والتنديد بهذه الأعمال الوحشية في ظل أوضاع دولية استثنائية بعد 11 سبتمبر.[111]

راهن "شارون" على عنصر الوقت، وأدرك أنّه لا بُدَّ من افتعال أزمةٍ ليعيد الأمور إلى نقطة الصّفر كلما تحقَّق للفلسطينيين مكسب ولو بسيط أو تقدمت المفاوضات قليلا، أو ازدادت الضغوط الدولية على إسرائيل.

كان الرّئيس الفلسطينيّ في غمرة أحداث 11 سبتمبر حذرا فتجنب تأييد تلك العمليات، ولم يتعاطف مع "ابن لادن" لأنَّه اعتبر أن الولايات المتحدة سَتُغيِّر من مواقفها تجاه الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وأنّها ستعمل على إنهائه، وحلِّ قضايا الفلسطينيين بما يتناسب والشَّرعية الدّولية. فأدان عرفات هذه العمليات وندَّد بها، وتبَّرع بدمه لصالح ضحايا الكارثة في خطوةٍ تضامنية. لكنَّ التطورات الميدانية جاءت مخيبة لهذه الآمال، فالولايات المتحدة استمرت في تأييدها اللامشروط لإسرائيل، وضمَّت لأوَّل مرَّة فصائل فلسطينيّة إلى قائمة المنظمات، والقوى الّتي تتهمها بالإرهاب، كما شكَّكت في مصداقية الرَّئيس الفلسطيني كشريكٍ مناسبٍ للسَّلام المنشود.[112]

---

111 المصدر السابق. ص 112 – 114.

112 لكزيني، مصدر سبق ذكره، الموقع الالكتروني: www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=66844

رغم كلِّ بوادر التّحولات السَّلبية الّتي بدأت ترتسم أمام الفلسطينيين؛ لم تتبنَّ الفصائل الفلسطينية رؤية فلسطينية موحدة وذات أهداف واضحة في النِّضال أو في العمل السِّياسي، لا سيما أنّ ضغط المقاومة وردة فعل الاحتلال عليها أرهق المواطنين الفلسطينيين، الذّين باتوا يضيقون ذرعًا بِما وصلوا إليه، مع ازدياد الضّغط والعبء السياسي والاقتصادي والاجتماعي عليهم، نتيجة ما حملته أحداث 11 سبتمبر.

ففي ذروة تصاعد أعمال المقاومة والانتفاضة، وانشغال الفصائل الفلسطينيّة في أحداثها ومتطلباتها؛ لم تتمكّن الفصائل من إيجاد صيغة موحدة للعمل الوطني تتماشى مع الأحداث. وكل ما برز من أطرٍ وحدوية فلسطينيّة، هو تشكيل لجنة من القوى الوطنية والإسلامية (كما كان يظهر توقيعها على البيانات الصادرة) دون تحديد هيكلية تنظيمية جماهيرية لها. وفشلت الفصائل الفلسطينية خلال الأشهر وحتى السنوات الأولى من انتفاضة الأقصى، من تشكيل قيادة وطنية موحدة. فكانت نتيجة ذلك تعدد الخطابات السياسية والتنظيمية، إضافةً إلى خطاب السُّلطة ومواقفها المتباينة، الّتي أرادت من خلالها أن تحتكر إدارة الصِّراع مع الاحتلال، وأن تُبقي نفسها في الدّرجة الأولى لتسيير أمور الشَّعب، وأن تؤكد التزامها بالاتِّفاقيات الموقعة مع الجانب الإسرائيلي.[113]

انعكست تبعات ذلك على مدى الاستجابة الجماهيرية للانخراط في الفعاليات الجماهيرية، نتيجة ما أصاب هذه القوى من ترهلٍ في بنيتها التنظيمية، وإخفاقها في تكييف هذه البنى لمتطلبات الانتفاضة، واعتماد ما يشبه النَّمط الجهوي التّنافسي، الّذي كان كلُّ فردٍ فيه يعتبر نفسه مسؤولاً

113 عودة، أحمد فارس.(2006). بين الانتفاضتين. المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية. ص 340.

وصاحب الرّأي، الأمر الّذي أوجد بشكلٍ لافت قياداتٍ عِدّة، وأجنحة عسكرية مختلفة، كتائب الشّهيد عزّ الدّين القسام – كتائب الشهيد أبو علي مصطفى – كتائب شهداء الأقصى ..الخ.[114]

أثبت تطور الأوضاع على الأرض؛ فشل الفلسطينيين، ممثلين بفصائلهم، في تبني صياغة خطابٍ إعلامي يكون مقدِّمةً لإنشاء مركز أو قاعدة مقاومة مشتركة لها، تتبنّى توجيه أعمال المقاومة ودراسة الظّروف الميدانيّة. بل أظهرت مستوىً من العشوائية واللاتوافق فيما بينها، فكان يتمّ تبني بعض العمليات الّتي تحدث من أكثر من تنظيمٍ، ما أدى إلى الكثير من التّراجع والفوضى في عمليات المقاومة؛ لدرجة أنَّ بعضها كُشفت قبل تنفيذها بسبب بيانات الفصائل الّتي تصدر دون تنسيقٍ بين مجموعاتِ المقاومة العسكرية.[115]

أشار هذا الانقسام الفصائلي في النِّضال وأعمال المقاومة، إلى ضعف الفصائل الفلسطينية نفسها وإلى عدم امتلاك القدرة على صياغة استراتيجية موحدة في عمليات المقاومة الموجّهة للاحتلال، والتي باتت تُنفَّذ بشكلٍ عشوائي ودون حسابات سياسية واضحة. وأثبتت العمليات التي تقوم بها مجموعة فصائل أنّها تتم بشكل منفرد فلا تؤدي إلى تحقيق هدفها السِّياسي، والكثير منها عمليات انتقاميّة وتأتي كردة فعل. كما غاب العمل السِّياسي الهادف الّذي تقوده قيادة مركزية قادرة على صنع القرار وفرضه، لتعبئة الرّأي العام الفلسطيني والعربي للتَّأثير على الرّأي العام الخارجي

---

114 عساف، عمر.(2004). حول الانسداد السياسي وآفاق المستقبل. تحرير: وسام الرفيدي. ط 1. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدّولية. ص 67 – 66.

115 بشارة، عزمي، (2002)، ما بعد الاجتياح في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ص 40 –41.

سواء الأوروبي أو الأمريكي وحتى الصِّهيوني، وحلت محله المنافسة الّتي وصلت حدَّ المـــزاودة بين الفصائل، على مَن قتل من الإسرائيليين أكثر.[116]

أدى انقسام قوى النّضال الفلسطيني وتشعب فصائلها واختلاف توجهاتها العقائدية، ومنطلقاتها إلى إعاقة العمل العربي عن الوصول إلى أهدافه في المحافظة على حقـــوق الشـــعب الفلســـطيني.[117] وجعلت دُعاة السّلام من الإسرائيليين يتراجعون ويتناقصون، كون المقاومون الفلسطينيون كانوا قد اعتقدوا أنَّهم بقتلهم المدنيين الإسرائيليين قادرون على إقناع الإسرائيليين بفك ارتباطهم بحكومتهم، وثنيها عن سياساتها المعتادة في القتل والتّدمير، وهذا ما برز عكسه. فالإسرائيليون الّـــذين تلقـــوا ضربات المقاومة لا سيما العمليات الاستشهادية، ونتيجة ما أصابهم منهـــا، انجـــرّوا أكـــثر وراء سياسة حكوماتهم الأكثر فظاعة.[118]

فالعمليات الاستشهاديّة انطلقت من إيمان الفصائل الفلسطينيّة من، أنَّ هنـــاك احتلالاً، هـــو قمـــة الإرهاب، وهناك الولايات المتحدة الأمريكية التي تُزوِّد إسرائيل بكل الأسلحة بما فيهـــا المـــدافع والطّائرات؛ وعليه لم يبقَ أمام الشعب الفلسطيني أيَّ سلاح سوى أجسادهم لمواجهة هذه القـــوة العسكريّة. كما اعتبرت الفصائل أنَّ الإنسان هو المدفع في الساحة الفلسطينية،[119] ورأت أنّ آليـــة الجهاد تفرضها حاجة المعركة، واستمرت في قتل الأمـــن الإســـرائيلي ردًّا علـــى قتـــل الأمـــن الفلسطيني،[120] الّذي صعّد من رده.

---

116 المصدر السابق، ص 40 –41.

117 الرشيدي، أحمد وآخرون.(2004). ماذا بعد إنهاء عملية التسوية السلمية. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مركز البحوث و الدراسات السياسية في جامعة القاهرة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص 189 – 202.

118 الأشقر، مصدر سبق ذكره، ص 87.

119 فضل الله، مصدر سبق ذكره، ص 208.

120 المصدر السابق، ص 205 – 213. وانظر: شعيب، مصدر سبق ذكره، ص 194 .

كان لا بد للمقاومين الفلسطينيين من تصعيد مستوى الصراع بينهم وبين الإسرائيليين نوعياً وكمياً دفاعاً عن الأرض، وعدم الاستسلام للعدوان، بل التصدي له والنّضال بجميع الأساليب لمنع تحقيق أطماعهم.[121] فجميع أنواع المقاومة ضرورية كي تستشعر إسرائيل أن احتلالها للأراضي الفلسطينية، سيكون باهظ الثَّمن وأكثر مما تتصوره.[122]

فالعمليات الاستشهادية التي استهدفت المطاعم والحافلات في حيفا وتل أبيب والقدس أثرت إلى حدٍّ ما في التقليل من النعت اللاأخلاقي لها إذا ما قورنت بما يمارسه المحتلون. فالسياسات الصهيونية لم تتورع لحظةً عن استخدام العقاب الجماعي، والإغلاق، والعزل والتّدمير مُسببةً الأذى للفلسطينيين، فكانت العمليات رداً على هذه السِّياسات.[123]

وبالنَّظر إلى أعمال المقاومة التي قامت بها الفصائل الفلسطينيّة ضد الاحتلال الّذي لا يمكن أن يُبَرَّرُ له بأيِّ شكلٍ من الأشكال أعماله القمعية والوحشية ضد الفلسطينيين، فإنّ مستوى التّعامل الّذي سلكته فصائل المقاومة من أجل القضية كان أقل مما يتطلب منها. فكانت المحافظة على سرّية عملها وقدسية جهادها ضروريّة؛ فلا يكون هدفها إصدار البيانات والرَّسائل، والبحث عن النَّتائج الآنية، باستخدام التَّهديد والوعيد على أفعال الاحتلال، وبخاصةٍ بعد التَّغير الّذي جرى وخلط الولايات المتحدة بين المقاومة والإرهاب بعد 11 سبتمبر.[124]

---

121 صلوخ، مصدر سبق ذكره، ص 297.

122 المصدر السابق، ص 298.

123 روا، أوهام 11 أيلول المناظرة الاستراتيجية في مواجهة الإرهاب، مصدر سبق ذكره، ص 103 – 104. وانظر: جيروم سليتر.(د.س). دراسات عالمية انهيار العملية السّلمية الفلسطينيّة – الإسرائيلية أين الخلل؟. ط 1. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. ص 34

124 صلوخ، مصدر سبق ذكره، ص 158 – 159.

إنَّ ما يمكن تسميته بِ "التَّخبط" في العمل المقاوم دفع الفصائل الفلسطينية إلى الاستجابة للعديد من المطالب الّتي تدعو للتَّهدئة. كما أنَّ الانقسام الفصائلي في حوارات الفصائل الفلسطينية الّتي تمَّت في القاهرة وبرعاية مصرية بالدَّرجة الأولى، انصبّت على ما يُسمّى وقف عسكرة الانتفاضة والتّوصل إلى هدنة مؤقتة (من ستة أشهر إلى سنة).[125] ويُذكر أنّه لم يتم تحقيق أيّ مطلب من المطالب المطروحة، التي باتت تَشترط وقف أعمال القتل والتَّدمير الّتي يقوم بها الاحتلال ضد الفلسطينيين، مقابل وقف العمليات، الأمر الّذي أبعدها شيئاً فشيئاً عن المطالبة بالقضايا الوطنية الرَّئيسة.

وقد سُجِّل للفصائل الفلسطينية في انتفاضة الأقصى فشلها في تشكيل قيادة وطنية موحدة، تتبنى تحقيق أهداف المواطنين الفلسطينيين الّذين يخوضون انتفاضة، استطاعت، للحظةٍ، أن تستقطب تعاطف العالم معها. وهذا أضعف من فعالية هذه الفصائل رغم المستوى المتقدِّم من النِّضال الّذي استطاعت الوصول إليه.

كان الجزء الهام خلال تصاعد وتيرة الانتفاضة، أنَّ النِّظام السِّياسي الفلسطيني ممثلاً بالسُّلطة، لم يُحدِّد أيضاً جدول الأهداف التي كان يسعى لها إلا ما خلا شعار "الدَّولة المستقلة"، مع وجود اجتهادات داخلية كثيرة ومتباينة، ولم يقم بأيِّ خطوة فاعلة لحشد القوى السياسية، والاقتصادية والإعلامية والجماهيرية، وحتى القوى العسكرية المحدودة لتحقيق الأهداف الفلسطينية، ولتغيِّب أي هدفٍ للاحتلال عن الساحة.[126] فغياب المأسسة والقرار الجماعي أدى إلى عدم صياغة

---

125 عثمان، عوض وآخرون، ماذا بعد إنهاء عملية التسوية السلمية، مصدر سبق ذكره، ص 295 – 314.

126 صالح، عبد الجواد. (استرجعت بتاريخ 17/5/2006). http://cust-eval5.lbwa.dn.net/NR/exeres/2A6019DA-3B9D-44FC-A00C-8FB6B378B844.htm

استراتيجية واضحة للفلسطينيين للوصول إلى سقفٍ معيّن من مطالبهم، لاستثمار الأجواء بما يخدم مصالحهم. وسيطرت حالة من التَّخبط الفلسطيني في الانتفاضة طال حتى مسماها، فسُمِّيت مـــرةً بانتفاضة الاستقلال ومرةً أخرى بانتفاضة الأقصى، حتى بات عدم التَّوافق عنوان التَّداول الأكـــثر جدلاً. ولم تظهر أيّ صياغةٍ لأيِّ نتيجةٍ يسعى مُسَيِّرو الانتفاضة الوصول لها، والأهداف السياسية المراد تحقيقها من ذلك؛ بفعل عقلية التفرد التي سادت، على الرغم من ظهور توحد في الميـــدان من ناحية أكبر الفصائل الفلسطينية ممثلة بفتح وحماس.

وكنتيجةٍ لغياب الوِفاق السِّياسي، كان من الطَّبيعي أن يغيب الخطاب الإعلامـــي الّـــذي احتكرتـــه السلطة الفلسطينية، فانصبَّ يعكس المواقف الرسمية لها المرتكـــزة علـــى التقـــارير الإعلاميـــة المراقبة. فأظهر عدم قدرة القيادة الرَّسمية والسّلطة الفلسطينية على التّعامل مع الانتفاضة بشـــكل صحيح، لدرجة أنَّ السّلطة الفلسطينيّة لم تتورع عن إبداء استعدادها لتقديم تنازلات من أجل إنجاح أيِّ مفاوضاتٍ.[127] وتعامل الإعلام الفلسطيني مع الانتفاضة "كأداة وظيفية لتحسين شروط اللقاءات مع الطَّرف الإسرائيلي دون النظر إليها باعتبارها حدثاً فلسطينياً غيَّـــر الكـــثير مـــن طموحـــات الإسرائيليين، وفرض عليهم نوعاً من المواجهة لم يروا مثلها من قبل.[128]

انعكست أصداء هذه الانقسامات عندما وقعت أحداث 11 سبتمبر، فالانفجارات الـــتي دوت فـــي نيويورك وواشنطن، أعادت اصطفاف القوى السياسية داخل مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني، في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتوزعت عناصره القيادية الفلسطينية ما بين ثلاثة تيـــارات: أولهـــا

---

127 عودة ، مصدر سبق ذكره، ص 342.

128 فؤاد، أحمد. "القضية الفلسطينية". لقاء أجراه: عبد الرحيم علي. 3/10 /2004. (استرجعت بتاريخ: 26/9/2005). http:/www.islamonline.net /Arabic/ politics/2004/10/article02.shtmlas retrieved on 26 sep 2005 06 :29:30

التَّيار الفلسطيني الّذي بات ينعت بـ"المعتدل" والمهاون للاحتلال، والخائف من الانتفاضة، والمروِّج لعدم جدواها، ولأهمية المراهنة على موقف الإدارة الأمريكية، رغم كل تحيزها لإسرائيل. ثمّ التيار المساوم، الذي يرى في الانتفاضة مجرد ورقة يمكن من خلالها تحسين موقع المفاوض الفلسطيني وليس أكثر. أما التيار الثالث فهو المقاوم الذي يدير ظهره لمهادنة الأعداء ومساومتهم، ويتشبث بالمقاومة حتى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.[129] هذا التيار المعارض لنهج التسوية منذ أوسلو ممثلاً بشكل واضح بحركتي حماس والجهاد الإسلامي، رفض أي وقف للكفاح المسلح، لكنّه أبدى الاستعداد للدخول في هدنة مع الاحتلال يتمّ خلالها وقف كافة العمليات المسلحة شرط أن يُوقف الاحتلال كافة أعماله القمعية ضد الفلسطينيين.

كما أظهرت قضية المقاومة وأهدافها ووسائلها المختلفة مدى التباين الواضح في الاستراتيجية الفلسطينية؛ فإحداهما ترى أنّ المقاومة لا تجوز إلا ضد الجنود والمستوطنين داخل أراضي 67، والأخرى ترى المقاومة مفتوحة ضد المحتل في كلِّ شبرٍ على أرضِ فلسطين الكبرى من النَّهر إلى البحر، وعلى الجانب الآخر بدا أنَّ هناك وجهات نظرٍ متباينة فيما يتعلق بالموقف من المدنيين الإسرائيليين.[130]

إنَّ فقدان التَّوافق الفلسطيني تجاه أهداف الانتفاضة والمقاومة بشكل خاص ومطالبها بعد حدث 11 سبتمبر؛ أظهرها لدى الغرب على غير ما كانت ترجوه كفصائل كفاح من أجل التّحرر، الأمر الّذي أفقدها فاعليتها وأدخلها درج الإرهاب رغم الفوارق الكبيرة والواضحة بينهما.[131] وهنا برز

---

129 ياسين، عبد القادر. "الانتفاضة إلى أين؟". 10/10/2001. (استرجعت بتاريخ: 2/10/2006). islamonline.com..www

130 علي، عبد الرحيم. "الفصائل الفلسطينية.. استراتيجيات متباينة-المقاومة.. برنامج سياسي أم سياسات انتقامية؟". 29/12/2003. (استرجعت بتاريخ 10/4/2004). islamonline.com..www

131 سعيد، ادوارد. (2004). إسرائيل العراق الولايات المتحدة. ط 1. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع. ص 19 – 70 .

دور الإعلام الفلسطيني ومسؤوليته تجاه نقل الأوضاع وتسييرها بما يخدم القضية حتى يكون فاعلاً، كون "السياسة والإعلام في العالم المعولم يكونان متكافئين" كما يقول إدوارد سعيد.[132]

تعود حالة الخلل في التَّعامل مع مستجدات الأحداث، وحالة التَّردي الّتي أصابت الواقع الفلسطيني، في جزءٍ منها إلى الخلل في بنية النِّظام السِّياسي الفلسطيني، الَّذي غابت عنه السِّياسة الإعلاميّة الفاعلة، وتغييب المصدر الرَّسمي المختص بإعطاء التّقارير الدَّقيقة عن مجريات الأمور والخسائر الفلسطينية، والوقوف فقط مع الجانب الخاص بالسُّلطة وما تقدِّمه من تقارير إعلامية مراقبة وحتى متناقضة.[133] فانعكس ذلك في تغييب الدّور الفاعل للفصائل والأحزاب والحركات السِّياسية الفلسطينية، إلا ما استثنيَ منها من تنظيم المسيرات وتحديد أيام الحداد، الَّتي تسابقت فيها رايات الفصائل في الجنازات والمظاهرات أكثر من مضامينها.[134] لقد شكَّلت التَّباينات الّتي وصلت درجة الاختلاف في السّاحة الفلسطينية كما ظهر سابقاً، مدخلاً استغلته الإدارة الأمريكية بعد 11 سبتمبر لتعميق الفجوة بين الفصائل الفلسطينية، عبر تصنيف بعضها بأنَّها إرهابية وبعضها بالمعتدلة مع دعم هذا الطَّرف على حساب ذاك. ازداد بعد الانتخابات التشريعية الفلسطينية وفوز حركة حماس بأغلبية المقاعد، حيث باشرت بفرض حصارٍ سياسي واقتصادي خانق على الشعب الفلسطيني، بهدف الوصول به إلى حالةٍ من الصِّراع الداخلي المدمِّر. وتمَّ تجميد عمل المجلس التشريعي نتيجة اعتقال نحو 40 نائباً من أعضائه، وتعاظمت مشكلة الفلتان الأمني على أيدي عناصر وقوى

---

132 المصدر السابق، ص 99 .

133 لمصدر نفسه، ص 342.

134 جقمان، جورج. "الحدود السياسية للانتفاضة وثنائية الوطني والديمقراطي". 26/12/2006. (استرجعت بتاريخ: 4/5/2007). http://www.muwatin.org

في الأجهزة الأمنية الّتي تسيطر عليها حركة فتح، كما تراجعت العلاقة مع المحيطين العربي والدّولي.[135]

حمل فوز حماس وسيطرتها بالقوة على قطاع غزّة، أثقالاً وضغوطاً لم تكن في حساب الحركة، التي صنفتها الولايات المتحدة بعد أحداث 11 سبتمبر ضمن الحركات الإرهابية في العالم. فجاء قرار إسرائيل بالإعلان عن قطاع غزّة "كياناً مُعادياً" متناغماً مع تصريح كندوليزا رايس لاحقاً أن حماس كيان معادي بالنسبة للولايات المتحدة، فاتحة بذلك المجال أمام عقوبات اقتصادية بالإضافة إلى العسكرية، رداً على إطلاق الصوَّاريخ الفلسطينية. وقد اعتبر هذا القرار تعسفيّاً وعقاباً جماعياً يسهم في تشديد الحصار الخانق المضروب على قطاع غزة.[136] وتزامن القرار مع زيارة وزيرة الخارجية الأميركية للمنطقة للتمهيد لعقد مؤتمر الخريف حول السَّلام الّذي أطلقه بوش الابن بعد انقلاب غزة في خطابه بتاريخ (16/7/2007)، لتعميق الانفصال بين القطاع والضِّفة. وهو ما أظهره مستشاروه الّذين تحدثوا صراحة عن فكرة «الضِّفة أولاً»، الّتي يراد من خلالها إحكام الحصار والضَّغط لإسقاط حكومة غزَّة، لإلحاق الضِّفة بالأردن وغزَّة بمصر، ما ينهي القضية الفلسطينية ويغلق ملفها إلى الأبد.[137]

---

135 "قراءة مختلفة.. بعد عام على الانقلاب السياسي الديمقراطي في الساحة الفلسطينية". 23/12/2006. (استرجعت بتاريخ 3/4/2007).

http://www.almokhtsar.com/html/artical/420.php

136 جريدة القدس. العدد: 68420. 1/9/2007. ص 1.

137 هويدي، فهمي .."مبادرة بوش.. هزل في موضع الجد". جريدة الشرق الأوسط. 25/تموز/ 2007. العدد 10466. (نسخة الكترونية). (استرجعت بتاريخ 1/10/2007).

http://www.asharqalawsat.com/leader.asp?section=3&issue=10466&article=429624

وهذا يثير المخاوف من أن تطرح إسرائيل وبالتنسيق مع الولايات المتحدة الأميركية مشروعاً للتَّسوية يقوم على استبعاد قطاع غزّة، وتركيز المفاوضات على الضِّفة الغربية أو على ما تبقى منها في مؤتمر الخريف (خريف 2007).[138]

شكَّل تاريخ (14حزيران 2007) (انقلاب حماس في غزّة) مفصلاً هاماً في حياة الشَّعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية، فقد سبقه فشل جميع الاتفاقيات والحوارات التي قامت بها لجنة المتابعة والوفد الأمني المصري، حيث تم تجميد اتفاق القاهرة، وفيما بعد اتفاق مكة، الذي كان يهدف من خلاله كل فصيل (فتح وحماس) تمرير برنامجه في السّاحة الفلسطينية والعربية. فقد رأت حركة حماس في اتفاق مكة مزيداً من الانفراج لبناء ذاتها الدّاخلي في قطاع غزَّة؛ تمهيداً لمواجهة حتمية بين البرنامجين فيما بعد، وما كانت المواجهات السّابقة إلا عملية "تسخين" لمعركة الحسم التي سبقت قرار الحسم أو عجلت به.[139]

لقد عاشت السّاحة الفلسطينية ولم تزل غياباً إعلامياً وغياب أي إجماع للقوى والفصائل الوطنية حول برنامج وطني واحد يمتصُّ الفروق بين الفلسطينيين، ويُوحِّدهم ضمن رؤية جديدة تُقَرِّب لهم خط السّير بعد عظمة التَّضحيات الّتي قدَّموها؛ وكذلك غياب أي إستراتيجية تسير مع البوصلة الصحيحة لحقوقهم؛ الأمر الذي وفَّر فرصة لمبادرات سياسية شبه فردية واجتهادية، (وثيقة جنيف– تفاهمات بيريس أبو علاء)، وخلق خطابات سياسية فلسطينية عدة انعكست في رؤيتها حتى على أدوات الانتفاضة وأساليبها، وأثارت حولها الحد الأدنى من الجدل حول "النضال

---

138 أبراش، إبراهيم. "غزة كيان معادٍ لإسرائيل، ولكن، هل إسرائيل كيان صديق للفلسطينيين؟". 21/9/2007. صحيفة الأيام الفلسطينية.

139 خلف، سميح. "الانقلاب الأمني والسياسي في الساحة الفلسطينية.. أبعاد وأهداف". 18/8/2007. (استرجعت بتاريخ: 3/9/2007). www.arabrenewal.org/articles/6165

المسلح" بما فيه العمليات الاستشهادية التي أفقدها شعبيتها داخل الوطن وخارجه.[140] هذه الاستراتيجية التي تعمقت في تباعدها مع احتدام الصِّراع بين فتح وحماس، دون الاستناد إلى أسس واضحة في حل إشكالياتهم نظراً لعدم توافر أيِّ محدداتٍ وطنية تكون مرجعيتهم في مثل هذه الحالة من التوتر والخلاف.

خلاصة

لقد كشفت تحوُّلات السِّياسة الأمريكيّة تجاه القضية الفلسطينية بعد أحداث 11 سبتمبر عن تغييرٍ كبير في التّعامل الأمريكي مع القضية الفلسطينية، بدأتها بِتَعَمُّدِ الخلط بين المقاومة والإرهاب مُعتبِرةً ما يقوم به الفلسطينيون من نضالٍ ومقاومة ضد الاحتلال أعمال عنف وإرهاب يجب التَّصدي لها، وحثّ الفلسطينيين على التّخلص منها كونها تُشَكِّلُ لهم عقبةً في وجهِ تحقيق مطالبهم في الحرية والاستقلال ضمن دولة فلسطينيّة لهم.

في مقابل ذلك لم يرقَ النّهج السِّياسي وحتى الميداني الفلسطيني إلى المستوى المطلوب من حيث مساندة القضايا الرّئيسة للشعب الفلسطيني، بل على العكس شهدت السّاحة الفلسطينية انقساماً فصائلياً وسياسيّاً لم يسبق له مثيل، ما انعكس سلباً على مقدرتهم في مواجهة التَّحديات الأمريكية والإسرائيلية معاً عقب أحداث 11 سبتمبر، والّتي مسَّت حقوقهم الرئيسة في المقاومة والنِّضال، حتى باتت جُملة القضايا المطروحة لحل القضية مجرد إصلاحات داخل السُّلطة التي لا تملك من

---

140 عودة، مصدر سبق ذكره، ص 148- 150.

صلاحيات السُّلطة الحقيقيّة على الأرض إلا الاسم، لا سيما مع المساعي الأمريكيّة المتواصلة في ربط المقاومة بالإرهاب.

الفصل الثالث

تطور الصِّراع الفلسطيني – الإسرائيلي على الأرض بالتَّركيز على فترة ما بعد الاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي (أوسلو).

- تمهيد

- أسباب الانتفاضة وعسكرتها (الموقف الفلسطيني الدّاخلي من الانتفاضة).

- الانتفاضة بين الفعل ورد الفعل.

- المبادرة العربية والاجتياح وتدمير السُّلطة.

- احتلال الولايات المتحدة للعراق وأثره على القضية الفلسطينية.

- الانتخابات الفلسطينية الرِّئاسيّة والتَّشريعيّة– محمود عباس (أبو مازن) وحكومة حماس– الحصـــار السِّياسي والمادي.

- غياب آريئيل شارون وصعود إيهود أولمرت مع حزب(كديما).

- خلاصة.

تمهيد

استطاعت الانتفاضة الفلسطينية، الّتي كانت نيرانها مستعرة على الأرض، حشد الـــدَّعم والتَّأييـــد العربي والدَّولي بشكلٍ كبير. وأظهرت إجماعاً شعبيّاً فلسطينيّاً على نهج المقاومة، وبالمقابل أثبتت للفلسطينيين مدى الإخفاق السِّياسي الّذي عاشته السُّلطة الفلسطينية منذ أوسلو بسبب الفشـــل فـــي إحراز أيِّ تقدمٍ حقيقي، وملموس على الأرض خلال عشر سنوات من التّفاوض.

كما لم تُحقِّق الدُّبلوماسيّة العربيّة والدّولية أيَّ تغييرٍ حقيقيٍّ للفلسطينيين، حتى وإنْ ظنَّ البعـــض، للحظةٍ، حدوث تطورٍ لصالحهم.

وقعت أحداث 11 سبتمبر في خضم الانتفاضة الفلسطينية، فكانت سبباً لوصفها ووصف المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، ما أدى إلى تهميش القضية الفلسطينية، وعدم الاهتمام بها؛ فـــانعكس ذلـــك على الفلسطينيين الّذين ازدادت معاناتهم بما أُتيح للاحتلال من فرصٍ لشن حملات القمع والـــدَّمار ضدهم.

أضف إلى ذلك ما حدث من تطوراتٍ على السّاحة العربية، كاحتلال العراق، والسّاحة الفلسطينية بعد فوز حماس وانقلابها في غزَّة، وعلى السّاحة السِّياسيّة الإسرائيلية غياب شارون.

أسباب انتفاضة الأقصى وعسكرتها(الموقف الفلسطيني الداخلي من الانتفاضة)

شهدت المنطقة العربية منذ تسعينيات القرن الماضي تحولات استراتيجية شـــكَّلت مظلـــة جديـــدة لمختلف التَّوجهات الدّولية والعربية والإسرائيلية على حدٍّ سواء، من انهيار الاتحاد السّوفييتي، إلى انهيار المنظومة العربية نتيجة التّحالف الدّولي الّذي شكَّلته الولايات المتحدة لضرب العراق بعـــد غزو الكويت، إلى انطلاق عملية السّلام فـــي الشّـــرق الأوســـط، وتحديـــداً بيـــن الفلســـطينيين

والإسرائيليين التي قسَّمت الحلَّ إلى مرحلتين تمثلت الأولى بإقامة حكم ذاتي في غـــزَّة وأريحـــا، وتمثَّلت الثّانية بالمرحلة الانتقالية ومدتها خمس سنوات وكانت مخصصة للقضايا العالقة(اللاجئين والحدود والقدس، وقضية الأسرى والمعتقلين).

أدت هذه التَّحولات لسيطرة الكثير من المفاهيم كالانهزام والاستسلام، وسيادة العصر الأمريكـــي، والتَّسليم بالمشروع الصّهيوني وكيانه في فلسطين، والاتجاه لتوقيع اتفاقات السَّلام مـــع إســـرائيل، وتسارع وتيرة التَّطبيع العربي الرَّسمي، ما أدى إلى انهيار ما يسمى بالمحرَّمات السِّياسيّة بحجَّـــة العجز والضّعف والتَّمزق الذي أحاط بالجانب العربي الرَّسمي.[1]

أما التَّحول الكبير الّذي حصل فهو انتصار المقاومة على الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، ونجاحها في طرده بدون مفاوضات أو تنازلات في أيار 2000. وقد شكّل ذلك نظرية جديدة في التَّفكيـــر العربي وخاصة في صفوف الاتِّجاه العربي الملتزم قوميّاً ووطنيّاً وإسلامياً، كما شجَّع على تنامي أنماط الممانعة والمعارضة في مقابل حركات الاستسلام والأمركة والصَّهينة التي سادت، وبث في الشُّعوب العربية روحَ المقاومة وجذوتها وتلمّس فعاليتها.[2]

ظنَّ الفلسطينيون بعد قيام السّلطة الوطنية في العام 1994 على جزء من الأرض الفلسطينية، أنّهم على طريق تقرير المصير وإقامة الدّولة. لكنّ عملية السّلام التي أيدوها بناءً على ذلك أخفقت في تحقيق مطالبهم. وكان لانتخاب بنيامين نتنياهو (زعيم حزب الليكود عام 1996) دورٌ في التّنكـــر للتَّسوية السِّلمية مع الفلسطينيين، وفي رفض وقف الاستيطان ورفض قيام دولة فلسطينية، ورفض

---

1 الحمد، جواد. "ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الأحزاب العربية". 4-6/3/2006.(استرجعت بتاريخ: 13/3/2007). http://www.mesc.com.jo/vision/1.htm

2 المصدر السابق.

الانسحاب من القدس، حيث اعتبر ذلك تراجعاً عن نهج التَّسوية الذي اتّبع في أوسلو، (رغم الانسحاب الّذي تم في عهده من مدينة الخليل فقط). ناهيك عن النَّفق الذي أقيم تحت المسجد الأقصى، وما أثاره من توتر بين الفلسطينيين والإسرائيليين ما أدى إلى ما بات يعرف بِ "هبة النَّفق"، وعدم تنفيذ القرارات المُوقَّعة، إضافةً إلى تردي الوضع الاقتصادي والمعيشي لهم.[3]

انعكست سياسة بنيامين نتنياهو هذه على الفلسطينيين فأخذوا يردون عليها بعمليات المقاومة، وتحديداً من حركتي حماس والجهاد الإسلامي اللتين نفذتا عملية استشهادية في القدس أوقعت العشرات بين قتيل وجريح، فكانت نتيجتها تصعيد نتنياهو من تهديداته ضد الفلسطينيين.

حاولت الولايات المتحدة، خلال تلك الفترة، إحياء عملية التَّفاوض بين الجانبين، فأرسلت وزيرة خارجيتها، آنذاك، مادلين أولبرايت التي عقدت سلسلة من الاجتماعات لكن دون جدوى، الأمر الذي زاد من سوء أوضاع الفلسطينيين، وباتوا أكثر يأساً من العملية السّلمية كونها لم تحقق لهم شيئاً. تولي إيهود باراك رئاسة الحكومة عام 1999، رأت فيه القيادة الفلسطينية طرفاً هاماً لإعادة بعث عملية السّلام، لكنَّ تصريحاته المتعلِّقة برفض العودة لأراضي ال 67، بدَّدَ أيَّ آمالٍ في التَّسوية السِّلمية.

وفي العام 2000، عاد إيهود باراك ليعلن عن قبوله بالتفاوض مع الفلسطينيين بعد فشل مفاوضاته مع السوريين، حيث طالب بوضع جميع الملفات الفلسطينية العالقة على طاولة التَّفاوض، وقد سانده في ذلك الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الذي عقد قمة كامب ديفيد لمناقشة تلك القضايا. ولم يتمكن الطَّرفان من تحقيق أيِّ دفعٍ للأمور رغم الجهود الحثيثة الَّتي مارسها الرَّئيس بيل كلينتون.

---

3 حسن، عصام الدين.(2000). يوميات انتفاضة الأقصى- دفاعاً عن حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان. ص 15. وانظر: الفرا، محمد علي.(2001). السّلام الخادع من مؤتمر مدريد إلى انتفاضة الأقصى 1991- 2000. ط 1. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. ص 406- 412.

وقد تمَّ الإعلان عن فشل هذه المفاوضات بتاريخ (24/7/2000)،[4] بعد شهرٍ من انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان. ويُذكر أنَّ الولايات المتحدة مارست ضغوطاً كبيرةً على الرَّئيس الفلسطيني الرّاحل ياسر عرفات لإنجاح المفاوضات، الّتي لم يتم التَّحضير لها جيِّداً حسب بعض المراقبين؛ ما أدى لفشلها. مضى إيهود باراك بعدها بتسيير حملة لدى رؤساء الدّول تعتبر الرّئيس ياسر عرفات المسؤول عن فشل المفاوضات، وأنَّ إسرائيل قدَّمت ما لديها من تنازلاتٍ في حين لم يُقدِّم الفلسطينيون أيَّ تنازل.

ونتيجةً لذلك وبعد مضيِّ سبع سنوات على اتفاق أوسلو، لم يتم تحقيق السّلام على أساس الأرض، ولم يستطع الفلسطينيون تحقيق مطالبهم بإقامة الدّولة. فالاحتلال ما زال جاثمًا على الأرض، والسَّلام الذي وُعد به الفلسطينيون لم يتحقَّق، وسياسة نهب الأرض والاستيلاء عليها لبناء المستوطنات وتوسيعها زادت، وابتلعت أراضي الفلسطينيين؛ ففصلت التَّرابط الجغرافي بين قرى الضِّفة الغربية ومدنها وبلداتها،[5] وأدخلت هذه المستوطنات الفلسطينيين في معازل، أسهمت في تردّي الوضع الاقتصادي لهم أكثر، وزادت من تبعيته للاقتصاد الإسرائيلي.[6]

أمام هذه الأوضاع المُحتقنة، جاءت زيارة آريئيل شارون للحرم القدسي الشَّريف (الأقصى) بموافقة مسبقةٍ من إيهود باراك، وتحذيراتٍ مسبقة من الرَّئيس الرّاحل ياسر عرفات؛ لخطورة القيام بمثل هذه الخطوة كون آريئيل شارون "سيقتحم" رمزًا من أكثر الأماكن قداسة لدى المسلمين.

---

4 نوفل، محمود."عملية السلام قبل وبعد قمة كامب ديفيد الفلسطينية". 5/8/2000. (استرجعت بتاريخ: 21/6/2007). www.mnofal.ps

5 المصدر السابق. وانظر: يونس، عماد.(2005). انتفاضة الأقصى: تاريخها – جذورها – أسبابها – انعكاساتها على الفلسطينيين وعلى دول الجوار. طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب. ص 40 – 57.

6 خنفر، نهاد. آذار/2002. "انتفاضة الأقصى وقضية الاستيطان". مجلة رؤية. السنة الثالثة، العدد 17: ص 45 – 73.

وقد تبع الزِّيارة مواجهات أدت إلى مجزرة في اليوم التّالي في الحرم نفسه، واندلاع شرارة الانتفاضة الفلسطينية الثّانية في (28/9/2000) (انتفاضة الأقصى)، الّتي شكّلت إطارًا جديدًا لمرحلة الصِّراع؛ اختلفت في معالمها ومدخلاتها وآلياتها عن البرامج الّتي سبقتها، وعن انتفاضة 1987، حيث دخل الصِّراع مع المشروع الصّهيوني مرحلةً جديدة، جعلت مستقبله محطَّ تساؤل، نظرًا لأنّه لم يستطع أحد التَّنبؤ بحجم هذه الانتفاضة ونتائجها على طبيعة الصِّراع، وما ستؤول إليه، حتى وإن بدت الآراء الأولية عند اندلاعها تعكس أنَّها لن تدوم طويلاً.[7]

اندلعت الانتفاضة – وهذه هي المفارقة – في جوٍّ ساد فيه التّفاوض بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وفي ظلِّ سلطةٍ فلسطينية من جهة، وشبه "سيطرة" فلسطينية على جزء من الأراضي الفلسطينية من جهة أخرى. وتميَّزت هذه الانتفاضة بطابعها الشَّعبي في شهورها الأربعة الأولى، ثمَّ انطلقت إلى العسكرة، حيث واكبها تصاعد في العمليات الاستشهادية الّتي اعتبرها الإسرائيليون "حرب بقاء"، فسارعوا لتحميل الرّاحل ياسر عرفات مسؤولية اندلاع هذه الانتفاضة لأنَّها جاءت نتيجة فشل مفاوضات كامب ديفيد.[8]

أمام زخم الانتفاضة تضافرت الجهود التي بذلت على مختلف المستويات لاحتوائها والتَّوصل إلى اتفاقاتِ سلام أو تفاهماتٍ جديدة، إلا أنَّ تواصلها وتصاعدها وطبيعة القوى التي تقودها وتحكم مسارها، نجحت في جعلها المشهد الأهم والأخطر في سياسة المنطقة؛ ما دفع قوى التَّسوية إلى التّراجع، وجعل برنامج المقاومة هو المعيار والمقياس للتَّنبؤات المستقبلية حول مصير الصِّراع،

---

7 الحمد، مصدر سبق ذكره.

8 غنيم، أحمد وآخرون.(2006). النظام السياسي الفلسطيني"مرحلة متحولة". تحرير: نصر الله الشاعر، ومحمود جرابعة. ط 1. رام الله: مركز البراق للبحوث والثقافة. ص 44- 45.

واندفعت إسرائيل لحشد العالم وتحريضه ضد فصائل المقاومة، حيث شرعت باستخدام كل الوسائل المحرمة دولياً لانتهاك حقوق الفلسطينيين، فمارست القتل الوحشي ضدهم، وفرضت العقوبات الجماعية عليهم. حيث رفض الفلسطينيون الرُّضوخ لكلِّ ذلك، وأظهروا تحدياً غير مسبوق، تجلّى فيه البعد الدّيني الذي تزايد في مواجهة الإسرائيليين، فأصبح الاستشهاد والموت أمنيةً لهم في هذا الوضع.[9]

تصاعدت وتيرة الانتفاضة وارتفعت فيها أعداد الشهداء الفلسطينيين بشكلٍ مذهل، حيث معدل عدد الشهداء الفلسطينيين في اليوم الواحد ثلاثين شهيدًا حسب ما تناقلته وسائل الاعلام، وتجاوز العدد الثّلاثمائة خلال الشَّهر الأوَّل لها، بسبب استخدام جنود الاحتلال من الصَّواريخ الّتي أطلقت من الطّائرات، وكذلك قذائف الدَّبابات.

رافق ذلك تصاعد عمليات المقاومة، وقامت فصائل المقاومة لا سيما حركة حماس بتنفيذ عملياتها الاستشهادية في العمق الإسرائيلي، وصلت مرحلةً خلقت فيه نوعاً من توازن الرُّعب بين الإسرائيليين والمواطنين الفلسطينيين، الّذين يتعرضون لشتى أنواع القمع الإسرائيلي. وقد اتسمت ردَّة الفعل الإسرائيلي بعد كلِّ عملية استشهادية بالعنف الّذي يستخدم وسائل شتى في الرَّد عليها؛ لإعادة الثِّقة لمواطنيه، وفي نفس الوقت كمحاولةٍ لكسرِ شوكة المقاومين.

ومن باب السَّعي الإسرائيلي المتواصل والحثيث للقضاء على الانتفاضة، انطلقت حملة إيهود باراك (رئيس وزراء إسرائيل) تشديد قبضته تجاه الانتفاضة، ضمن عملية ما يسمى بِ "حقل الأشواك"، حيث دفعت حملته الفلسطينيين للاتِّجاه لمستوى آخر من المواجهة والتصعيد، أرغمته

9 المصدر السابق ، ص 55 – 58.

على تبكير موعد الانتخابات الإسرائيلية ليصبح في (9/12/2000)، الّتي اعتبرها الفلسطينيون ثمرةً من ثمار الانتفاضة.[10]

استغلت إسرائيل وجود "أسلحة" بيد رجال الأمن الفلسطينيين، الّذين كان لهم مشاركة معينة في الانتفاضة فصورت للرأي العام أنّ المواجهات تتم بين جيشين، وروَّجت في الإعلام أنَّ الفلسطينيين يدفعون الأطفال إلى ساحة المعركة، لتبرر تزايد عدد الشهداء من الأطفال والمدنيين الفلسطينيين، الّذي شوّه صورة إسرائيل أمام العالم،[11] ومن الأمثلة الدّالة على ذلك صورة الطِّفل محمد الدُّرة، الّذي تناقلت عدسات الكاميرا وفاته في حضن والده وهو يطلب النَّجدة.

اقترن استخدام السِّلاح في الانتفاضة أو ما بات يُعرف بِ "عسكرة الانتفاضة"[12] مع تصعيد جيش الاحتلال من ردِّه على المتظاهرين الفلسطينيين، بحيث اعتبرت كلَّ من يضرب حجراً كمن يطلق رصاصة، ومنحَ جنود الاحتلال الحقّ بإطلاق الرَّصاص لمجرد شعورهم بالخطر، وأُعطوا صلاحية التَّعامل مع الموقف المتواجدين فيه،[13] دون الرّجوع لقياداتهم لأخذ القرار.

أمام حملة التَّصعيد الإسرائيلي المُمَنهج لقمع الانتفاضة، نشطت المواقف الشَّعبية والرَّسميّة المتعاطفة والمتضامنة معها، واستطاعت أنْ تحرّك موجةً من التَّضامن العربي والعالمي بشكلٍ غير مسبوق، سواء على المستوى الرَّسمي أم الشَّعبي. فكانت هذه الانتفاضة إعلاناً شعبياً فلسطينياً معبِّرًا عن حالة اليأس من نهج التَّسوية الذي لم يلبِ مطالبهم، ويُخلِّصَهم من معاناتهم. وخلقت جوّاً

10- المصدر السابق، ص 140.

11 جقمان، "الحدود السياسية للانتفاضة وثنائية الوطني والديمقراطي"، مصدر سبق ذكره.

12- عبد الجواد، مصدر سبق ذكره.

13- نوفل، الانتفاضة انفجار عملية السلام، مصدر سبق ذكره. ص 108.

جديداً من هذا الحِراك الشَّعبي عند الشُّعوب العربية والإسلامية تمثَّل بما يُشبه اتجاهات الإصـــلاح والانفتاح لدى عددٍ من الدُّول العربيّة، وتوفير الحُجَّة والوسيلة للضَّـــغط الدُّبلوماســـي والسِّياســـي والإعلامي على إسرائيل كما في استدعاء مصر لسفيرها من تل أبيب. أمّا على الجانب الآخـــر، فلم ترتفع غالبية الإرادة السِّياسية العربية الرَّسمية إلى مستوى هذه التَّضـــحيات، رغـــم محاولـــة الشُّعوب والجماهير تقديم ما تستطيع، وإنْ لم يكن على مستوى المواجهة.[14] فالتَّحركات الرَّســـمية العربية كانت تنطلق للتَّهدئة، ولتحريك مشروعات الحلِّ والتّســـوية، بعـــد أن تبلـــغ التَّضـــحيات الفلسطينية حدًا لافتًا.[15]

أما على صعيد الإنجازات التي حقَّقها الفلسطينيون، بعد عظمة التَّضحيات الـــتي أظهروهـــا فـــي الصُّمود والشَّهادة، فهو التَّطور في أساليب المقاومة خلال الانتفاضة رغم كلِّ الضُّغوطات المادية والمعنوية عليهم. غير أنَّ استخدام السِّلاح في الانتفاضة؛ دون تحديد الوجهة أو الهدف الذي تُنفَّـــذُ من أجله كلّ عملية مقاومة، ودون دراسة لها، فباتت كأنَّها "نوع من الرّوتين" على الحياة النِّضالية للشَّعب الفلسطيني، كما يصفها محمود نوفل؛[16] أثَّر على فعاليتها في توجيه النِّضـــال الفلســـطيني، حيث بدأ الحضور الشّعبي الجماهيري والتّأييد لها يتراجع. وباتت أطراف فلسطينية تخـــرج عـــن نسق الانتفاضة بمحاولتها تغيير معادلة اللعبة، حيث أرادتها القيادة الفلسطينية كفرصـــةٍ لتعـــديل شروطها، وأدرك آريئيل شارون ذلك وراهن على تعب الفلسطينيين أو قيادتهم، وتمادى في قمعه للانتفاضة. وعندما وقعت أحداث 11 سبتمبر استغلت أطراف فلسطينية ذلك، وبدأت تعلـــن عـــن معارضتها للكفاح المسلح بشكلٍ علني، وأدى الأمر لبروز اختلاف واضـــح فـــي الـــرُّؤى بيـــن

14 الحمد، مصدر سبق ذكره.

15 عبد المنعم، نيفين وآخرون. ماذا بعد انهيار عملية التسوية السلمية، مصدر سبق ذكره. ص 203- 214. وانظر: الحمد، مصدر سبق ذكره.

16 نوفل، الانتفاضة انفجار عملية السلام، مصدر سبق ذكره. ص 140.

الفلسطينيين. فمنهم من رفض نهج التّسوية، وتمسك بنهج المقاومة لتحقيق المطالب، ومنهم من اعتبرها بكلِّ تضحياتها مجرد وسيلة لتحسين شروط التّفاوض مع الإسرائيليين. وكان ذلك نقطة ضعف لهم لعدم تمكّنهم من تغيير معادلة اللعبة، حيث لم ينظروا إلى انتفاضة الأقصى بوصفها تحولاً عن خطِّ التّسوية. وهو ما أدركه آريئيل شارون الّذي راهن على تعب الفلسطينيين وقيادتهم واستنزافهم، حين قال: "يجب ضرب الفلسطينيين ضرباً موجعاً، وعلينا إلحاق الخسائر بهم وإيقاع الضّحايا، كي يشعروا بفداحة الثّمن".[17]

وقد كشفت أحداث الانتفاضة عن ثغرات عدة في الوضع الفلسطينيّ، لا سيما في الجوانب السياسية نتيجة غياب المأسسة، وسيطرة عقلية التّفرد والاستئثار ونفي الآخر.[18] وأدى ذلك إلى عدم حسم خيار المقاومة من طرف السُّلطة ما عطّل أيَّ إنجاز لها، ودفعَ الإسرائيليين إلى العمل على تحقيق رهان آريئيل شارون المذكور، الّذي بدأت بوادره تلوح في الأفق من خلال رصد الدّوائر الإسرائيلية للجدل الفلسطيني الدّاخلي حول جدوى الاستمرار في الانتفاضة، والّذي بات يَتّجِه لصالح قرار وقف شقِّها العسكري، حيث دعم قادة الأجهزة الأمنية الفلسطينية والمفاوضون ذلك.[19]

---

17 شارون، آرييل. "في حديثه للصحافة". مجلة الرقيب. العدد 31، السنة السادسة، تشرين الأول، 2002. 5/3/2002. سنة ثابتة. (نسخة الكترونية).

www.phrmg.org\arabic\monitor2002\oct2002.htm

18 فؤاد، أحمد، مصدر سبق ذكره.

19 الزعاترة، ياسر. "تداعيات 11 سبتمبر والانتفاضة الفلسطينية". (استرجعت بتاريخ: 17/5/2006). http://www.aljazeera.net/NR/exeres/AC36DFA4-82CE-40BF-9170-A551CA60DC6A.htm

حقّقت الانتفاضة حشداً جماهيرياً جعلها في مرحلةٍ متقدّمة من التّغطية، بسبب عظمة التّضحيات الّتي قُدِّمت فيها، وقضائها على حالة "التّشرذم" الّتي طغت على الإدارة السياسية، الّتي كانت تعاني من ترهلات الفساد الإداري والسِّياسي والمالي بشكلٍ متفاقم.[20]

الانتفاضة بين الفعل ورد الفعل

يظهر من خلال أعمال الانتفاضة وممارسات الاحتلال ضدها، حالة النَّمطية التي انساقت إليها، بسبب ما شابها إن جاز الوصف من "عشوائية العمل المقاوم" النّاتج عن غياب العمل الموحد فيها، لدرجة تم فيها ربط عمليات المقاومة بما يقوم به الاحتلال من أعمال اجرامية، فباتت العمليات تأتي ردا على جرائم الاحتلال وليس لهدف وطني أكبر.

على الرّغم من الأدوات والأساليب المتنوعة والمتعدِّدة للمقاومة وبالتَّحديد المقاومة المسلَّحة ظلَّت فرص توظيفها واستثمارها في غير حجمها المتوقع، فقد استخدمت المقاومة المسلحة وسائل تميّزت فيها الانتفاضة ومنها: العمليات الاستشهادية وخصوصاً داخل العمق الإسرائيلي، والكمائن العسكرية الطّيّارة، واقتحام المستوطنات، والتَّسلل إليها وتفجير العبّوات النّاسفة عن بعد. والّتي تطورت أكثر مع إطلاق الصَّواريخ المحلية الصُّنع كصواريخ القسّام من قطاع غزّة.[21]

وقد جاء ردُّ المقاومة الفلسطينية على جرائم الاحتلال أعنف وأوسع ممّا توقَّعه الإسرائيليون؛ ما أدى إلى إرباك في الحسابات الإسرائيلية للرَّد عليها. وراحت القيادة الإسرائيلية تتخبط حتى في تكتيكاتها معها على الرَّغم من استمرارها في استراتيجيتها الهادفة لشلِّ المقاومة وإزالتها، لاسيما

---

20 عودة، بين الانتفاضتين، مصدر سبق ذكره، ص 98 –111.

21 أبو عامر، عدنان ." فعل المقاومة الفلسطينية ورد الفعل الإسرائيلي". (استرجعت بتاريخ: 21/5/2006). http://aljazeera.net/NR/exeres/51809629-8AF4-4EC5-A985-521AF3B24BDF.htm?wbc_purpos

أنَّ حرب إسرائيل على الانتفاضة وقادتها، صادفت في توقيتها وتسميتها وطبيعتها حرب أمريكا الّتي أعلنتها بعد أحداث 11 سبتمبر. فقد أطلقت (أمريكا وإسرائيل) على الحرب الأولى في الألفية الثّالثة «الحرب على الإرهاب»؛ أيّ الحرب على كلِّ أشكال المقاومة الرّافضة لكلِّ مخططاتهما في الدَّرجة الأولى.[22]

ومع ازدياد تعقد الأمور تعقيداً على الأرض بدأ الصِّراع يدخل معادلةً جديدةً بين الفعل الفلسطيني وردِّ الفعل الإسرائيلي، بحيث أصبحت هذه العلاقة هي "فعل إسرائيلي" ومن ثمَّ "رد فعل فلسطيني"، يأتي بشكلٍ بارز بعد كلّ عمليةِ اغتيالٍ لقائدٍ أو ناشطٍ ميداني، أو سياسي، لدرجةٍ أصبحت فيها ردة الفعل الفلسطينية تأتي بعد كلِّ خطوةٍ تصعيدية تتخذها إسرائيل. ولذلك فإنَّ ردة الفعل الفلسطينية المتمثِّلة بالمسيرات والمظاهرات والعمليات الاستشهادية ما إن تخبو وتتراجع بعدما يُقلِّل الإسرائيليون من خطواتهم التَّصعيديّة.

ومع كلِّ ذلك فقد جاءت ردود الفعل الفلسطينية على تزايد الاعتداءات العسكرية، مناقضة لأسس الاستراتيجية الّتي اتَّبعها آريئيل شارون. فبدلاً من الاستسلام والخضوع لقصف الدَّبابات والطّائرات من نوع (إف-16) الموجَّهة إلى أهداف مدنية؛ ازداد إصرارُ الفلسطينيين على المقاومة، وبات الحصار العسكري يُقوّي من عزيمة المواطنين، ما دعا الكاتب والصَّحفي الإسرائيلي "يوري أفنيري للقول: يعلم الفلسطينيون جيِّداً أنَّهم يقاتلون من أجل وجودهم في حين يعلم الإسرائيليون أنَّهم يقاتلون من أجل المستوطنات والسِّياسيين المفلسين".[23]

---

22 الموقع الإلكتروني: http://www.fateh.net/public/newsletter/2002/310102/7.htm

23 لاندور، سول.(2005). الامبراطورية الاستباقية the pre-Empire Empire الدليل إلى مملكة بوش. تقديم: جورج مككفرن. تعريب: ليلى النابلسي. ط 1. لبنان: الحوار الثقافي. ص 45-76.

كشفت الانتفاضة سياسة آريئيل شارون القائمة على كمية الجرائم التي يمارسها ضد الفلسطينيين، حتى في عزله لياسر عرفات في مقره، وكشفت للفلسطينيين مدى هشاشة السُّلطة الفلسطينية بشكلٍ لافت، التي قامت بناء على اتفاقيات مع إسرائيل. فتعالت المطالب المنادية "بحلها"، لعدم قـــــدرتها على حماية نفسها من ضربات الاحتلال.[24]

المبادرة العربية والاجتياح وتدمير السلطة

عُقدت أوّل قمة عربية بعد أحداث 11 سبتمبر في بيروت بتاريخ (18/3/2002).[25] وقد انصبَّت مداولاتها على المبادرة التي أطلقها الملك عبدالله ولي عهد المملكة العربية السُّعودية آنذاك، وركَّزت على السَّلام كخيار استراتيجي يتبنّاه العرب، مقابل التَّنازل الإسرائيلي عن كافة الأراضي العربية المحتلة منذ العام 1967 "أي التطبيع الكامل مقابل الانسحاب الكامل من أراضي 67". وقد وافق العرب عليها بالإجماع فيما رفضها الإسرائيليون.[26] مع العلم أنَّ العرب في قمة الرياض التاسعة عشر بتاريخ (29/3/2007) عادوا ودعوا إلى تفعيل المبادرة العربية، بينما عاد إيهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل ورفضها مجددًا. وعقّب، حينها، عمرو موسى (الأمين العام للجامعة العربية) على هذا الرَّفض بالقول: "إنّه رد غير نهائي". واعتبر عزمي بشارة هذه القمة التي نصت على إعادة تفعيل مبادرة رفضت منذ لحظتها قبل أربع سنوات بمثابة "تجييرٍ لصالح أمريكا، في ظلِّ الضّائقة التي تعيشها في العراق".[27]

---

24 المصدر السابق، ص 77.

25 الرفاعي، رنا. قبيسي، محمد.(2003). الإرهاب الصهيوني والسلام العربي بين الشهادة والإبادة. ط 1. بيروت: مؤسسة الرحاب للنشر. ص 501- 502.

26 الكيلاني، الإرهاب يؤسس دولة- نموذج إسرائيل. مصدر سبق ذكره، ص 433- 434. وانظر: غندور، صبحي. "راعي عمليات حرب وعدوان". 7/4/2002. (استرجعت بتاريخ: 13/8/2004). www.albayan.co.ae/albagan/2002/4/7/ray/4.h+m

27 بشارة، عزمي. قناة الجزيرة الفضائية. 24/3/2007.

يمكن القول: إنّ الوقت الّذي طُرِحت فيه المبادرة العربيّةُ (بعد 11 سبتمبر)، يُعطي مؤشراتٍ تدلُّ على أنَّ موقف العرب كان دفاعيّاً (سمةَ الرُّؤساء العرب) وليس غيره أمام جملة التَّغيرات التي أحدثتها تلك الأحداث، لكي ينأوا بأنفسهم عن تلك المتغيرات بحيث لا تطالهم. فقد اتَّسمت مواقف القيادات العربية بسماتٍ لا ترتفع لحجم الحدث وتوقعاته من حيث ردِّ التُّهم عنها، والتَّشكيك بهوية الفاعل، ونفي إمكانية قيام أيِّ تنظيمٍ عربيٍّ بمثل هذا العمل، والتَّبرؤ منه، والظُّهور بمظهر الضَّحية للإرهاب اعتقاداً منها بإمكانية استثمار نتائج ذلك؛ لانتزاع مواقف ايجابية تجاه القضايا العربية وبالأخص القضية الفلسطينية.[28]

إنَّ مُراهنة العرب على قيام الولايات المتحدة بحلِّ قضاياهم وقضية فلسطين، يدل على هشاشة الرؤية الاستراتيجية العربية، وهشاشة ممارستها كونها قائمة كذلك على حلم أنَّ الولايات المتحدة أضحت أكثر ميلاً لتطبيق الحق والقانون في الشَّرق الأوسط، فغاب عنهم أنَّ ضرب العراق هو مقدمة لحصار العرب وفرض ما يسمى" الطّاعة العمياء" عليهم.[29]

وما يؤكد ذلك، أنّ آريئيل شارون ردَّ على إقرار هذه المبادرة في قمة بيروت، بتحريك ترسانته العسكرية تجاه مناطق السُّلطة الفلسطينيّة، مستغلاً المناخ الدّولي المنشغل بأحداث 11 سبتمبر وتبعاتها؛ لمواجهة الفلسطينيين والتَّصدي لانتفاضتهم، مُتبعًا، في سياسته القمعيّة هذه، سياسة التقدّم خطوتين إلى الأمام متبوعتين بخطوةٍ إلى الوراء في حال صدور ردة فعل أميركية شديدة جداً[30]

---

28 غليون، "العرب وعالم ما بعد 11 سبتمبر"، مصدر سبق ذكره.

29 المصدر السابق.

30 روا، مصدر سبق ذكره، ص 71.

تعرقل السّير في مخططاته وتربك تحركاته. كان رد آريئيل شارون على هذه المبادرة القيام بتنفيذ أوسع عملية اجتياح للأراضي، والمدن الفلسطينية الخاضعة للسلطة الفلسطينية، حيث حاصر الشَّعب الفلسطيني، وارتكب الجرائم في جنين ورام الله ونابلس وبيت لحم، واعتقل الآلاف، وهدم البيوت وجرَّف الأراضي، كما حاصر الرئيس ياسر عرفات في مقره برام الله.[31]

أطلق آريئيل شارون على حملته هذه "عملية السّور الواقي"، بذريعة الرَّد على عملية حماس الاستشهادية في نتانيا، التي أوقعت ثلاثين قتيلاً إسرائيليًّا. لم يمضِ يوم واحد على هذه العملية (28/3/2002) حتى نفّذ عملية الاجتياح الواسعة مخلفاً عشرات الشُّهداء ومئات الجرحى الفلسطينيين، وملحقاً دمارًا في البنية التّحتية للكثير من المنازل والمؤسسات لا سيما داخل مخيم جنين، وزاد من قبضته وخناقه على السُّكان المدنيين. الأمر الذي كشف عن مخططاتٍ مسبقة كان قد أعدها ضد السلطة الفلسطينية.[32]

على الطَّرف الآخر من ذلك، فقد كشفت عملية الاجتياح هذه عن أبعادٍ ذات دلالاتٍ سياسية خطيرة، من خلال إحداث تغييرٍ على واقع الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام 1967. وقد رافق ذلك تلميح أمريكي يدعو إلى قيام دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة بما يسمى المرحلة الانتقالية، التي كان يعتبرها آريئيل شارون طويلة نظراً لعدم وجود شركاء فلسطينيين حقيقيين يتفاوض معهم، مستغلاً تبعات أحداث 11 سبتمبر ليربط بين المقاومة الفلسطينيّة بتنظيم القاعدة.[33]

---

31 حمّاد، مصدر سبق ذكره، ص 87.

32 Hajar,p29.

33 حافظ، كراهية تحت الجلد: إسرائيل عقدة العلاقات العربيّة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص 293. وموقع قناة الجزيرة الالكتروني بتاريخ: 2/2/2002 · http://aljazeera.net

وقد ساند الرّئيس الأمريكي بوش الابن آريئيل شارون حين اعتبره أفضل رجل سلام موجودٌ "الآن" ليتم التّفاوض معه، إذا استعدَّ الفلسطينيون لذلك واختاروا لهم قيادةً تُريد السَّلام.

تُعدُّ حملة التَّصعيد الإسرائيلي التي وفَّرتها أحداث 11 سبتمبر أفضل مرحلةٍ تاريخية؛ لأنّها عملت على إعادة بلورة الصِّراع على الأرض؛ وأسهمت في تسريع تغيير معالم موجودةٍ بما يمكن اعتباره "تهويداً" لكلِّ ما هو فلسطيني. فقد هدف آريئيل شارون من وراء عملية الاجتياح، فرض أجندة لمفاوضات جديدة لا تمت للقضايا الهامة: كالقدس، أو اللاجئين، أو الحدود، أو حتى المستوطنات بأيِّ صلة، والّتي سيتم حصرها بطبيعة "الكيان السياسي الفلسطيني" وعلاقته مع الكيان الصِّهيوني فقط. وهذا ما فسَّر اجتياح آريئيل شارون للأراضي الفلسطينية حيث لم يكن هدفه السيطرة على الحياة المدنية للسكان وإدارتها كما عُهد قبل أوسلو؛ بل كان لإيجاد واقعٍ يتيح له العودة إلى هذه الأراضي؛ لتحقيق أهدافه المتمثِّلة بِعمليات التَّفتيش أو الاغتيال أو الاعتقال، في أيِّ وقتٍ ومكان على الأرض الفلسطينية.[34]

كما هدفت حكومته من وراء سياسة الاجتياح والتَّدمير، إلى زعزعة مكانة السُّلطة وقدرتها السَّلطوية والسِّيادية سواء بالضَّغط على رموزها أم بتدمير بناها الخدماتية المختلفة.[35]

واستطاع أن يخلق إطارًا إعلاميًّا أظهر من خلاله انتهاكاته اليوميّة ضد الفلسطينيين دفاعاً عن النَّفس، وخلط حربه ضد الفلسطينيين مع الحرب الأمريكية المعلنة ضد الإرهاب، واعتبر السلطة الفلسطينية كحركة طالبان كونها تدعم جماعات المقاومة الفلسطينية وتأويهم في صفوفها. وكانت

---

34 بشارة، عزمي.(2002). ما بعد الاجتياح في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية. ط 1. رام الله: مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. ص 7 – 10 .

35 المالكي، رياض.(2002). "القيادة الوقائية الفلسطينية". مجلة الدّراسات الفلسطينية. العدد: 49. ص 32 – 33 .

حربه ضد الفلسطينيين تكسب زخمها عند حدوث عمليات استشهادية ضد الإسرائيليين لاسيما داخل أراضي 1948.[36] وقد نعت الرّاحل ياسر عرفات بالإرهابي، الّذي لا يُريد السّلام مع الجانب الإسرائيلي الّذي هو مستعدٌ له رغم الآلام الّتي يعانيها جرّاء المقاومة الفلسطينية.[37]

مع تصاعد العمليات الإسرائيليّة ضد الفلسطينيين، وتزايد عمليات الاغتيال ضد الكثير من القادة الميدانيين، تزايدت عمليات المقاومة الفلسطينية، وخصوصاً العمليات الاستشهادية الّتي تمَّ تنفيذها داخل إسرائيل؛ ما أثار موجةً من الاحتجاج العالمي لاسيما الأمريكي والأوروبي ضد الفلسطينيين. واستطاع آريئيل شارون أن يضمن الحصول على دعم، لا شائبة فيه، من الكونغرس ومن الرّأي العام الأمريكي، على خلفية التَّوجه الأمريكي الّذي حصل بعد أحداث 11 سبتمبر ضد الإرهاب. وقد أضعف، في الوقت ذاته، من معسكر السّلام الإسرائيلي نتيجة هذه العمليات، وأوجد صورة منقلبة لدى الرّأي العام وقفت إلى جانبه على حساب الفلسطينيين الّذين ازدادت الضُّغوطات عليهم لخفض "العنف".[38]

وعليه يمكن القول: إنَّ عملية آريئيل شارون، بشكلٍ من الأشكال، قد حسمت اتفاقيات أوسلو (1993)، من الخطوة الأولى الّتي خطاها بإطلاق العنان للإرادة "الإسرائيلية" لتعيد احتلال الأراضي الفلسطينيّة الّتي سلَّمتها إلى السّلطة الفلسطينيّة، وتنفِّذ عملياتها العسكريّة فيها كالهدم والقتل، والملاحقة لِمن باتت تطلق عليهم "بالإرهابيين الفلسطينيين". فقد اتهم آريئيل شارون أجهزة السّلطة بأنها لا تقوم بما هو مطلوبٌ منها في "محاربة الإرهاب"، وأعطاه ذلك دافعاً لإعادة تجديد

---

36 غندور، صبحي. "راعي عمليات حرب وعدوان". 7/4/2002. (استرجعت بتاريخ: 13/8/2004). www.albayan.co.ae/albagan/2002/4/7/ray/4.h+m

37 الموقع الالكتروني للمترجمين العرب. 13/7/2006. (استرجعت بتاريخ: 20/8/2007). http://www.wataonline.net/site/modules/newbb/viewtopic.php?topic_id =551

38 صادق، مصدر سبق ذكره.

لاءاته تجاه قيام الدَّولة الفلسطينية، والإصرار على بقاء المستوطنات. فجعل الإشـــراف المباشـــر على الأرض بيد جيشه، مع تقطيع الفضاء الفلسطيني، والضَّغط لإفقار السُّكان، والحكم عليهم إمّا بالهجرة، أو بالتّحول إلى مواطنين من الدرجة الثانية؛ لفرض نوع من نظام التفرقـــة العنصـــرية "الأبارتايد" (مع توظيف إداريين محليين)، لعزلهم في كانتونات متفرقة عن بعضها البعض.[39]

أمّا على الصَّعيد الفلسطيني، فكشفت عملية الاجتياح والعدوان حالة اللاتماسك في التَّعامل مع هذا الاجتياح وتبعاته، وأظهرت مدى ضعف مؤسسات السُّلطة، وعدم فعاليتها فـــي اتخـــاذ القـــرار، ومعرفة كلِّ ما يجب القيام به، وغياب الدَّور الجماعي في عملية صنع القرار الفلســـطيني نتيجـــة غياب الاستراتيجية الواضحة للمقاومة وللعمل السِّياسي، فأضحى هنالك كما يقول عزمي بشـــارة: "عملية سياسية وعمليات مقاومة لا ترابط بينهما إلا التَّعارض والإزعاج المتبادل أو حتى التَّواطؤ غير المتجانس في حالات ما"،[40] وأظهرت هذه العملية هشاشة النِّظام السِّياسي الفلســـطيني ممثلاً بالسُّلطة التي تزعزعت ثقة مواطنيها بها، لدرجة، اعتبرت أنَّها سلطة لا تحمل إلا الاسم فقط.

نخلصُ إلى أنَّه رغم الرَّفض الإسرائيلي التّام للمبادرة العربية، والتَّنازلات الواسعة من العـــرب، واكتساح أراضي السلطة الفلسطينية، واحتلال كافة الأراضي التي كانت انسحبت منها، والموقف السلبي الأمريكي منها رغم زيارة عدد من الزعماء العرب لواشنطن والاجتمـــاع ببـــوش الابـــن لشرحها وإظهار حسن النية العربي لإنهاء الصِّراع الذي استمر عقوداً كما زيارة الأمير عبـــدالله ولي العهد السعودي آنذاك بتاريخ (25/4/2002)؛[41] فإنَّ كلّ ذلك لم يُثمر عن أيِّ تغيير في وجهة

---

39 روا، مصدر سبق ذكره، ص 70 .

40 بشارة، ما بعد الاجتياح في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ص 39.

41 العطار مصدر سبق ذكره، ص 196 – 257.

نظر الإدارة الأمريكية التي رأت أن يترك موضوع الصِّراع، بيد إسرائيل كي تسعى لفرض الحل الذي يتناسب مع مصالحها فقط. كما انعكس الموقف الأمريكي السَّلبي من المبادرة على إسرائيل حيث تشجَّعت حكومتها للتَّمادي باستخدام كافة أنواع الأسلحة، والعنف والحصار لضرب الشَّعب الفلسطيني.[42]

احتلال الولايات المتحدة للعراق وأثره على القضية الفلسطينيّة

انطلقت الحرب الأمريكية على العراق، من وجهة، نظر الولايات المتحدة والرئيس الأمريكي بوش الابن، تحت شعار الحرب ضد الإرهاب التي باتت جزءاً من سياسة الولايات المتحدة الجديدة القائمة على إنهاك العدو في مكانه قبل أن يصيب أذاه الآخرين، ونزع أسلحة الدَّمار الشّامل، والقضاء على القوى التي تهدد مصادر الطّاقة (النِّفط)،[43] وجلب الحرية والدِّيمقراطية للعراق، وتخليصه من نظام صدام الّذي وصفته بالديكتاتوري،[44] باعتبار العراق حليفاً سابقاً لها تمرد على سياستها وإرادتها.[45]

فهذه الحرب كما رُوِّجَ لها جاءت ضمن ما تعرضت له أمريكا في 11 سبتمبر من اعتداء ضخم وكبير، تكبدت نتيجةً له خسائر مادية وبشرية فادحة. فكان هذا الحدث بمثابة ظاهرة واضحة، كونه نُقِلَ عَبْرَ وسائل الإعلام؛ حيث ضُخِّم على المستوى السِّياسي، وبات الفهم لما تقوم به

---

42 المصدر نفسه، ص 256- 257. وانظر: بشارة، ما بعد الاجتياح في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ص 38- 39

43 جوزيف سماحة،2002، الموقع الالكتروني: WWW.BINTJBEL.COM

44 "مأزق الاحتلال الأمريكي للعراق وأثره على القضية الفلسطينية".7/11/2004. (استرجعت بتاريخ 9/5/2005).

http://www.palestine-info.info/arabic/analysis/2004/11_7_04_1.htm

45 العطار، مصدر سبق ذكره، ص 209.

أمريكا من حروب ونزاعات يعبِّر عن طفرة، لا مثيل لها، تندرج كما ذكر وزير الخارجية الفرنسي السابق(فيدرين): "بأنَّه فرط سياسة أو فرط قوة الهيمنة الأمريكية".[46]

وفي الجانب الأهم تأتي خطوة احتلال العراق وتدمير قواه، ضمن المساعي الأمريكية الإسرائيلية للإطاحة به كقوةٍ عربية تقف على خطِّ النّد من إسرائيل، فكانت تلك الأحداث فرصة للولايات المتحدة وإسرائيل لتحقيقه. فهذا الهدف راودهم منذ حرب الخليج الثانية 1991، لتتوسع إسرائيل في المنطقة، ولتكسر الولايات المتحدة أيَّ تهديدٍ من جهة المشرق العربي يقف في وجه احتكارها للنفط. فالتَّواجد الأمريكي على الأرض العراقية يضمن للأمريكيين ليس فقط امتلاك الثروة النفطية في الخليج، بل تثبيت امتلاكها لبقعة استراتيجية هامة وبارزة.[47]

فالطُّموح الأمريكي الإسرائيلي في العراق، كان عبَّر عنه، بشكلٍ واضح، الجنرال المتقاعد أنتوني زيني بقوله: "إنَّ الإدارة الأمريكية ممثلة في المحافظين الجدد، ومعظمهم يهود صهاينة، أقدمت على احتلال العراق لضمان مصالح إسرائيل وإزالة التهديد العراقي لها من المنطقة، لضمان تفوق استراتيجي مستقبلي على الدول العربية والمنطقة، في محاولة لإجراء تغييرات جيوبوليتيكية في الشَّرق الأوسط تكون إسرائيل مركزه، بما يخدمها والمصالح الأمريكية".[48]

ولأنّ أحداث 11 سبتمبر بوصفها حدثاً فظيعاً لامَسَ أمن الولايات المتحدة من الدّاخل، كان عليها استثمارها لأقصى الحدود في تنفيذ مخططاتِها، وشكلت عاملاً مساعداً في صياغة الاستراتيجيات

---

46 كيبل، جيل. "العالم العربي بعد حرب العراق". المحاضرة الشهرية التاسعة 5/10/2003. (استرجعت بتاريخ: 20/3/2005).
www.greenbookresearch.com/ar/lectures/le-10-2003.doc

47 العطار، مصدر سبق ذكره ص 209.

48 "مأزق الاحتلال الأمريكي للعراق وأثره على القضية الفلسطينية"، مصدر سبق ذكره.

وتبديلها. وبدت حربُ العراق جزءًا من أدوات أمريكا المستخدمة في ذلك من خلال إسقاط نظام صدام حسين، ودعم وصول ما تسميه "الدّيمقراطية" إلى العراق، بدعم نظام يكون مواليًا لأمريكا وللغرب، ويكون موافقًا على الاعتراف بإسرائيل وإقامة علاقات معها، وتغيير ميزان القوى في منطقة الخليج، بإيجاد قطب جديد (القطب الشيعي)، الّذي يحاول أن يسيطر على كافة الثّروات والخيرات النفطية وغيرها.[49]

هذه الفكرة تأتي مترابطة مع الرؤية الأمريكية الأوسع لما يسمى "الشرق الأوسط الكبير"، الّذي روَّجت له، بشكلٍ واضح، كوندليزا رايس (وزيرة الخارجية الأمريكية) إبّان حرب تموز 2006 على لبنان، كمحاولة من الإدارة الأمريكية لتوسيع الشَّرق الأوسط الحالي ليشمل كلّ بؤر التَّوتر والعداء المحتملة في العالم الإسلامي لأمريكا وإسرائيل، ولِتُدخِل فيه دول لم تكن فيه من قبل كضم باكستان وأفغانستان وتركيا وإيران. وفي ذات الوقت القفز أو غضّ الطّرف عن مشكلاتٍ باتت تعتبرها الولايات المتحدة "مملة" كما القضية الفلسطينية الّتي شغلت العالم عقودا، وما زالت مستعصية عن الحل. ويتمُّ العمل على تنفيذ تلك الفكرة من خلال رؤية شمعون بيرس عن الشَّرق أوسطية، تمهيداً لانخراط إسرائيل في المنطقة، حيث ما زال بيرس يعتبرها حية، وتسير في اتجاه التَّحقيق، رغم هزيمة إسرائيل في حرب تموز 2006 على لبنان في مواجهة حزب الله.[50]

يقوم هذا المفهوم على أساس اللامبالاة وعدم الاكتراث بالهوية العربية والإسلامية للمنطقة، ودون احترام حقوق شعوبها في الحرية والاستقلال، حيث تمّ تقديم المصالح الاقتصادية والتِّجاريّة كأساسٍ للعلاقات. وبذلك يأتي الاحتلال الأمريكي للعراق ليفتح الباب على العديد من السياسات

---

49 المصدر السابق.

50 بيرس، شيمعون. قناة الجزيرة الفضائية. 15/9/2006.

الإسرائيلية والأمريكية المتوافقة بين الاحتلالين، أبرزها تلك القائمة على قمع الشُّعوب وخـــداعها واستعبادها. وأدلُّ مثال على ذلك تبادل الاحتلالين الخبرة والوسائل والأساليب في تعاملهمـــا مـــع الوضع في العراق وفلسطين، بعد أن اشتركا في الأهداف والغايات.[51]

فالأوساط الإسرائيلية والأمريكية تعتبر أنَّ إعادة ترتيب الأوضاع فـــي العـــراق، يشـــكِّل هـــدفاً استراتيجياً أمريكياً وإسرائيليّاً، يمهِّد لاعتراف متبادل وعلاقات سياسية ودبلوماسية بين "العـــراق الجديد" وإسرائيل، لما يشكله ذلك من استهداف مراكز الممانعة العربية، لوقـــف تأييـــد المقاومـــة الفلسطينية ودعمها.[52] كونه لم يعد يملـــك قـــدرات عســـكرية أو يلعـــب دورًا سياســـيًّا مـــؤثراً. فالفلسطينيون لم يعودوا يُعوِّلون عليه كدولة داعمة لهم، كما لم يعد الإسرائيليون يعتـــبرونه دولـــة تشكل تهديدًا لهم.[53] الأمر الّذي سيترك أثره على دول عربية وغيـــر عربيـــة محيطـــة كســـوريا وتركيا.[54]

وتأتي هذه الحرب في أبعادها الأخرى ضمن أهداف أوسع، يندرج على سلم ذلك سعي الولايات المتحدة لإعادة صياغة التعامل مع القضية الفلسطينية، في ضوء فشل "عملية السلام" منـــذ انطلاق انتفاضة الأقصى. إضافة إلى اهتمامها في إعادة تنظيم الوضع في الخليج العربي من حيث النفط، كون واشنطن لا ترضى لدولة وقوةٍ أخرى احتكار النفط العراقي الذي يشكل طريقاً لآسيا.[55]

---

51 "مأزق الاحتلال الأمريكي في العراق وأثره على القضية الفلسطينية"، مصدر سبق ذكره.

52 المصدر السابق.

53 "الرابحون والخاسرون في حرب العراق". تحقيق : زهير الدجيلي. 9/4/2007. (استرجعت بتاريخ: 9/4/2007).

http://www.aljeeran.net/wesima_articles/reports-20070409-67617.html. وانظر: الحروب، مصدر سبق ذكره، ص 17.

54 المركز الفلسطيني للإعلام. 26/6/2005. http://www.palestine-info.info

55 كيبل، مصدر سبق ذكره.

بدأت ملامح تأثير احتلال العراق تنعكس على القضية الفلسطينية، من خلال التَّجاوب الّذي أبـــدته القيادة الفلسطينية مع الجهود السِّياسية الدّولية لحلِّ القضية، لا سيما الّتي ترعاها الإدارة الأمريكية عبر "اللجنة الرُّباعية" كالموافقة على خطة "خارطة الطريق"، وتجاوبها مع الخطط المتعلقة بإدخال إصلاحات في مؤسسات السُّلطة، والسَّعي لتهدئة الأوضاع على جبهة المقاومـــة المســـلحة ضـــد الإسرائيليين لا سيما لجهة وقف العمليات الاستشهادية داخل الخط الأخضر، ووقف إطلاق قذائف الهاون وغيرها على التَّجمعات الإسرائيلية، والتَّشجيع على إيجاد قواسم مشتركة بين الفلســـطينيين بدعم الحوار بين الفصائل الفلسطينية، سواء الّذي جرى في غزَّة أم في القاهرة.[56]

وفي هذا الإطار كان من الطَّبيعي أن تبدي القيادات الفلسطينية، حماساً وترحيباً كبيراً بـــــالجهود التي بذلتها الحكومة المصرية لجمع فصائل المقاومة في القاهرة؛ لحضِّها على التَّوحـــد وتجنيـــب القضية المخاطر التي يمكن أن تحدث لها بعد احتلال العراق. وإبداء الاســـتعداد للتَّفـــاوض مـــع حكومة إسرائيل بقيادة آريئيل شارون حول القضايا السياسيّة والأمنية؛ كون الوضع الـــدّولي فـــي ظلِّ التّداعيات الإقليميّة والدّولية للحرب ضد الإرهاب وضد العراق، وكـــذلك ضـــعف الموقـــف العربي وتشتته وتوحد الإسرائيليين حول آريئيل شارون، زاد القضية الفلسطينية تعقيداً فـــي ظـــلِّ غيابِ الاستراتيجية الفلسطينية القادرة على بلورةِ تعاملٍ واضحٍ مع المتغيرات.[57]

وأضاف احتلال العراق عبئاً آخر على القضية الفلسطينية، كونه كان أحد أهم مصادر دعم هـــذه الجبهة مالياً ومعنوياً وسياسياً. وأصبحت صورة النِّظام العربي أكثر ضبابية، حتى صار الاستنجاد

---

56 أبو طه، علاء فوزي. "علاقة المتغيرات الدولية بالقضية الفلسطينية". 9/2/2006. (استرجعت بتاريخ: 13/6/2007). http://www.alwatanvoice.com/arabic/pulpit.php?go=show&id=36719

57 المصدر السابق نفسه.

بهذا النِّظام بالنسبة للفلسطينيين بلا فائدة، مع إبعاد العراق عن معادلات القوة العاملة بين العـــرب وإسرائيل لصالح إسرائيل.

وشغل احتلال العراق حيِّزًا من الاهتمام الّذي كان يحتله الملف الفلسطيني على كافة المســـتويات الدولية والعربيّة. وأصبح شبه مُغَيَّبٍ حتى في وسائل الإعلام والفضائيات، وبات يُروَّج للقضـــية الفلسطينية على أنَّها مثلها مثل غيرها من القضايا الدوليّة التي يساورها درجاتٌ من الصُّـــعود أو الانخفاض في الإعلام الدّولي، وهو ما لم يُعْهد من قبل، كونها كانت الحدث الأهم وذا الصّـــدارة، وموضوع النِّقاش الأبرز في القضايا الّتي تمَّ تداولها.[58]

الانتخابات الفلسطينية الرِّئاسية والتَّشريعية

يأخذ الحديث عن الانتخابات الفلسطينية بشقيها (الرِّئاسي والتَّشريعي) أهمية في الحالة الفلسطينية، كونها تُجرى تحت احتلالٍ له مصالحه وغاياته من وراء إجرائها، وعدم وضـــع العراقيـــل فـــي طريقها. وبعد غياب رمزٍ وطني (ياسر عرفات) قاد النِّضال الفلسطيني عقود متتالية، حيث أقـــر إجراء الانتخابات الرِّئاسية والبلدية وكذلك التَّشريعية.

ولا يخفى على أحدٍ الأثر الّذي أفرزته تلك الانتخابات من حيث البرنامج النِّضالي والانشغال عمّا درج من مقاومة الاحتلال، إلى الانشغال بالنّهج السِّياسي لا سيما مع إعلان حركة حماس خوض الانتخابات البلدية، والتَّشريعية عام 2004، والّذي قرأه الكثيرون على أنّه تحـــول فـــي نهجهـــا السِّياسي.

58 الموقع الالكتروني لندوات البيان. 7/11/2004. http www.albayan-magazine.com/Dialogues/a.htm:/

تمَّ تنفيذ هذه الانتخابات على مراحل، كانت بدايتها الانتخابات الرئاسية في (9/12/2005)، الّتي فاز فيها بصورةٍ تلقائية مرشح حركة فتح "محمود عباس" لقيادة الشّعب الفلسطيني، والّذي كان جوّ المرحلة مهيأ لفرزه بشكلٍ أكثر من غيره، ففاز بنسبة 62% من أصل نسبة 65% ممن شاركوا في الانتخابات ومن أصل سبع مرشحين.

قرأ محمود عباس (الرَّئيس الفلسطيني) نتائج هذه الانتخابات بأنَّها تفويض من الشَّعب الفلسطيني له، ومنحه شرعيةً كبيرةً تؤهله للقيام بما يُطلب منه لا سيما على الصَّعيد الأمريكي. فالبرنامج السِّياسي الانتخابي الّذي طرحه كان يتضمن ضرورة إيقاف "عسكرة الانتفاضة".

تكرَّس ذلك باعتراف حماس بفوزه رئيسًا شرعيًّا للشعب الفلسطيني، دون أن تأخذ بعين الاعتبار ما طرحه في برنامجه الانتخابي من التزامات، الأمر الّذي أدخلها في حالة سِجال معه لاستمرارها في عملياتها المسلحة التي "تعسكر الانتفاضة"، والتي وظّفها آريئيل شارون سياسيًّا وإعلاميًّا، لممارسة الضَّغط على محمود عباس، وتحميله المسؤولية عمّا يجري من أعمال عنف، كونه لم يُنفِّذ ما طُلب منه من قمع "الإرهاب" والقضاء على الإرهابيين من حماس. كما أنَّ هذه العمليات أدخلت الجميع في لعبة المسوغات والمبررات، بحجَّة أنَّ العمليات الفلسطينية هي سبب الرَّد الإسرائيلي.[59]

خلال عامٍ من التَّحضير لهذه الانتخابات، استمر جيش الاحتلال في عملياته ضد الفلسطينيين؛ ولم يحدث على السّاحة الفلسطينية أيَّ جديدٍ يُحرِّك الأمور ويدفع بها للزَّحزحة والتّغيير، وغابت

---

59 الحروب، خالد "أبو مازن وحماس: كيف يمكن تفادي الحرب الأهلية؟". 31/1/2005. (استرجعت بتاريخ:30/5/2006). www.islamonline.net

المساعي الجديَّة لمعالجة الوضع، فيما باتت الأطراف الفلسطينية منشغلة بالانتخابات سواء البلدية أو التّحضير للانتخابات التّشريعية، التي شغلت حيّزًا من الاهتمام الفلسطينيّ ونأت به عن أمور أخرى، كالمقاومة وأعمال النِّضال بحجَّةِ أنَّ الانتخابات هي الّتي ستُحدث التّغيير المطلوب، وتحلّ قضايا الشَّعب وبالأخص المعيشية واليوميّة.

أُجرِيَت الانتخابات التَّشريعية بتاريخ (25/1/2006) وعُدّت الأولى الّتي تشارك فيها كافة التَّيارات والفصائل الفلسطينيّة، بكلِّ اتِّجاهاتها السِّياسية والفكريّة، باستثناء حركة الجهاد الإسلامي. وشارك فيها ما نسبته 77% من الَّذين يحقُّ لهم الاقتراع، وحصلت حركة حماس على نسبة 62%، واعتبر البعض أنَّ نتائج الانتخابات البلدية السّابقة الّتي فازت فيها حماس بنسب تتراوح بين 35–40%[60] كانت بدايةً لاستكمال فوز حماس في الانتخابات التَّشريعية،[61] الّتي حُكم عليها بالانتخابات الدّيمقراطية والنّزيهة والشّفافة. وأقرت دول كثيرة بهذه النتيجة، فيما باتت السلطة الفلسطينية بعد فوز حماس، كما درج في التّسمية، (سلطة برأسين)، يقوم على الرِّئاسة فيها محمود عباس وهو من فصيل فتح، أما رئاسة الوزراء فيقوم عليها إسماعيل هنية وهو من حركة حماس، ولكلٍّ منهما برنامجه السِّياسي.

---

[60] "حلقة نقاش تداعيات فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية 2006 على مستقبل القضية والصراع في المنطقة وعلى إسرائيل". كانون ثاني/ 2006. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط. (نسخة الكترونية).

http://www.palestine-info.info/arabic/books/2006/5_2_06/5_2_06.htm. وانظر: نافع ، بشير. التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2006. 2/6/2007.(نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 19/10/2007).

http://www.arab-nation.com/index.php?option=com_content&task=view&id=5819&Itemid=1

[61] "حلقة نقاش تداعيات فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية 2006 على مستقبل القضية والصراع في المنطقة"، مصدر سبق ذكره.

لقد جاء فوز حماس، رغم عدم توقع الحركة هذا الفوز، كإعلانٍ عن تحوُّلٍ سياسي لديها، لا سيما أنّه جاء في مرحلة واجهت فيها حركة حماس الكثير من المتغيرات وعلى رأسها وضع الحركة بعد أحداث 11 سبتمبر على لائحة الحركات الإرهابية، ثمّ موقف الحركة من النّظام السِّياسي الفلسطينيّ، وبخاصةٍ منظمة التَّحرير الفلسطينيّة الّتي تخالفها في النَّهج؛ فحماس ذات امتداد إسلامي يعود إلى حركة الإخوان المسلمين، وقد كانت حماس تشترط، دومًا، لِدخولها منظمة التّحرير تخلي الأخيرة عن نهجها العلماني، وأصبحت حماس بعد قيام السُّلطة، تُطالب بضمان حصّةٍ لها، باعتبارها ممثلةً للشعب الفلسطيني. وقد جاءت مشاركة حماس في الانتخابات بعد تحولاتٍ هامة في المجتمع الفلسطيني الذي شهد انتفاضة قلبت كل موازين التفاوض والمسار السلمي المستمر منذ أوسلو، فاعتبرت حركة حماس أنَّ انتفاضة الأقصى قد تجاوزت سقف أوسلو، وأفرزت حقائق جديدة، شكلت دافعاً للحركة لخوض الانتخابات، الّتي **رفضت المشاركة فيها في العام** 1996 بحجة إجرائها تحت سقف أوسلو.[62]

تجاوزت دلالات وأبعاد دخول حماس وفوزها في الانتخابات الإطار الفلسطيني المباشر، رغم ارتباط فوز حماس بالوضع الفلسطيني الدّاخلي، وكإفراز لواقع سياسي، واجتماعي على الأرض الفلسطينية. فذهب البعض إلى أنّه جاء كنتيجة لامتدادات خارج هذا الإطار الدّاخلي، وعلى رأسها المشروع الأميركي الدّاعي لنشر الديمقراطية.[63]

---

62 قاسم، عبد الستار وآخرون.(2006). النظام السياسي الفلسطيني"مرحلة متحولة". تحرير: نصر الله الشاعر، محمود جرابعة. ط 1. رام الله: مركز البراق للبحوث والثقافة. ص 67- 70. وانظر: عيسى، مجدي.(2007). المشاركة السياسية لحركة حماس في النِّظام السِّياسي الفلسطيني ما بين التّماسك الأيديولوجي والبراغماتية السياسية. بيرزيت: كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير غير منشورة. ص 124 -135.

63 لطيفي، عادل. "فوز حماس في سياق المعادلة الشرق أوسطية". 27/2/2006. (استرجعت بتاريخ: 22/2/2007).

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CD99BD5A-4154-45A2-A5DA-95B8C5A8CDBC.htm 22 Feb 2007

لم تُشارك حركة حماس في الانتخابات التّشريعية كحركة مقاومة وإن كان ذلك لا يمنعها من ممارسة المقاومة، فحركة فتح شاركت في المقاومة وهي في السُّلطة، وإنّما لأنَّها جنحت إلى العمل السِّياسي الرَّسمي عبر المؤسسات التي أقرت في اتفاق أوسلو. وتنبع أهمية هذه المشاركة من كونها اعترفت بشرعية مؤسسة أنشئت ضمن أوسلو رغم مواقف الحركة الرّافضة لأوسلو والإقرار بعدم بشرعيته. فالدخول في المجلس التشريعي، بشكلٍ من الأشكال، يدل على أنَّه يمثل مؤسسة تقرير في ظل سلطة لا تملك السيادة، فهي لا تستطيع إصدار قرار وطني مستقل لمجرد أنَّها تعمل تحت الاحتلال، الأمر الّذي بدت ملامحه تظهر عندما سعت لتشكيل حكومة، حيث برزت سلسلة من الضُّغوطات والاعتراضات عليها، كان أبرزها القوة التي كانت مسيطرة على الوضع وما زالت على سُدة رئاسة تلك السُّلطة ممثلة بالرِّئاسة ومعها حركة فتح. ولعبت أطراف فيها على إحداث الاضطراب لزعزعة تلك الحكومة عبر مجموعة من الأحداث الّتي أثيرت؛ بحجَّة الرَّد على ما صدر من تصريحات على لسان زعامة من حماس كالتي أثارها خالد مشعل بتاريخ (21/4/2006) حيث كال الاتهامات لحركة فتح ورئيسها محمود عباس. استغل الفتحاويون تلك الاتِّهامات لتحريك الشّارع والتّظاهر في شتى مناطق الضِّفة الغربية، وقطاع غزَّة بحجَّة الرد عليها. وأمعنت حركة فتح في الإتيان بسياسات وردود أفعال معاكسة لكلِّ ما تبنَّته حركة حماس منذ فوزها، حتى وصل الأمر إلى مرحلة رُفع فيها السِّلاح الفلسطيني بوجه الفلسطيني، وضُربت مؤسسات تابعة للسُّلطة من قِبل هذه العناصر بِحجة التَّأخر في صرف الرَّواتب.[64]

64 بلقزيز، عبد الإله . آب/2006. "حماس وفتح والرئاسة: لعبة الأخطاء القاتلة. مجلة المستقبل العربي. العدد 330 السنة 29: ص 24– 25.

بدأت بوادر التَّأزم بين حركتي فتح وحماس، عندما رفضت حركة فتح المشـــاركة فـــي حكومـــة حماس التي فازت في الانتخابات التَّشريعية، بحجة عدم اعتراف حماس بمنظمة التَّحرير مرجعية للسُّلطة وممثلاً شرعيّاً ووحيداً للشعب الفلسطيني. فيما اعتبرت حماس على لســـان موســـى أبـــو مرزوق رفض الفصائل بما فيها فتح المشاركة في حكومة حماس، "ناتجاً عـــن ضـــغوطٍ داخليـــة وخارجية مورِست على السّاحة الفلسطينية".[65]

لكن من منظورٍ واقعيٍّ يبدو أنَّه منذ قيام السُّلطة الفلسطينية على الأرض عام 1994، كـــان دور منظمة التَّحرير شِبه مُغيّب، حيث أصبحت السُّلطة هي مصدر القرار، ناهيك عن استحواذ الرِّئاسة على القرار. وبدا ذلك محاولة للضَّغط على حكومة حماس الجديدة بهدف سلب السُّلطة منها، رغم أنَّ صلاحيات رئيس الوزراء وتوسيعها كانت مطلباً أمريكياً منذ الرَّئيس الرّاحل ياسر عرفـــات، عندما تمَّ استحداث هذا المنصب، الّذي بات غير مرحبٍ به بعد فوز حماس.[66]

يُعتبر دخول حماس الانتخابات وفوزها بأكثرية مقاعد المجلس التشريعي، حدثاً هاماً بالنسبة للهرم السِّياسي الفلسطيني بكل المعايير؛ لما سيتركه من تفاعلات على شتى الأطر الفلسطينية والعربيـــة والغربية، وحتى على الطَّرف الإسرائيلي. فسيصبح هناك تغيير في الموقع والانتقال من موقع إلى آخر، وذلك من خلال محاولة زجّ حركة حماس في الحياة السياســـية كجـــزءٍ مـــن الاســـتيعاب والاحتواء لها قياسًا على ما تمّ لحركة الإخوان المسلمين في الأردن وفي مصر، دون الأخذ بعين

65 أبو مرزوق، موسى. صيف/2006. مقابلة أجراها: ماجد كيالي. مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد 67. ص 7– 23.

66 بلقزيز، "حماس وفتح والرئاسة: لعبة الأخطاء القاتلة"، مصدر سبق ذكره، ص 26– 27.

الاعتبار النَّواحي التي نشأت وتبلورت فيها مواقف هذه الجماعات والبيئة التي عاشت وترعرعت فيها.[67]

شكّل تمسك حماس بعدم الاعتراف بإسرائيل، ودعم المقاومة وتأييدها دون إسقاطها من حساباتها، خلال تعاملها مع المستجد من الأحداث ركيزة حماس الأساسيّة، ولكنَّ نتائج الانتخابات وقبلها الإعلان عن مشاركتها السياسية فيها، أشارت إلى نوعٍ من التّغير في استراتيجية الحركة، رغم تمسكها بهذين الهدفين. وقد دلَّ على تلك التّغيرات ما كان يرشح من أقوال عن الكثير من رموز الحركة، وعلى رأسهم خالد مشعل الّذي أعلن موافقة الحركة على إقامة دولة فلسطينية على كامل أراضي ال 67، مقابل هدنة طويلة الأمد مع إسرائيل، ومن ذلك الوثيقة التي تمَّ تناقلها عن أحمد يوسف مستشار رئيس الوزراء في حكومة حماس إسماعيل هنية.[68]

يُمكن القول: شكّلَ فوز حماس تحولاً كبيراً في السّاحة الفلسطينية برمتها وعلاقاتها المحيطة، فقد أثبتت نضج الشّعب الفلسطيني السّياسي في اختيار ممثليه دون منازعاتٍ، وامتلاكه، رغم كل المعيقات، القدرة على إدارة شؤونه. وأكَّدت تمسك الشعب الفلسطيني بالمقاومة ونهجها، ورفضه للتَّسويات السلميّة مع الاحتلال حيث أثبتت عدم جدواها منذ أوسلو.[69]

---

[67] يوسف، "حماس والتشريعي: احتواء للحركة أم تعزيز للمقاومة، النظام السياسي الفلسطيني مرحلة متحوّلة"، مصدر سبق ذكره، ص 59- 66.

[68] المصدر السابق، ص 63

[69] نفس المصدر، ونفس الصفحة.

كانت خطوة إقرار إسرائيل بالانسحاب من قطاع غزّة وإخلاء مستوطناته، رغم الدّافع الإسرائيلي لذلك؛ بمثابة نصر للمقاومة الفلسطينية، وللنَّهج الّذي كانت تبنته حماس، ورفعته شعارًا لها خلال حملتها الانتخابية "أمريكا وإسرائيل قالا: لا لحماس، أنت ماذا تقول"؟.

كما عزَّز هذا الانسحاب خيار المقاومة الدّاعي إلى رفض الهيمنة الصِّهيونية والأمريكية على المنطقة بكاملها، كونها المرَّة الوحيدة التي تسجّل لإسرائيل انسحابها من أراضٍ فلسطينية بشكل أحادي منذ قيامها، وإنْ سُجِّلَ لها الانسحاب من جنوب لبنان أيضاً في العام 2000. وتعزَّز ذلك مع تصاعد دور المقاومة العراقية للاحتلال الأمريكي، وحزب الله في جنوب لبنان، عدا عن رفض سياسة أمريكا ومحاولة ابتزازها للحركة، من خلال ربط مصير الشَّعب الفلسطيني وخياراته السِّياسية بقراراتها لفك الحصار المالي والسِّياسي عنها.

جاء فوز حماس في مرحلةٍ تقاطرت فيه المتغيرات العالمية نتيجة أحداث 11 سبتمبر، وأوجدت تحولاتٍ في التّعامل مع الكثير من القوى والأحزاب بسبب التَّغير الّذي رافق هذه التَّحولات. فهذا الفوز في الانتخابات التّشريعية جعل السّاحةَ الفلسطينية تتَّجِه نحو المزيد من التَّعقيدات، كان أبرزها تغير المواقف الدّولية، وبعض المواقف العربية التي أعقبت النَّتائج مباشرةً، وعبّرت عن رفض التّعامل مع حكومة فلسطينيّة تتزعمها حماس قبل اعتراف الأخيرة بالاتِّفاقات الدّولية. وقامت بفرض الحصار على الشَّعب الفلسطيني لاسيما الاقتصادي منها. وتأزَّمت الأمور بين طرفي السُّلطة فتح وحماس بشكلٍ علني أكثر. وبرزت محاولاتٌ فلسطينيّة لإنهاء التّوتر بين الطّرفين، وسعت لرفع المعاناة عن المواطنين، كان أبرزها ميثاق الأسرى، أو وثيقة الأسرى. وتمَّ الإعلان عن اتفاق بين رئيس السّلطة محمود عباس، ورئيس الوزراء إسماعيل هنية

للتَّشاور حول تشكيل حكومة فلسطينية جديدة، ثمَّ الاتفاق على البدء بمشاورات لتشكيل حكومة جديدة انطلاقًا من وثيقة الوفاق الوطني؛ ما كان يعني عدم إعادة تكليف إسماعيل هنية لرئاسة الوزراء. وأعلن إسماعيل هنية بشكلٍ مشروط تشكيل الحكومة الجديدة، وأصبحت هذه الشّروط بمثابةِ محددات أو أسس لا تختلف من حيث المضمون والمعنى عن الشروط التي طرحتها كنزاهة من سيشاركون في الحكومة ومصداقيتهم، حيث لن تقبل حماس أن ترشح أية قوة سياسية شخصية محط شبهة أو تساؤل، وخاصة بعد انتخابها، كون مكافحة الفساد كان من أهم عناوينها.[70]

كلُّ هذه التَّطورات لم تعفِ حكومة حماس، الَّتي كانت دومًا في موقفِ المُعارَضة، من مواجهةِ التّحديات الّتي تراكمت أمامها لاسيما ما فرضته أحداث 11 سبتمبر من تَغيُّرات، وباتت الحركة الآن مسؤولة عن قضايا الشَّعب ومتطلباته، لاسيما حالة الحصار والفوضى والدّمار الّتي يعيشها الشَّعب الفلسطيني. فحكومة حماس باتت المسؤولة عن توفير المال اللازم لدفع رواتب 140 ألف موظف حكومي عسكري ومدني، مسجلين على الطّاقم الحكومي، عِلماً أنَّ الأزمة الفلسطينية المالية بدأت قبل تولي حماس مقاليد الحكومة، التي استلمتها بخزينة تعاني من مليار و 772 مليون دولار من الدُّيون.[71]

70 مجدلاني، أحمد. "حكومة وحدة وطنية أم حكومة حماس مكررة". مجلة كنعان.22/8/2006. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 8/8/2007).

www.kanaanonline.org/suggested.php

71 نافع، "التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2006"، مصدر سبق ذكره.

إضافةً إلى ذلك كيفية التَّعامل مع مطالب المجتمع الدّولي تجاه ما وُقِّع مع السُّلطة الفلسطينية من اتِّفاقيات، ما دفع حكومة حماس لمواجهة أكبر تحدٍّ لها وهو محاولة ابتزازها مالياً من خلال اعترافها بإسرائيل لتضمن تحويل الأموال لها.

حاولت، أمام هذه المتناقضات والضُّغوطات، حركة حماس الّتي دخلت الانتخابات دون برنامجٍ سياسيٍّ واضح، أن تُظهر أهدافها وما تنوي الوصول له للرَّأي العام. فالواقع الفلسطيني الدّاخلي، والوضع الخارجي، وجُملةُ التَّطورات الّتي تصاعدت بعد أحداث 11 سبتمبر؛ يتطلعون إلى حقيقة الخطوات الّتي ستتبعها حماس في ذلك، وإن كان تغييراً في نهجها. وقد حاولت حماس التّوفيق بين متطلبات المجتمع الدولي، وبين مطالبها كحركة مقاومة، وبين حماس كسلطة مسؤولة عن شعب، حيث تزايدت الأمور تعقيداً بعد دخولها في حالة صِدام مع حركة فتح، وخلقت توتراتٍ على السّاحة الفلسطينيّة وصلت حد الاقتتال الدّاخلي، الّذي لم تستطع كل الوساطات الدّاخلية أن توقفه؛ نتيجة التنازع على الصلاحيات، وصلت حدتها بفرض سيطرة حركة حماس على قطاع غزة، وإعلان الرئيس محمود عباس حلَّ حكومة الوحدة وإنشاء حكومة طوارئ، ما ترك الساحة الفلسطينية في حالة فوضى سياسية كبيرة.

محمود عباس (أبو مازن) وحكومة حماس

اشترطت حركة حماس بعد فوزها في الانتخابات التشريعية؛ ضرورة العمل على تحديد العلاقة ما بين مؤسسة الرئاسة ومجلس الوزراء.[72] ووضعت جملة من الشّروط أظهرت نوعًا من التّساؤل

72 مجدلاني، "حكومة وحدة وطنية أم حكومة حماس مكررة"، مصدر سبق ذكره.

حول ماهية أولوياتها، في موضوع القضية السياسية، كونها لم تحمل أي برنامج سياسي واضح في حملتها الانتخابية.

وُضعت حركة حماس المنتخبة شرعيّاً أمام سلسلةٍ من الاستحقاقات تجاه من انتخبها، وتجاه المطالب المحيطة بها عربيّاً ودوليّاً؛ لأنَّ رئاسة السلطة يقف على رأسها محمود عباس الذي يرأس حركة فتح وهو الأكثر مطالبة بالتَّسوية مع الاحتلال ويعتبر "طريق التّفاوض" خياره الاستراتيجي، وتُسانده أجهزة أمنية محسوبة عليه. بالإضافة إلى الفساد المستشري في المؤسسات الفلسطينية مادياً وإداريًا، وما يكتنف البيت الفلسطيني من فوضى وانقطاع مع الخارج.[73]

قام محمود عباس ومن منطلق موقعه كرئيسٍ للسلطة، وبما يملكه من صلاحيات كثيرة، بممارسة نوعٍ من الضَّغط السياسي على حكومة حماس للحدِّ من صلاحياتها الدُّستورية، كمطالبته الحركة الاعتراف بالاتفاقات الموقعة مع إسرائيل. وترافق هذا المطلب مع الاشتراط الدولي عندما رهن رفع الحصار عن الحكومة بضرورة الاعتراف بإسرائيل، وتكرس ذلك بوقف الأطراف الدولية كافة اتِّصالاتها مع الحكومة الفلسطينية واقتصرته على الرِّئاسة، لا سيما من أوروبا وأمريكا ومعها إسرائيل وامتدَّت للأطراف العربية.[74]

بدأت الفجوة تتسع أكثر بين الرَّئيس محمود عباس وحركة حماس، نتيجة هذا التَّضارب في الصلاحيات والمسؤوليات، نظراً للبرامج السياسية التي يحملها كلّ طرف، والتي بطبيعتها لا

---

73 "دلالات فوز حماس والتحدي القادم". 7/7/2005. (استرجعت بتاريخ: 7/2/2006).

http://www.palestine-info.info

74 بلقزيز، "حماس وفتح والرئاسة: لعبة الأخطاء القاتلة"، مصدر سبق ذكره، ص 28 – 31.

تلتقي. تجلت مع بدء حماس بعد فوزها في تشكيل الحكومة الفلسطينية، ورفض الفصائل المشاركة فيها، لا سيما أنّها جاءت، كما حلا للبعض وصفها: "حكومة حماس" وليس حكومة الشَّعب الفلسطيني كون كل وزرائها كانوا من الحركة نفسها.

هذه الحكومة لم تعمر طويلاً بسبب حالة الرَّفض التي سيطرت على حركة فتح حيث رفضت الخضوع أو التَّنازل لحركة حماس، ودفعت بالرَّئيس لاتخاذ إجراءات أو ممارسة الضَّغط عليها "لإسقاطها" لا سيما مع حالات الفوضى الّتي أخذت تعمُّ الشّارع الفلسطيني، وحالة الحصار التي فُرِضَت عليه نتيجة فوز حماس.

بدأت المساعي لتشكيل حكومة وحدة وطنية، وقبلت الأطراف الفلسطينية بوثيقة الأسرى، التي جرى تعديلها حماس لتقبل بها كأساسٍ للوفاق الداخلي وتشكيل الحكومة، لكنّ إصرار حركة فتح على مبدئها بعدم المشاركة في حكومة تقودها حماس عطَّل هذه المساعي، وبخاصّةٍ أنَّ حماس اشترطت أن يكون رئيس الوزراء من حركة حماس وليس من غيرها.

ونتيجة التّجاذبات بين الحركتين مُمثَّلة بالرئيس محمود عباس ورئيس الوزراء إسماعيل هنية، وبسبب ارتباطات وحسابات خارجية (إقليمية ودولية) لم تتحقق على أرض الواقع أيَّ بوادر عملية لإزالة التَّوتر، فاحتدم الصِّراع بين فتح وحماس، وتمَّ عقد العديد من الاتفاقيات، وتوقيعها لاحتواء الأزمة والحد من تدهور الأوضاع، كان أبرزها توقيع اتِّفاق مكّة في المملكة العربية السعودية برعاية العاهل السعودي، وأطراف من فتح وأخرى من حماس (الدّاخل والخارج) ومنهم: محمود عباس، وخالد مشعل وإسماعيل هنية بتاريخ (8/2/2007). كانت أهم بنود اتِّفاق مكّة التأكيد على حرمة الدم الفلسطيني، وتوكيل إسماعيل هنية بتشكيل حكومة الوحدة الوطنية التي تضم 9 من

حماس و 6 من فتح و 5 مستقلين و 4 من الفصائل الأخرى- تكـــون وزارة الماليـــة والداخليـــة والخارجية بيد المستقلين، كما تتضمن الالتزام بالقرارات الدولية والعربية واحترام الاتفاقيات. وتواصلت الاتصالات الفلسطينية الدّاخلية لاستكمال تشكيل حكومة الوحدة برئاسة إسماعيل هنية، حتى تمّ في (17/3/2007)، مصادقة المجلس التَّشـــريعي الفلســـطيني علـــى حكومـــة الوحـــدة الفلسطينية التي رفضت الجبهة الشَّعبية وحركة الجهاد الإسلامي المشاركة فيها، وتوزعت الحقائب فيها وفق اتفاق مكّة، لتكون بذلك أول حكومة وحدة وطنية للشعب الفلسطيني.

هذا الاتِّفاق الّذي لم يستند إلى أسس وقواعد تنفيذية على الأرض دفع الأمور إلى الاشتعال مجدّدًا، بالإضافة إلى مواصلة سياسة العزلة والحصار الدولي. وتصاعدت حدة الإضرابات التي نفَّـــذتها قطاعات واسعة من الموظفين الفلسطينيين في الدَّوائر الحكومية، وكذلك في دائرة التعليم والصحة بشكلٍ أساسي. واستمر الاحتلال في سياسته التدميرية تجاه الشعب الفلسطيني، وجـــاء التضـــييق الإسرائيلي على الفلسطينيين بعد حكومة الوحدة أكثر حدَّةً ممّا كان قبلها في كافة النّواحي السِّياسية والاقتصادية والميدانية.[75]

وبات النَّظر إلى الوضع دون معالجته بشتى جوانبه السِّياسية بلا جدوى وبلا فاعليـــة، وبـــدا أنَّ عنصر فقدان الثقة وانتشار الفوضى وروح الانتقام هو المسيطر. وشكّل الوضع عـــودة للمربـــع الأول لحماس وفتح من حيث تحميل كلّ طرفٍ الآخر للأخطاء والمسؤولية عمّا يجري، واتِّهـــامه بتنفيذ مطالب خارجية وإقليمية، حتى تمّت سيطرةُ حماس على قطـــاع غـــزة، فنقلـــت المشـــهد الفلسطيني إلى مرحلة لم يشهد الشعب الفلسطيني وقضيته مثلها من حيث الخطورة على القضـــية

75 دعيبس، خلود. قناة الجزيرة الفضائية. 2/6/2007.

الفلسطينية، نتيجة انقلاب الأولويات الفلسطينية، وباتت القضايا الداخلية وما أحاطها من انقسامات المسيطرة على المواقف والتحركات، وباتت الهم الأول للفلسطينيين.

الحصار السِّياسي والمادي

شهدت الساحة الفلسطينية حملة لم يسبق مثلها منذ تولت حركة حماس زِمام الأمور بعد فوزها في الانتخابات التشريعية. ففرض على الشَّعب الفلسطيني حصار سياسي واقتصادي من كافة الأطراف، حالت دون إدخال الأموال إليه. كما مارست الحكومة الإسرائيلية طرقها في الحصار: كعدم صرف مستحقات السُّلطة من الأموال العائدة من الضَّرائب بِحُجَّة أنهَّا تذهب لتمويل الإرهاب الفلسطيني، وكذلك إغلاق المعابر، وتدمير مطار غزّة، وجرف آلاف الدُّونمات من الأراضي الزِّراعية، وتدمير الكثير من الورش والمنشآت الصّناعية، وحجز المواد الخام والبضائع، حيث كان ذلك مؤشرًا واضحًا على التَّغير السياسي لدى إسرائيل في التّعامل مع الوضع الفلسطينيّ، إضافة لوقف صادرات القطاع الزِّراعيّة للضِّفة الغربيّة.[76]

وربطت كلٌّ من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة تقديم المساعدات إلى الشَّعب الفلسطيني الّذي تقوده حماس، بجملةٍ من المطالب السِّياسية، نقلها المُتحدِّث ُباسم الخارجيّة الأمريكية شون ماكورماك قائلاً: "لأنَّ الحكومة الفلسطينية الجديدة برئاسة حماس فشلت في قبول مبادئ اللجنة الرُّباعية، وهي نبذ العنف، والاعتراف بإسرائيل، واحترام الاتِّفاقيات السّابقة بين

---

76 الموقع الالكتروني: http://www.fm-m.com/2006/Sep2006/story21.htm 24/1/2007

الجانبين، فإنَّ الولايات المتحدة تقوم بتعليق المساعدات المُقدَّمة لوزراء ومجلس وزراء الحكومة الفلسطينية".[77]

وبدأت الأزمة الاقتصادية تتعمق لدى الفلسطينيين، وظهرت بشكلٍ جَلي في الشّارع الفلسطيني مع عدم دفع الرّواتب لحوالي 140 ألف موظف. فالحصار المفروض أسهم في تدني مستوى المعيشة بشكلٍ كبير، مع ركود الحياة الاقتصادية والمشاريع الإنتاجية وحركة التِّجارة، عدا عن تبعية الاقتصاد الفلسطيني للاقتصاد الإسرائيلي الّذي بات مُكبّلاً منه. ووصل الوضع الاقتصادي الفلسطيني مرحلةً أسوأ من الشَّلل والجمود عندما تمَّ تعطيل إيرادات البنوك، وفرض منعٍ ورقابة على الأموال التي يتمّ تحويلها لها، ما زاد من معدلات البطالة بين أبناء الشّعب الفلسطيني بقطاعاته المختلفة.

غياب آريئيل شارون وصعود إيهود أولمرت مع "كديما"

تولى آريئيل شارون رئاسة الوزراء في إسرائيل بعد فشل إيهود باراك وتقديم موعد الانتخابات الإسرائيلية على وقع الانتفاضة الفلسطينية. وقد اعتبرت الأوساط السِّياسة الفلسطينية والعربية وحتى الإسرائيلية عودته هذه غير عادية، فهو المعروف فلسطينيًّا بمذابحه ضدهم منذ صبرا وشاتيلا. ومجيئه للحكم أعطى دلالاتٍ سلبية عن التّعامل الّذي سيتبعه مع الفلسطينيين، فقد أعلن منذ اللحظة الأولى لانتخابه عن سياسته الهادفة إلى كسر إرادة الشَّعب الفلسطيني. وطالب بمنحه مائة يوم للقضاء على الانتفاضة الفلسطينية معتبراً صراعه مع الفلسطينيين قائماً على وجود

77 لوب، جيم. "واشنطن تقطع جميع المساعدات عن السلطة الفلسطينية". 7/4/2006. (استرجعت بتاريخ: 28/12/2006).
WWW.IPS

دولتهم، وأن المفاوضات مع الفلسطينيين ليست الأنسب للتعامل معهم، بل القوة المسلحة هي الخيار الأفضل. وأعطى إشارات عن رفض التعاطي مع أي تسوية سياسية مستقبلاً دون إخضاع الفلسطينيين لإرادته.[78]

كثرت الدَّلالات التي ترافقت مع إعلان آريئيل شارون الانسحاب من غزَّة ومن طرفٍ واحد، واعتبر ذلك نهجاً جديداً سيتبعه وحكومته، وحلاً للصِّراع من طرف واحد، حتى أن بعض الإسرائيليين مثل يعقوب بارسيمنطوف اعتبر ذلك "ليس حلاً بل إدارة للصِّراع من طرف الإسرائيليين".[79]

ثم جاءت خطوة إعلان آريئيل شارون وحكومته في (25/5/2003) الموافقة على خريطة الطريق مع التمسك بالتعديلات التي قدمها وحكومته، كإقرار إسقاط حق عودة اللاجئين الفلسطينيين من الجانب الفلسطيني.[80]

إنَّ انهيار عملية التَّسوية ومواقف اليمين واليسار الإسرائيليين المتشددة، كانت دافعاً لآريئيل شارون لنهج ما هو بديل عن كلِّ ما هو واقع، مستغلاً حالة الضَّعف التي شابت الفلسطينيين بعد أحداث 11 سبتمبر.

أسس آريئيل شارون في الأشهر الأخيرة من حقبة رئاسته، حزبًا جديدًا يُدعى"كديما" (أي إلى الأمام) ونتيجة ما أصابه من مرض؛ اعتزل العمل السّياسي، وأُجريت الانتخابات الصِّهيونية في الثّامن والعشرين من آذار من العام 2006 أي قبل موعدها بأشهر. وقد فاز إيهود أولمرت فيها

---

78 جاد، عماد وآخرون، ماذا بعد إنهاء عملية التسوية السلمية، مصدر سبق ذكره، ص 50- 52.

79 للمزيد انظر: بارسيمنطوف، مصدر سبق ذكره.

80 جاد، مصدر سبق ذكره، ص 39 .

وتولى رئاسة الحزب الجديد، الّذي تقدَّم على أحزاب تقليدية كالعمل والليكود. وأثبت إيهود أولمرت عدم مقدرته على تقييم الأمور عندما خاض حربه على لبنان ولم يمض خمسة أشهر على تأسيس الحزب وعلى فوزه في الانتخابات.[81] والتي أثارت الكثير من التساؤلات حول إمكانية إيجاد مخرج للأوضاع التي تزداد سوءاً على الأرض بين الطرفين.

في الخامس من كانون الثّاني من العام ألفين وستة، أعلن مستشفى هداسا في القدس المحتلة أن رئيس الوزراء الإسرائيلي آريئيل شارون في حالة حرجة، بعد أن أجريت له جراحة لوقف نزيف حاد بالمخ. وبدأت التّحليلات السِّياسية تُظهر أنَّ غيابه سيترك تأثيرًا على السّاحة السّياسيّة في إسرائيل وعلى المناطق الفلسطينية، حيث سيترك حالة فراغ، وسيؤدي إلى خلط الأوراق الداخلية السياسية في المنطقة برمتها، خصوصا ما يتعلق بالصِّراع الفلسطيني- الإسرائيلي. واعتبرت تحليلات أخرى غيابه غيابًا سياسيًّا له، فهو بنظر العديد من الإسرائيليين قائد قدم لكيانهم الكثير وخاض لأجله الحروب، ومثّل نفوذه الواسع على المؤسسة العسكرية الركيزة الأولى في بناء كيانهم واستمراره، ناهيك عمّا عُرِف عنه من جرأةٍ في اتخاذ القرارات. إثر ذلك تمّت الدّعوة إلى إجراء الانتخابات العامة في كيانهم في موعدها المحدد(28 آذار)،[82] التي فاز فيها حزب كديما برئاسة إيهود أولمرت.

أدى غياب آريئيل شارون عن السّاحة السِّياسية؛ إلى حالة ارتباك ضخمة، أثرت في المشهد السِّياسي الإسرائيلي عامة، وأثير التَّساؤل عن مصير حزب كديما الجديد الذي أسسه.

---

81 اغبارية، مسعود أحمد. 2002. "الانتخابات الإسرائيلية العامة آذار 2006 التطورات والنتائج والأبعاد". مجلة قضايا إسرائيلية. العدد 22: ص 11.

82 ظاهر، بلال. "غياب شارون يخلط الأوراق في إسرائيل والمنطقة".5/1/2006. (استرجعت بتاريخ: 15/6/2006). http://www.arabs48.com/display.x?cid=19&sid=57&id=33996

فآريئيل شارون الغائب سياسياً، أثار تغييرات لم يشهدها الواقع الإسرائيلي؛ لتشمل الخريطة الحزبية الإسرائيلية، وما يمكن أن تشهده من تكتلات واصطفافات داخل أروقة الأحزاب، حيث يعتبر غياب آريئيل شارون نقطةً لدخول إسرائيل مرحلة جديدة بصعود جيلٍ سياسيٍّ جديد (الجيل الثالث)، حيث سيؤثر بالضَّرورة على مستقبل التَّسوية مع الفلسطينيين والمنطقة في المدى القريب، على اعتبار أنَّ ذلك مرهون بعاملين أولهما: ما أنتجته الانتخابات التشريعية الفلسطينية في (25/1/2006) من فوز حماس بأغلبية المقاعد. فهناك فرصٌ متزايدة لحزب الليكود في الصُّعود السِّياسي بالائتلاف مع كديما أو بالائتلاف مع الأحزاب الدينية اليمينية، أو الاتجاه نحو كديما بزعامة إيهود أولمرت، أما بالنسبة لحزب العمل فأشارت التحليلات إلى أنّه سيجمد حراكه السياسي، لكن إعادة فوز إيهود باراك في انتخابات حزب العمل بتاريخ (12/6/2007)، أعاد لهذا الحزب الحيوية، والعودة للحياة السياسية. وثانيهما؛ استعداد الإدارة الأمريكية للضغط على الحكومة الإسرائيلية أياً كانت؛ للتكيف مع الأوضاع الإقليمية والدّولية الّتي ستساعدها في الخروج من مأزق سياستها في المنطقة، وإقرار تسوية وفق الرُّؤية الأمريكية، وفقاً لمشروعها "الشّرق الأوسط الكبير".[83]

شهدت السّاحة الإسرائيلية بعد غياب آريئيل شارون سياسيًّا وتولي إيهود أولمرت رئاسة الحزب تغييراتٍ جديدةً في الاصطفافات السَّياسية بين الأحزاب المختلفة وبين حزب كديما والعمل والليكود تَمثَّلَ بالاندماج أو بالتَّحالفات، لا سيما بعد إقرار هزيمة كيانهم في حرب تموز 2006 ضد حزب الله اللبناني وفق تقرير فينوغراد، وما كان قبله من استقالة قائد الجيش دان حالوتس، وما برز من تهم ضد رموز كثيرة في حكومتهم، وتحقيقات نتيجة الإخفاق في تلك الحرب. فعودة

---

83 المدهون، محمد إبراهيم. "ما بعد شارون". 1/7/2006. (استرجعت بتاريخ:11/12/2006). http://www.alhaqaeq.net/?rqid=2&secid=5&art=42861

إيهود باراك برئاسة العمل وبنيامين نتنياهو لليكود، سيضعف من معسكر إيهود أولمرت وحـــزب كديما، الأمر الّذي سيخلق تمايزاً في الخريطة السِّياسيّة لكيانهم، ما سيترك دلالاته على المنطقـــة وعلى الوضع الفلسطيني بشكلٍ خاص.

لا يعني غياب آريئيل شارون للفلسطينيين شيئًا سوى انتهاء رجلٍ مُلطَّخ بدمائهم، ويحمل الكـــثير من بذور مأساتهم ومعاناتهم. ومع ذلك، طُرحت تساؤلاتٍ حول المنعطف الهام الّـــذي ســـيكتنف الفلسطينيين بعد غيابه، لا سيما خطط الانسحاب الّتي بدأها والمصير الّذي ستؤول إليـــه،[84] علـــى اعتبار أنَّ خلفه إيهود أولمرت قد أوقف كلَّ أشكال هذا الانسحاب أو الانطواء، مع هزيمتـــه فـــي حرب لبنان 2006.

---

84 المصدر السابق.

خلاصة

لقد شكلت الانتفاضة الفلسطينية عند اندلاعها طفرةً حقيقية على الأرض الفلسطينية نظراً للظروف التي أحاطت بها ووجود السُّلطة الفلسطينية. وبقدر ما استطاعت الانتفاضة أن تثير الرأي العام الداعم والمساند لها، بقدر ما خلقت لها أحداث 11 سبتمبر تعقيداتٍ حجبت عنها كلَّ انجاز أو مكسب استطاع الفلسطينيون تحقيقه من خلالها، باعتبارها جاءت بعد فترة سادت فيها مناخات السّلام والتَّفاوض بين طرفي الصِّراع.

إنَّ تواتر الأحداث التي واكبت الانتفاضة كما أحداث 11 سبتمبر، لم تدفع الفلسطينيين لإيجاد صيغة تتوافق مع متغيرات الوضع لا سيما عندما حجبت هذه الأحداث الاهتمام العالمي عنها. فوجد الفلسطينيون أنفسهم، رغم ذروة التَّضحيات التي وصلوا لها، وصمودهم الّذي لا يوصف، أمام آلة البطش الإسرائيلية التي تصاعدت بشكل لم يسبق من قبل، في وضع "متراخي" وغير مكترث بما يجري على الأرض.

وأصبح الفلسطينيون ينجرون بشكل انتقامي في الرد على ممارسات الاحتلال الهمجية بهدف رفع معنويات المواطنين. كما جاءت خطوة طرح مبادرة السلام العربية لتزيد من الضغط على الشعب الفلسطيني، كون العرب لم يحددوا لها آلياتٍ معينة، تدفع باتجاه دعم الفلسطينيين وتقوّي من نضالهم وصمودهم، باعتبارها جاءت بعد أحداث 11 سبتمبر، حيث فُسِّرت على أنَّها تهدف لإرضاء أمريكا، وإبعاد تهمة الإرهاب والعنف عنهم. وكان من نتائج ذلك رفض إسرائيل لها،

حيث قابلتها بردٍ عنيف، وشنَّت أكبر عملية اجتياح للأراضي الفلسطينية الّتي كانت تحت سيطرة السّلطة.

ولم تقف التطورات عند هذا الحد، فقد جاءت حرب الولايات المتحدة على العراق، ثمّ احتلاله لتزيد من الشرخ العربي تجاه القضية الفلسطينية والانتفاضة، حيث فقدت القضية بسقوط بغداد حصناً عربياً كان لها نقطة قوة من حيث الدَّعم والدفاع عن حقوق الفلسطينيين.

ثمّ تشابكت التّحولات على القضية الفلسطينية ليس من ناحية الحدث السبتمبري أو العربي أو احتلال العراق، بل كانت من الدَّاخل الفلسطيني حين تمكنت حماس من اكتساح الفوز في الانتخابات التشريعية، التي أوجدت نتائجها انقلاباً في المشهد السياسي الفلسطيني بكل معنى الكلمة، وأصبح الهرم السياسي الفلسطيني يعاني من الشرخ السلطوي ممثلاً بالرئيس محمود عباس كرئيس للسلطة وإسماعيل هنية كرئيس للوزراء وكلاهما من فصيلين مختلفين لا بل متنافرين من حيث البرامج السياسية، التي أخذت وفق حساباتها الداخلية أو الإقليمية – الدولية، القضية الفلسطينية إلى انقسامٍ لم تعرفه القضية في تاريخها، والذي تجسد بسيطرة حماس على قطاع غزَّة وفتح على الضِّفة الغربية.

وأثناء ذلك اعترى المشهد السِّياسي الإسرائيلي تحولٌ هام عندما غاب آريئيل شارون رئيس وزراء إسرائيل عن السّاحة، حيث أكدت تتابعات الأحداث التي تناولتها الكثير من الدِّراسات عن وجود فجوةٍ في الجانب السِّياسي الإسرائيلي الَّذي بغياب آريئيل شارون يفقد رمزاً كبيراً من

الرُّموز الإسرائيلية المؤسِّسة لهم، وبالتّالي سيلقي ذلك تلقائياً تبعاته على المحيطين به، وبالأخصِّ الشَّعب الفلسطيني وقضيته.

(الخاتمة: النتائج والتوصيات)

الخاتمة: النتائج والتوصيات

في ضوء الَّنتائج المستخلصة من هذا البحث؛ يَظهرُ أنَّ أحداث 11 سبتمبر 2001 قد أفرزت عدة تغيُّراتٍ، أسهمت في قلب التّعامل مع القضية الفلسطينية رأساً على عقب، وخاصة أنَّ هذه الأحداث جاءت في أوج انتفاضة الأقصى.

وانعكس التراجع في حل القضيّة، عقب تلك الأحداث، ليصبح الطّرح المتداول للحلِّ بعيداً عن الشَّرعية والقرارات الدُّولية، أو حتى أدنى الحقوق التي يطالب بها الفلسطينيون؛ نتيجة الاستفراد

الأمريكي في القضية، والانحياز الكبير والعلني لصالح إسرائيل حيث وجدت بينهما قواسم مشتركة أكثر في أعقاب تلك الأحداث من ناحية التعامل مع الصِّراع الدّائر بين الفلسطينيين والاحتلال الإسرائيلي واعتباره صراعاً ضد الإرهاب، بسبب محاولاتها التي ساقتها للرّأي العام وبدعم واشنطن، وتتمثّل باعتبار ما تتعرَّض له من عمليات مقاومة فلسطينية "إرهاباً"، ما أثّر سلبا على صورة المقاومة والنِّضال الفلسطيني، وبالتّالي على التّعامل السِّياسي الذي ترتَّب على ذلك.

وأصبح الحل المطروح بالنسبة للقضية ينطلق من الدّاخل الفلسطينيّ، الذي بات يتطلب منه تغييرًا كاملاً حتى تتمكن إدارة واشنطن من إيجاد الشّريك الحقيقي لإسرائيل من الفلسطينيين؛ لإيجاد الحل معه؛ وتبلورت نتيجة ذلك عدة طروحات، كخارِطَةِ الطَّريق المقترحة من واشنطن والمقبولة بشروطٍ وتحفظاتٍ من إسرائيل. والقمة المصرية أو الأردنيّة هنا وهناك وبإشراف واشنطن كمنسق لما يسمى "عملية السّلام"، في محاولةِ القفز عن القيادة الفلسطينية ورمزيتها آنذاك " الرّاحل ياسر عرفات " في تمثيل المطالب والحقوق الفلسطينيَّة.

ونتيجة للحالة التي ألمت بالفلسطينيين بعد أحداث 11 سبتمبر على شتى الصُّعد الاقتصادية والسِّياسية بما تمثَّل من مُضايقاتٍ وحصارٍ للشَّعب الفلسطيني؛ أغرقته في ظروفٍ معيشيَّةٍ وحتى مصيريةٍ لم يعهدها من قبل؛ فإنَّ استفراد واشنطن وحليفتها إسرائيل بالقضية الفلسطينيّة، جعل المطالب الفلسطينية تقتصر في تفاعلاتها مع الحلول الجزئية المقترحة بصورةٍ " تقزيمية" للقضية التي باتت تشكل السّقف الرّئيسي للمطالب المتفاوض حولها، في شكلٍ يبعد القضية عن جذورها وأساسياتها. الأمر الّذي انعكس سلبًا على جلِّ الوضع، وأرجعه إلى حلقة "اللاحلقة " في طرحه للنّضال والواقع والمتغيرات الحادثة، وتقلَّصت مطالبه من حقوق وطنية وسيادة ودولة، إلى

محاولات البحث عن مخرج للأوضاع القاسية التي باتت مفروضة عليهم من حواجز، وإغلاقات، واغتيالات، وحصار.

وهنا يدخل دور الإعلام الفلسطيني، الذي كان يُفترض به أن يكون الأداة الأولى في تصوير الأوضاع الحقيقية للفلسطينيين، وعكس واقع معاناتهم. فالخلط في الإعلام السِّياسي ألقى بتبعاته السَّلبيّة على سير العمل النِّضالي بما بثّه على لسان من يُدعون بممثلي الشَّعب، حيث أدت تصريحاتهم إلى احباطات معنوية لدى الجماهير بسبب تناقضاتها وتصريحاتها. فقد جاءت لتصبَّ بقصدٍ أو دون قصد، في خانة الهدف الإعلامي السّياسي الإسرائيلي الّذي يَصف المقاومة وعملياتها بالإرهاب، واعتبار جميع عمليات المقاومة الّتي تُنفَّذ سواء في مناطق فلسطين المحتلة منذ 1948، أو في القدس وأراضي العام 1967، وحتى وإن كانت ضد جنود مُدجَّجين بالسَّلاح. ولذلك تراجعت الانتفاضة وبخاصةٍ في ظلِّ غياب المئات من رموزها وقادتها، إلى جانب أعمال القتل والتّدمير اللامحدود لكافة المرافق الحياتية، عدا عن حالات الحصار والاجتياحات التي تصاعدت وتيرتها عقِب تلك الأحداث، في صورةٍ تعكس مدى الهمجية التي اتبعتها سلطة كيان الاحتلال، تحت غطاءٍ أمريكي ومظلة ما يُدعى "مكافحة الإرهاب الفلسطينيّ"، في شكلٍ بات الهدف منه واضحاً للعيان هو خلق واقعٍ جديدٍ على الأرض، ليتم من خلاله تطبيق الحلول التي ترتأيها واشنطن وتل أبيب وفرضها على الشّعب الفلسطيني.

وبات هاجس ما ستؤول إليه القضية الفلسطينيّة يلفّها من جديد، لاسيما عقب إظهار الكيان الصّهيوني جديته في التّخلص من كلِّ من يعترضه، أو يسير في غير هواه. وقد ظهر هذا للعلن

أكثر عقب رحيل الرَّئيس ياسر عرفات قائد الثّورة الفلسطينية الحديثة، وحامل قضيتها وأحد أوجه رموزها الذين ارتبط وجوده بوجودها، كونه حملها شعاراً له طِوال حياته. ليشهد الجميع، عقب رحيله، مدى تجاوب حكومة إسرائيل الصُّوريّ مع من يخلفه، حيث تنكرت لذلك مع مجيء حماس للسلطة في كانون الثاني من العام 2006، ثم انفتاحها الملحوظ على حكومة الطّوارئ بقيادة سلام فياض، التي أعلنها رئيس السّلطة محمود عباس عقب سيطرة حماس على قطاع غزّة، فوجدت إسرائيل بذلك من يُخفِّف عنها بعض مهامها من ناحية إشغال الفلسطينيين بأنفسهم ومنازعاتهم الدّاخلية، بسبب ما آلت إليه القضية الفلسطينية.

النتائج

أثَّرت أحداث 11 سبتمبر بطريقةٍ سلبية على القضية الفلسطينية، فأرجعتها إلى الوراء عقودا، في ظلِّ غياب أي استراتيجية فلسطينية واضحة، تستند إليها القيادة الفلسطينية، بشتى انتماءاتها ما عدا معاناة الفلسطينيين، وصور مجازرهم التي أصبحت حدثاً عاديّاً يَظهر على شاشات التّلفاز، أو حتى في أجندة من يديرون الحلقة السّياسية الفلسطينيّة، في صورةٍ تعكس مدى عجزهم عن إيصال تلك المشاهد، وإظهار حقيقتها كما هي دون تحريفٍ أو تشويه. فأضحت صور المعاناة تظهر بشكلها "الاعتيادي" دون أن تترك تفاعلاً لدى المتلقّين لها؛ نتيجة غياب المؤسسة والخطاب الإعلامي الموحَّد، الذي يرتقي إلى مستوى الأحداث وعظمة التَّضحيات.

وبرز الموقف أكثر إرباكا، لا بل تضليلاً عقب كلِّ عمليةٍ استشهادية تقع داخل أراضي ال 48 أو 67 سواءٌ كانت موجّهةً ضد جنوده أو مستوطنيه في الضِّفة أو غزّة أو يافا وحيفا. وبات يقع كلّ ذلك على كاهل الفلسطينيين الذين أصبحوا مطالبين أكثر بالقضاء على أعمال المقاومة التي أصبحت بلغة واشنطن وتل أبيب "إرهابًا".

هذا التحول دفع الأمريكيين وحتّى الأوروبيين للضّغط بشتى الطّرق على السّلطة الفلسطينية لتبذل كلَّ ما بوسعها للقضاء على مثل هذه الأعمال؛ لكي تحقق لشعبها الفلسطينيّ حقوقه وتخلصه من معاناته. وهذا يعكس مدى التّشبث الّذي اعترى النّهج الأمريكي تجاه المقاومة الفلسطينية، ووصفها بالإرهاب، والسّياسة الدّولية التي تؤمن بحقِّ الشّعوب في مقاومة الاحتلال، فكان ذلك ضد ما شرَّعته القوانين والهيئات الدُّولية الّتي كانت قد كفلت في مواثيقها حقّ الشّعوب في المقاومة لتثبيت

حقوقها، واستعادة ما يستلب منها. وبات كل ما طرحته الولايات المتحدة الأمريكية مما يسمّى حل القضية لا يبتعد عن المطالب الأمنية التي تضمن للطَّرف الإسرائيلي الاستقرار، دون أن تتـــوجَّه للطَّرف الفلسطيني بما يرفع عنه المعاناة، بل زادت من الضغوط عليه بحجة عدم سعيه للقضـــاء على ما أسموه العنف والإرهاب، ما قلب واقع المعاناة على الفلسطينيين الـــذين بـــاتوا مطـــالبين وحدهم بمواجهة فتيل أيِّ أزمة تشتعل.

أمام الصّورة المأساوية التي أحاطت بالقضية الفلسطينية، حيث تُرِكَت لأمريكا ومعها إسرائيل من جهة، وأوروبا قولاً من جهة أخرى؛ كان العرب في أدنى درجات الانحطاط والتّخـــاذل، وبـــاتوا دون أدنى شك، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أكثر طواعية لأمريكا ومطالبها، فما يصـــدر عن العرب كان يلقي باللائمة على الفلسطينيين، ويُحمّلهم وِزرَ ما هم فيه، ووصـــل الأمـــر حـــدّاً تتصّل فيه العرب من القضية الفلسطينية، لدرجة أصبحت فيه القضية عندهم "شأناً فلسطينيّاً"، يتـــم البحث والتّداول فيها معهم. وباتت مؤتمرات القمة العربية جـــزءًا مـــن هـــذا الوضـــع العربـــي "الانهزامي"؛ وما انبرت تلك المؤتمرات تجسد لهفة العرب على عقـــد السّـــلام مـــع إســـرائيل، كالمبادرة العربية للسلام في قمة بيروت 2002، الّتي ضربت بها "حكومـــة إســـرائيل" عـــرض الحائط ورفضتها جملةً وتفصيلا.

ظهرت مؤشرات أمريكية كبيرة تجاه الصِّراع العربي– الإسرائيلي وتجاه القضية الفلسطينية بشكلٍ خاص، فإدارة بوش الابن لا تُقيم أيَّ اعتبارٍ للمواقف العربية أو ردّات الفعل العربية، كما أنّها لا تقوم بتنفيذ سياستها بناءً على مراعاة مواقف الدُّول العربية ووجهات نظرها، بل تعكس توجهاتها

نوعاً من الاستهتار بالمواقف العربية لعدم قدرتهم على تهديد المصالح الأمريكية في المنطقة، ومواصلتهم طلب مساعدة الإدارة الأمريكية ورضاها رغم كلِّ أفعالها وانحيازها لإسرائيل.

وترى الولايات المتحدة وإسرائيل، أن ليس للعرب من خيارات إذا ما تم القفز عن عملية التَّسوية، بسبب أنَّ كل مخططات العرب وطروحاتهم للسلام تدخل ضمن النوايا والتعهدات الأمريكية الّتي تسعى إلى التَّوصل إلى تسوية نهائية وشاملة للقضية الفلسطينية، على أساس "الأرض مقابل السّلام"، حيث جاءت المبادرة العربية بناء على ذلك.

وجعلت الوقائع الّتي حدثت على الأرض بِفعلِ السِّياسات الإسرائيلية والمدعومة أمريكيّاً، أكثر قناعةً بأنَّ التَّوصل إلى تسوية نهائية للصِّراع وفق مبدأ الأرض مقابل السلام والقرار 242، أمر غير ممكن ولا يتناسب مع ظروف إسرائيل. وبرز ذلك خلال حكومة آريئيل شارون الّتي أعلنت صراحةً أنَّها لا تهدف للتَّوصل إلى تسوية نهائية وتاريخيّة مع الفلسطينيين، رغم تعدُّد التَّحليلات والتَّنبؤات حول خطته في إعادة الانتشار أو الانسحاب من قطاع غزَّة.

فما تطرحه إسرائيل من حلول تأتي على يد واشنطن هو مجرد اتفاقيات تسوية محدودة ومرحلية بما يتفق وتصوراتها في حماية أمنها. وأنَّ مشروع الحل النهائي الذي تحدثت عنه اتفاقية أوسلو، قد انتهى مع فشل محاولات باراك وكلينتون في قمة كامب ديفيد الثانية والجهود التي واكبتها في إيجاد صيغة لحل تلك القضايا "العالقة" أو ما كانت تعرف بِ "قضايا المرحلة النهائية" كالحدود والقدس واللاجئين..الخ.

وكانت هذه الرؤية الشارونية قد وجدت تأييداً لها لدى الإدارة الأمريكية برئاسة بوش الابن. وتُرجمت وجهة النظر الأمريكية هذه عندما قرَّرت إدارة بوش الابن الامتناع عن التَّدخل المباشر

في أيٍّ مفاوضاتٍ محتملة بين أطراف الصِّراع، (كإعلان إلغاء منصب منسق مفاوضات السَّلام الّذي كان يشغله في إدارتي بوش- كلينتون ومنذ مؤتمر مدريد عام 1991- دينيس روس). وهذا يؤكد أنَّ الولايات المتحدة باتت على قناعةٍ تامة بعدم إمكانية التَّوصل إلى تسوية نهائية بين العرب وإسرائيل.

أمام هذه الأحداث والمواقف وتفاعلاتها، يبدو أنَّ أي محاولة تأتي على لسان واشنطن للتَّوصل إلى سلامٍ نهائيٍّ وتسوية مُنصفة للقضية الفلسطينية أمر غير وارد. فمنذ قمة كامب ديفيد أظهر الرّئيس بيل كلينتون التّوجه الأمريكي ومعه الإسرائيلي لإبعاد الشّرعية الدّولية، وقرارات مجلس الأمن وبخاصة القرارات 242 و 338 و 194 الخاص باللاجئين كأساس للتَّسوية. وعبَّر ذلك الموقف بوضوحٍ عن محاولة الولايات المتحدة إبعاد الشَّرعية الدّولية في الحل، كما في طرح مبادرات بديلة كخريطة الطَّريق، وصياغة مفهوم أمريكي للتَّسوية يُعبِّر عن الرُّؤية الإسرائيلية لفرضها على الفلسطينيين.

ورغم الانتفاضة الّتي كانت بمثابة إعلان عن رفض محاولات اختزال الحقوق الفلسطينية الّتي أقرتها الشَّرعية الدَّولية فإنَّ "مبادرة كلينتون" في نهاية ولايته تضمنت مقترحاتٍ تؤكد الموقف الأمريكي الخارج عن الشَّرعية الدَّولية كحديثه عن ضرورة قبول الفلسطينيين بشرعية 80% من أراضي المستوطنات في الضِّفة الغربية، وقبول ضمها للسيادة الإسرائيلية، وتجاهله للقرار 194 الخاص باللاجئين وإلغاء حق العودة للفلسطينيين، والقبول بحقوق إسرائيل وسيادتها في الحرم القدسي الشريف الذي هو جزء من الأراضي العربية في القدس التي احتلت عام 1967 وينطبق عليها تنفيذ القرار 242 الّذي لا يجيز احتلال أراضي الغير بالقوة أو الحرب .

لقد سعت الإدارة الأمريكية جاهدة، منذ وقوع أحداث 11 سبتمبر، لإفشال أي مساعٍ وتوجهات تنوي إحداث تغيير في الواقع الفلسطيني، يسير عكس مخططاتها ومخططات إسرائيل، كما في تجربة فوز حماس التي حاصرتها، وفرضت عليها مقاطعة شاملة، وشاركت فيها أوروبا ودول عربية كثيرة، طالت آثارها قوت الفلسطينيين اليومي، عندما منعت ضخ الأموال لهم.

أظهرت إدارة الرَّئيس بوش الابن منذ وقوع أحداث 11 سبتمبر قناعة في عدم جدوى التنسيق مع العرب بشأن رسم ملامح خريطة سياسية للمنطقة بما فيه إيجاد الحل للقضية الفلسطينية، فأدارت ظهرها للصِّراع الدائر على الأرض الفلسطينية وهمشته، بل راحت تزيد من اعتمادها على إسرائيل باعتبارها الحليف الذي تعتمد عليه بكل ثقة في المنطقة، وزادت من الدَّعم السّياسي والمادي لها. وتجاهلت المبادرة العربية للسّلام الّتي اقترحت سلاماً شاملاً مقابل استعادة الأراضي المحتلة عام 1967.

وهذا ما يفسر إعطاء إدارة الرئيس بوش الابن الضوء الأخضر لحكومة آريئيل شارون لتقوم بحملة إرهاب ضد الفلسطينيين جميعا، والتغاضي عن الهمجية الإسرائيلية في استخدام آلة الحرب العسكرية الجهنمية لتدمير كل ما هو فلسطيني، ولإظهار القدرات التدميرية الهائلة لهم أمام العرب إذا ما حاولوا مواجهتهم، أو الوقوف ولو معترضين على سياساتهم الجديدة.

هذا التَّوافق الأمريكي- الإسرائيلي يفتح الأفق على التساؤل عما سيؤول إليه حال القضية والمنطقة برمتها، نتيجة التَّصعيد الّذي تبلور على خطابهم لا سيما بعد إعلانهم الحرب على لبنان الّتي اعتبروها تهدف للقضاء على عناصر المقاومة هناك وتحديداً حزب الله، للتمهيد لإقامة شرق

أوسط جديد. وبات الاحتمال النّاجم عن هذا التّوافق أن يمتد بالمواجهة ليطال دولاً تقف على النِّد من إسرائيل تحت مسمياتٍ عدة أساسها إعلان الحرب والدمار، حيث تقف كل من سورية وإيران وحتى السعودية على هذا الخط الذي تعتبره الولايات المتحدة وإسرائيل غير متوافق معها، بل يشكل تهديداً لها ولمصالحها، فضرب هذه الدول يحد من رفضها للسياسة الأمريكية ويكسر إرادتها السياسية نهائيا.

خلاصة الأمر: خلَّفت أحداث 11 سبتمبر مخاطر كبيرة للشّعب الفلسطيني، وللانتفاضة والقضية برمتها، وأسهمت في تحويل أنظار الرّأي العام العالمي إلى المخاطر النّاجمة عن الأعمال الإرهابية.

فمن الناحية العملية فإنَّ تلك الأحداث أسهمت في تغيير الأجندة الدولية، فبدلا من الاهتمام بتوفير الحماية للشعب الفلسطيني، وتقديم العون له لتمكينه من الصمود في وجه الإملاءات الإسرائيلية، وبدلاً من توجيه الضُّغوط على إسرائيل، باتت الجهود الدولية مكرسة لوضع حد لأعمال الإرهاب التي باتت تستفحل هنا وهناك.

وهذا الوضع، بلا شك، فاقم من عزلة الشعب الفلسطيني، وأضعف قدراته على الاستمرار في المقاومة التي حاولوا تلويثها بالإرهاب؛ بهدف القضاء عليها، حيث تشجعت إسرائيل على المضي في سياساتها التدميرية. كما أسهمت الأوضاع في سد الأفق السياسي: الدولي والإقليمي أمام الانتفاضة والمقاومة، حيث بات الغموض يلف مسيرها لا سيما مع سماع أصواتٍ كثيرة من الإدارة الأمريكية تتحدث عن فرص السلام وحل الصراع.

مع كلّ هذه المعطيات الظّاهرة، وما برز من تغيراتٍ على أرض الواقع، بدأ يظهر التّحدي الأكبر للقضية الفلسطينيّة؛ لا سيما أنّها لم تعد القضية الوحيدة في المنطقة التي تشغل الرّأي العام، فبعد احتلال العراق من أمريكا، أضحى هنالك شريكٌ يتقاسمه العرب والغرب معًا في مسألة "إيجاد الحلّ" لمشاكل المنطقة (فلسطين والعراق)، وباتت أجندة العرب غير مقتصرةٍ على فلسطين وحدها. عدا عن ذلك؛ تصُبُّ مُجملُ القضايا الدّاخلية التي تلفُّ كلَّ قطرٍ عربيّ والتي أضحت عبئًا على ذات تلك الأقطار، كتحدٍ آخر أمام القضية الفلسطينيّة ومعيقٍ لتحركها، كون السياسة الأمريكية ما انبرت تصب في تحقيق أهدافها.

لكنّ الشيء الأخطر الذي أخذ يلف القضية ومصيرها؛ هو ذاك "الصِّراع" بين(فتح وحماس)، الأمر الذي يعيد القضية إلى وضعٍ غير مسبوق من ناحية "نزاع الأخوة على الأرض" لا سيما مع وجود احتلال لا يتغاضى لحظة عن استغلال كل ما يتاح له للعبث بقضايا الفلسطينيين الوطنية.

وهذا يجعل ما يجري من محاولات لاستنهاض الموقف الأمريكي ودفعه إلى شيء من التّوازن في الصِّراع الفلسطيني – الإسرائيلي، بمثابة مضيعة للوقت لا سيما مع مناداة بوش الابن مجددًا لعقد مؤتمر دولي للسَّلام كما تمَّ في خريف 2007 دون تحديد إطارٍ له، ناهيك عمّا أثبتته السِّياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية من أنَّ أيَّ مقترحاتٍ تقدِّمها للتَّسوية لا تتمُّ إلا بعد موافقة إسرائيل عليها، وبما تخدم المنظور الإسرائيلي في حماية أمنهم.

إنَّ أحداث 11 سبتمبر فضلاً عن كونها شكلت تحولاً هاماً في العلاقات الدّولية، فهي بلا شك مؤشر آخر على اتجاهاتٍ أكثر خطورةً قادمة لا سيما مع انتهاج الولايات المتحدة لاستراتيجية الحرب الاستباقية، إن لم تُحل القضايا الأساسية العالمية وبالأخص القضية الفلسطينية،

التّوصيات

يجب على الفلسطينيين ضرورة العمل على إعادة صياغة المنهجية الفلسطينية في إدارة الصِّـــراع كمطلب بات من أولويات المرحلة. وإعادة تفعيل الصّوت التّفاوضي ومعه الإعلامي اللذان باتا من أهم البوتقات التي يستند عليها أيّ تأكيدٍ للحقوق الفلسطينيّة، عدا عن تفعيل العمل الوطني المشترك والّذي تنخرط فيه كافة قطاعات الشّعب دون فرزٍ لرتبٍ أو انتماءات، وذلك لضـــمان أنّ العمـــل المنجز هو من صنع الكلّ وليس حكرًا على فئةٍ دون غيرها، إضافةً إلى تعميق الفهم الفلســـطينيّ الثّابت تجاه المقاومة، وحق الشّعب الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال بممارسة شتى أشكال النّضال والمقاومة التي كفلتها له الشّرائع الدّولية، حتى لا يبقى الفلسطيني يتراوح يومًا بعـــد آخـــر بيـــن أقاويل "تفسِّر وتسيِّر" المقاومة حسب أهوائها، ولكي لا تصبح المقاومة كرةً هشة تتقاذفها كـــلُّ فئةٍ بادعائها "الأكثر تماشيًا مع ما يدور من أحداث"، ولإبقائها محافظة على ميزتها وهدفها عند حدوث أي متغيرات.

إنّ الشّارع الفلسطيني أكثر ما يحتاجه الآن هو تصورٌ ورؤيةٌ واضحةٌ له، تطلعه علـــى الواقـــع الّذي أمامه دون زيفٍ أو حتى تهويلٍ، وتضعه أمام أطروحاتٍ تساعده للمضي قدمًا باتجاه تحقيق مطالبه، وليس لرسم أمرٍ واقعيٍّ يشوبه " الذّوبان في مستنقع واشنطن وتل أبيب"، تحـــت مســـمى تحصيل الأفضل والأنسب وادّعائه، وخرافة هذا الواقع الّذي أمامنا والظّرف الّذي ليس مواتيًا بعد لكلِّ ذلك.

وهذا إن احتاج لشيء؛ فإنّما لرصّ الكلمة الفلسطينيّة دون غيرها كمنطلقٍ للسّير نحو الحق الفلسطينيّ، وتفعيله ليبقى كما هو دون انتقاصٍ مع أيِّ حدثٍ يجري على السّاحة الدّولية أو العربية أو حتى الفلسطينية الداخلية لاسيما مع الانقسام الفلسطيني الذي حدث مع سيطرة حماس على غزة، وما تبع ذلك من إجراءات من طرفي الانقسام (فتح وحماس) والالتفات إلى حقيقة ما يجري على الأرض بتحكيم عقلية " أن لا سلطة وسيادة مع الاحتلال"، هذه السّلطة الهشة الّتي يتنازعها أهلها بدون أيِّ قيمة، وذلك كي تبتعد السّاحة الفلسطينية عن الانجرار وراء سياسات الاحتلال، من خلال رؤية واستقراء للتَّوقعات، والتَّنبؤ بالنَّتائج والاحتمالات قبل تنفيذ الإجراءات من باب تسهيل الاختيار في اتخاذ المواقف من الفلسطينيين، وهنا لا نخصُّ طرفًا دون غيره بل الفلسطينيين بأجمعهم.

ومع ما مرَّ ذكره؛ فإنَّ الشّيء الّذي يبقى مطروحاً على البساط الفلسطينيّ، ويبقى يحمل معه السُّؤال المتداول في المرحلة الآتية:- ماذا ستحقق الفصائل الفلسطينية بما تعيشه من حالة الذوبان والتنازع على السلطة من شرعية المطالب الفلسطينية؟ واسترداد حقوقهم الوطنية؟ ومن سيمتلك الجسر الحقيقي لعبور حالة الفتات الفلسطيني والتّنازع على ما هنالك من إرثٍ بقي، سواء على مستوى الحقوق الوطنية أو السّياسية أو حتى الاجتماعية، والخروج من دائرة " تصفية الحساب مع النّفس"؟!!!

إنّ المرحلة القادمة ستحفل بالكثير من التّغيرات والتّطورات التي ستكون، بلا أدنى شك، لها تأثيراتها على القضية؛ من حيث التّعاطي مع الحلول الرّامية إلى التّهدئة، وإحكام ما يسمى بإتاحة الفرصة للمباحثات والمبادرات لا سيما بعد انعقاد مؤتمر أنابوليس بتاريخ (27/11/2007)،

الأمر الذي يطرح تساؤلاً عن حقيقة ما ستحمله من انفراجٍ في القضية، بحيث يشهد الفلســطينيون دولةً كما رضوها "ضمن حدود 1967" أو شكلاً آخر للدّولة الفلسطينية، كما يرسمها الأمريكيون والإسرائيليون في ظلِّ الواقع الّذي أنشأوه من ناحية الجدار العازل وتكثيف نقاط التَّفــتيش الّــتي تحولت إلى ما بات يُعرف بِــ "المعابر" للوصول إلى أجزاء الوطن كمعبر كارني ومعبر بيتونيــا ومعبر قلنديا وغيرها الكثير.

المراجع والمصادر

المعاجم:

- روحي البعلبكي، **المورد قاموس عربي- انجليزي.** (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة أيلول 1997).

- **موسوعة السياسة ج 1.** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

- **المعجم الوسيط ج:1-2.** (اسطنبول: دار الدعوة).

- **قاموس أكسفورد.** (أكسفورد: ط 1، 1999).

الكتب:

- أبراش، إبراهيم. (2003). **فلسطين في عالم متغير.** ط 2. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي.

- أبو جابر،إبراهيم وآخرون.(2002). **الانتفاضة تغير معدلات الصراع في المنطقة.** ط 1. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط.

-أبو خليل، أسعد.(2001). **الحرب الأمريكية الجديدة ضد "الإرهاب" من قسَّم العالم إلى فسطاطين؟.** ترجمة: ميرفت أبو خليل. ط 1. بيروت: دار الآداب للنَّشر والتوزيع.

-الأشقر، جلبير. (2002). **صدام الهمجيات الإرهاب، الإرهاب المقابل والفوضى العالميّة قبل 11 أيلول وبعده.** ترجمة: كميل داغر. ط 1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنّشر.

- بارسيمنطوف، يعقوب وآخرون. (2005). **الانتقال من تسوية النزاع إلى إدارته المواجهة العنيفة الإسرائيلية-الفلسطينية(2000 – 2004)**. ترجمة: أنطوان شلحت. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار).

- بشارة، عزمي. (2002). **ما بعد الاجتياح في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية**. ط 1. رام الله: مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

- بشارة، مروان. (1993). **بيل كلينتون- الحملة – الإدارة والسياسة الخارجية**. ط 1. بيروت: دار الساقي.

- بروكرز، ماتياس. (2005). **المؤامرة 9.11 نظريات المؤامرة وأسرار 11.9**، ترجمة: كاميران جورج. ألمانيا: منشورات الحجل كولونيا.

- بعدراني، يوسف. (2006). **اختطاف العالم "خطة أمريكية**. ط 1. بيروت: مكتبة بيسان.

- بويل، فرانسيس. (2004). **تدمير النظام العالمي – الإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط قبل وبعد 11 سبتمبر**. ترجمة: سمير كريِّم. ط 1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- _____. (2004). **فلسطين والفلسطينيون والقانون الدولي**. ترجمة: عبدالله الأشعل. ط 1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

- بيضون، أحمد وآخرون. (2002). **العرب والعالم بعد 11 أيلول / سبتمبر**. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربّية.

- توفيق، سعد حقي. (2003). **علاقات العرب الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين**. ط 1. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.

- تشومسكي، نعوم وآخرون. (2003). **العولمة والإرهاب حرب أمريكا على العالم"السياسة الخارجية الأمريكية وإسرائيل"**. ترجمة: حمزة المزيني. ط 1. القاهرة: عربية للطباعة والنشر.

- _____.(2004). **الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم**. ترجمة: سامي الكعكي. بيروت: دار الكتاب العربي.

- _____. (2002). **الحادي عشر من أيلول**. ط 1. دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع.

-_____.(2002). **11-9**. ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم. ط 1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

- جرجس، فواز. (1997). النظام **الإقليمي العربي والقوى الكبرى دراسة في العلاقات العربية- العربية والعربية- الدولية**. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- الجهماني، يوسف. (2003). **الإسلام والغرب "العلاقات السّعودية-الأمريكية نموذجًا بعد 11 أيلول/سبتمبر**. ط 1. دمشق: دار حوران للطِّباعة والنّشر والتّوزيع.

-حافظ، صلاح الدين. (2003). **كراهية تحت الجلد: إسرائيل عقدة العلاقات العربيّة الأمريكية**. تقديم: محمد حسنين هيكل. ط 1. بيروت: دار الآداب للنَّشر والتوزيع.

- _____. (2002). **الولايات المتحدة الأمريكية من الخيمة إلى الإمبراطورية**. ط 1. دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعيّة.

- الحديدي، هشام. (2000). **الإرهاب بذوره وبثوره زمانه ومكانه وشخوصه**. ط 1. القاهرة: الدّار المصرية اللبنانية.

- حسن، عصام الدّين. (2000). **يوميات انتفاضة الأقصى- دفاعاً عن حق تقرير المصير للشّعب الفلسطيني**. القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

- حسن، علي ديب. (2002). **أربع طائرات هزّت العالم**. ط 1. بيروت: دار المنارة للطِّباعة والنَّشر والتوزيع الإعلامي.

- _____. (2002). **الولايات المتحدة الأمريكية من الخيمة إلى الامبراطورية**. ط 1. دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية.

- حمَّاد، سهيلة زين العابدين. (2003). **الأكذوبة الأمريكية الكبرى: من وراء أحداث 11 سبتمبر**. ط 1. عمان: دار الإعلام للنشر والتوزيع.

- حوات، محمد. (2002). **مفهوم الشرق أوسطية وتأثيرها على الأمن القومي العربي**. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي.

- الراوي، جابر إبراهيم. (1985). **القضية الفلسطينية في القانون الدوليّ والوضع الراهن**. ط 1. عمان: دار الجليل للنشر، ط 1.

- الرفاعي، رنا، ومحمد قبيس. (2003). **الإرهاب الصهيوني والسلام العربي بين الشهادة والإبادة**. ط 1. بيروت: مؤسسة الرحاب للنشر.

- روا، أوليفيه. (2003). **أوهام 11 أيلول المناظرة الاستراتيجية في مواجهة الإرهاب**. ترجمة: حسن شامي. ط 1. بيروت: دار الفارابي.

- زلوم، عبد الحي يحيى. (2003). **إمبراطورية الشر الجديدة – الإرهاب الدولي ضد الإسلام**. ط 1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- سارة، فايز. (1988). **اللوبي الصهيوني**. عمان: منشورات دار الكرمل.

- سعيد، إدوارد. (2004). **إسرائيل العراق الولايات المتحدة**. ط 1. بيروت: دار الآداب للنشر والتَّوزيع.

- سعيد، عبد المنعم. (2002). **العالم على حافة الهاوية رؤية مصرية لأحداث 11 سبتمبر**. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

- _____. (2003). **العرب و 11 سبتمبر**. ط 1. القاهرة: دار مصر المحروسة.

- السلطان، جمال. (2002). **الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط 1979- 2000**. ط 1. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.

- سلمان، يوسف. (1984). **الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي – الإسرائيلي**. ط 1. بدون اسم البلد: دار الحقائق.

- سليمان، ميخائيل وآخرون. (1969). **فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون**. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- سليتر، جيروم. (2002). **دراسات عالمية انهيار العملية السّلمية الفلسطينيّة – الإسرائيلية أين الخلل؟**. ط 1. الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

- شعبان، أحمد بهاء الدين وآخرون. (2004). **ماذا بعد إنهاء عملية التسوية السلمية**، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات السياسية في جامعة القاهرة. تحرير: نادية محمود مصطفى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- شعيب، مختار. (2004). **الإرهاب صناعة عالمية**. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشـــر والتوزيع.

- صلوخ، فوزي. (2002). **أمركة النظام العالمي- الأخطار والتّداعيات**. ط 1. بيـــروت: دار المنهل اللبناني مكتبة رأس النبع للطباعة والنّشر.

- عاصي، جوني. (2004). **الأمم المتحدة وأزمة الدِّبلوماسية المتعددة الأطراف**. تعقيب: ناصر جاد الله، وروجر هيكوك. تحرير: وسام رفيدي. ط 1. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد.

- عساف، عمر. (2004). **حول الانسداد السياسي وآفاق المستقبل**. تحرير: وسام الرفيدي. ط 1. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدَّولية.

العطار، موفق صادق. (2005). **حدود الصراع تاريخية وخفايا العربي واليهودي الصهيوني - الإسرائيلي**. ط 1. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع.

- علاونة، كمال. (2004). **خريطة الطريق وانتفاضة الأقصى والسلام المفقود**. نابلس.

عودة، أحمد فارس. (2006). **بين الانتفاضتين**. المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية -.

- غايات، نيكولاس. (2003). **قرن أمريكي آخر**. ترجمة: رياض حسن. ط 1. بيـــروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع.

- غنيم، أحمد وآخرون. (2006). **النِّظام السِّياسي الفلسطيني "مرحلة متحولة"**. تحرير: نصر الله الشاعر، محمود جرابعة. ط 1. رام الله: مركز البراق للبحوث والثقافة.

- فايز، سارة. (1988). **اللوبي الصَّهيوني في الولايات المتحدة وأوروبا**.عمان: منشورات دار الرملة.

- الفرا، محمد علي. (2001). **السّلام الخادع من مؤتمر مدريد إلى انتفاضة الأقصى 1991-2000**. ط 1. عمان: دار مجدلاوي للنَّشر والتّوزيع.

- فضل الله، السيد محمد حسين. (2003). **المدنَّس والمقدس أمريكا ورواية الإرهاب الدّوليّ**. ط 1. بيروت: رياض الرَّيس للكتب والنّشر.

- فندي، مأمون. (2003). **ضحايا الحداثة أمريكا والعرب بعد 11 سبتمبر**. القاهرة: دار مصر المحروسة.

- قاسم، عبد الستار. (2004). **الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وانعكاسها على العرب**. البيرة: مركز البراق للبحوث والثقافة.

- قاسمية، خيرية وآخرون.(1982). **السياسة الأمريكية والعرب**. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- القصاص، أكرم. (2002). **الشرق الأوسط وتأثيرات الحرب الأمريكية في أفغانستان**. الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتنسيق والمتابعة.

- قرني، بهجت وآخرون.(2004). **صناعة الكراهية في العلاقات العربية – الأمريكية**. تحرير وتقديم: أحمد يوسف أحمد وممدوح حمزة. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- القوزي، محمد علي. (2002). **العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر**. ط 1. بيروت: دار النهضة العربية.

- كارتر، جيمي. (2007). **فلسطين سلام لا تفرقة عنصرية**. ترجمة: عادل نجيب بشرى. بدون اسم البلد.

- الكيالي، عبد الوهاب. (1982). **العرب والقضايا الاستراتيجية الراهنة**. ط 1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- كيسنجر، هنري. (2002). **هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين**. ترجمة: عمر الأيوبي. بيروت: دار الكتاب العربي.

- الكيلاني، هيثم. (1997). **الإرهاب يؤسس دولة- نموذج إسرائيل**. ط 1. القاهرة: دار الشروق.

- لانداو، سول. (2005). **الامبراطورية الاستباقية: الدليل إلى مملكة بوش The Pre-Emptive Empire A Guide to Bush's Kingdom** . تقديم: جورج مككفرن، ترجمة: ليلى النابلسي. ط 1. لبنان: الحوار الثقافي.

- المراغي، محمود. (2002). **حرب الجلباب والصّاروخ – وثائق الخارجية الأمريكية حول الإرهاب**. ط 1. القاهرة: دار الشروق.

- المسروجي، محمود. (2005). **سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين**. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.

- المغربي، فؤاد. (2002). **سياسة الولايات المتحدة الخارجية والقضية الفلسطينية**. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدِّراسات الدّولية.

- عبدالله، أحمد وآخرون. (2002). **قارعة سبتمبر**. ط 1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

- موردانت، ميشيل. (2001). **أمريكا المستبدة الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم "العولمة"**. ترجمة: حامد فرزات. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- منصور، كميل. (1996). **الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل العروة الأوثق**. ط 1. بيروت: مؤسسة الدِّراسات الفلسطينيّة.

- ميسان، تيري. (2002). 11**أيلول 2001 الخديعة المرعبة "لم تصطدم أي طـــائرة بمبنـــى البنتاغون**". ترجمة: سوزان قانان ومايا سلمان. دمشق: دار كنعان للدراسات والنّشر.

- ميشال، بوغنون موردان. (2002). **أمريكا التالوتاليتارية الولايات المتحدة والعالم: إلى أين؟**. ترجمة: خليل أحمد خليل. ط 1. بيروت: دار الساقي.

هاليداي، فريد. (2002). **ساعتان هزتا العالم 11 سبتمبر 2001:الأسباب والنتائج**. ط 1. - .بيروت: دار الساقي

- نوفل، محمود. (2002). **الانتفاضة انفجار عملية السلام**. ط 1. عمـــان: الأهليـــة للنشـــر والتوزيع.

- نيكسون، ريتشارد. (1988). **حول كتاب الرئيس الأسبق نيكسون 1999 نصر بلا حـــرب**. ترجمة: محمد عبد الحليم أبو غزالة. ط 1. القاهرة: مركز الأهرام المصرية للترجمة والنشر.

- يحيى، عبد الحي. (2003). **إمبراطورية الشر الجديدة – الإرهاب الدولي ضد الإسلام**. ط 1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- _____. (2005). إشراف: يزيد صايغ، جاريت شوبرا. **في سياق خارطة الطريق وفك الارتباط: اعتبارات التخطيط لتدخل دولي في الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي**. تقارير ورشـــات عمل منتدى الخبراء. دائرة التحليل الاستراتيجي. المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية.

- يونس، عماد. (2005). **انتفاضة الأقصى: تاريخها - جذورها – أسبابها – انعكاساتها على الفلسطينيين وعلى دول الجوار**. طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب.

الدَّوريّات:

- كيالي، ماجد. صيف/2006. "مقابلة مع موسى أبو مرزوق". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد: 67 ص 7- 23.

- أحمد، محمد سيّد. 2000. 11 أيلول / سبتمبر والقضية الفلسطينية.. **مجلة الدِّراسات الفلسطينية**. العدد:52 ص 24 – 30.

- إغبارية، مسعود أحمد. 2002. الانتخابات الإسرائيلية العامة آذار 2006 التطورات والنتائج والأبعاد. **مجلة قضايا إسرائيلية**. المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، العدد: 22 ص 7- 38.

- _____. 2005. الإسرائيليون وانتفاضة القدس والأقصى: بعد أربع سنوات ونصف. **مجلة قضايا إسرائيلية**. المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، العدد: 17-18 ص 4- 20.

- بلقزيز، عبد الإله. آب/2006. حماس وفتح والرئاسة: لعبة الأخطاء القاتلة. **مجلة المستقبل العربي**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد:330 السنة 29 ص 24- 250.

- تماري، سليم. 2002. من يحكم فلسطين؟. **مجلة الدِّراسات الفلسطينية**. العدد 52: ص 167 – 176.

- الحروب، خالد. 2003. تداعيات الغزو الأمريكي للعراق على خريطة القوى بالمنطقة. **شؤون عربية**. العدد: 113 ص 11- 20.

- حسين ، عدنان السَّيِّد. 2001. العرب على مفترق طرق: استشـــراف مـــا بعـــد 11 أيلـــول/ سبتمبر. **المستقبل العربي**. العدد:288 ص 159 –161.

- خنفر، نهاد. آذار/2002. انتفاضة الأقصى وقضية الاستيطان. **مجلة رؤية**. السنة الثالثة، العدد 17: ص 45 –73.

- الدَخيل، خالد. أحداث أيلول سبتمبر وحديث المفارقات العربيـــة.2002. **مجلـــة الدراســـات الفلسطينية**. العدد 52: ص 17 – ص 30.

- الزَّعيم، عصام. الأبعاد الداخلية والخارجية للأزمة الأمريكية الراهنة.2002. **النَّهج**. مركـــز الأبحاث والدِّراسات الاشتراكية في العالم العربي، العدد 31: ص 20– ص 27.

- فرسون، سميح. جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب. **المستقبل العربي**. 2002. مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 284: ص 6– ص 37.

- كريستين، كاثلين. تصورات عن فلسطين: سياسة أمريكا الشرق أوسطية. شباط/2002. **مجلة المستقبل العربي**. مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 276، المجلد 24: ص 84– ص 92.

- كيالي، ماجد. تداعيات الغزو الأمريكي للعراق على خريطة القوى بالمنطقة.2003. **شؤون عربية**. العدد 113: ص 21– ص 34.

- كيلاني، هيثم. العنف في العلاقات الدولية. إرهاب الدولة بديل الحرب في العلاقـــات الدوليـــة. **مجلة الوحدة**. العدد 67، المجلد 6: ص 32 – ص 49.

- المالكي، رياض. القيادة الوقائية الفلسطينية. **مجلة الدِّراسات الفلسطينية**.2002. العدد 49: ص 32 – ص 44.

- منصور، كميل. أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001 والمواجهة الفلسطينية الإســـرائيلية. 2002. **مجلة الدِّراسات الفلسطينية**. العدد 49: ص 16 – ص 27.

مجلات انجليزية:

-Hajar, Liza. Autumn/2006. "International Humanitarian Law and "Wars On Terror" A comparative Analysis Of Israeli And American Doctrines". **Journal Of Palestine Studies**. p21-p42.

الصُّحف:

- جريدة القدس. 20/9/2007.

- صحيفة الأيام الفلسطينيّة. 21/9/2007.

المقابلات التِّلفزيونية:

- بشارة، عزمي. قناة الجزيرة الفضائية، 24/3/2007.

- بيريس، شيمون. قناة الجزيرة الفضائية، 15/9/2006.

- دعيبس، خلود. قناة الجزيرة الفضائية، 2/6/2007.

رسائل الماجستير غير المنشورة:

- عبد الغفار، نبيل محمود. **السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي (من حـــرب أكتوبر) 1973 وحتى اتفاقية كامب ديفيد**. رسالة ماجستير غير منشورة. بيرزيت: مطابع الهيئة العامة جامعة بيرزيت – مركز الأبحاث للكتاب.

- عيسى، مجدي. (2007). **المشاركة السياسية لحركة حماس في النِّظام السِّياسي الفلسطيني ما بين التّماسك الأيديولوجي والبراغماتية السياسية**. رسالة ماجستير غير منشورة. بيرزيت: كلية الدراسات العليا.

الانترنت:

- أبراش، إبراهيم. الإرهاب: إشكاليته في تعريفه لا في محاربته إرهاب الأقوياء ودفاع الضعفاء. 12/8/2007. (استرجعت بتاريخ: 1/10/2007).

-http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/17/page2.html

- "أبواب جهنم متى تفتح في فلسطين". 10/10/2004. (استرجعت بتاريخ: 14/1/2005).

-www.alarabonline.org/index.asp

- أبو زايدة، حاتم يوسف. "الإدارة الأمريكية الجديدة والقضية الفلسطينية". 14/10/2005 (استرجعت بتاريخ: 13/12/2005).

-http://www.alarabnews.com/alshaab/2005/14-10-2005/c2.htm

- أبو زيد، عدنان . "لكل رئيس أمريكي قصة مع العرب". (استرجعت بتاريخ: 20/1/2007).

- http://www.elaph.com/ElaphWeb/Reports/2007/1/202603.htm

- أبو طه، علاء فوزي. "علاقة المتغيرات الدولية بالقضية الفلسطينية".9/2/2006. (استرجعت بتاريخ: 13/6/2007).

-http://www.alwatanvoice.com/arabic/pulpit.php?go=show&id=36719

- أبو عامر، عدنان. "فعل المقاومة الفلسطينية ورد الفعل الإسـرائيلي". (اسـترجعت بتاريـخ: 21/5/2006).

- **http://aljazeera.net**

- "الإرهاب كما يصفه الإسلام". 2/5/2006 .

-**www.balagh.comdeen/mqomjeaq.htm**

- "الإرهاب و مشروعية المقاومة".9/3/2007.

-**http://hadush.maktoobblog.com**

- أحمد مجدلاني. "حكومة وحدة وطنية أم حكومة حماس مكررة". مجلة كنعان. 22/آب/2006. السنة السادسة. (نسخة الكترونية).

- http://www.kanaanonline.org/suggested.php

- "استحداث منصب رئيس وزراء في السلطة الفلسطينية بين المصلحة والشـروط الصـهيونية. المركز الفلسطيني للإعلام". 20/3/2003 . (استرجعت بتاريخ: 5/6/2006).

-**http://www.palestine-info.info/arabic/analysis/2003/20_2_03.htm**

- "أمريكا تعيد تعريف الإرهاب بعد اتساع مناطق الإرهاب".29/7/2005. (استرجعت بتاريـخ: 3/5/2006).

-**www.alnabaa.org**

- "أولبرايت، مادلين. نعم لحراك الديمقراطية في العالم العربي.. ولكن..!. (استرجعت بتاريـخ: 20/1/2007).

-**www.aawsat.com**

- براون، جون. "مخاطر التعريف الإرهابي". 2/5/2006. (استرجعت بتاريخ: 12/ 8/ 2006).

-**www.mondipoar.com/fero2/articles/brown.htm**

- برهان غليون، 8/4/2006 .

www.fikr.com/cgi-bin/_authbooks.cgi?id=449 -

- "تأثير 11 سبتمبر في فلسطين".9/9/2002. (استرجعت بتاريخ: 5/6/2003).

-http://www.aljazeera.net/in-depth/America_Laden/2002/9/9-9-1.htm

- "تداعيات 11 سبتمبر والانتفاضة الفلسطينية". (استرجعت بتاريخ: 7/1/2007).

-www.aljazeera.net/NR/exeres/AC36DFA4-82CE-40BF-9170-A55

- _____. تحقيق: زهير الدجيلي. "الرابحون والخاسرون في حرب العراق". (استرجعت بتاريخ: 9/4/2007).

http://www.aljeeran.net/wesima_articles/reports-20070409-

-67617.html

- "تقرير لجنة ميتشيل". (استرجعت بتاريخ: 28/7/2007).

-http://www.fateh.de/arabish/arabic/doc/mit.htm

- التلحمي، شبلي. 6/11/2001.

- **http://www.mostakbaliat.com/telhami.htm**

- توقة، حسين عمر. "القيادة المركزية للولايات المتحدة الأمريكية". 20/2/2006. (استرجعت بتاريخ: 14/3/2007).

-http://www.dialogueyemen.org/ar/modules.php?

name=News&file=article&sid=1783

- نافع، بشير.التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2006". 2/6/2007. (استرجعت بتاريـــخ: 19/10/2007).

http://www.arab-nation.com/index.php

- جابر، محمود. "الأمريكيون يدخلون السعودية!". (استرجعت بتاريخ: 26/4/2007).

- **http://www.montadaalquran.com**

- الجديع، عبد الرحمن. "الإرهاب الدولي: المفهوم والبواعث في منطقة الشرق الأوسط". 8/2/2005.

- **http://www.alriyadh.com/2005/02/08/article37124.html-**

- جقمان، جورج. "الحدود السياسية للانتفاضة وثنائية الوطني والديمقراطي". 26/12/2006. (استرجعت بتاريخ: 4/5/2007).

-**http://www.muwatin.org**

- "جورج بوش الأب". (استرجعت بتاريخ: 15/5/2007).

- **http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CCFB7A1E-4AE0-492F-BC05-4EAE17E1099B.htm**

- جيثوم، سليم. "الإرهاب والمقاومة (رؤية نظرية)". 14/آب/2007. مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية. العدد 4. (نسخة الكترونية).

-**http://fcdrs.com/magazem/405.html**

- حبيب ، كميل. "القضية الفلسطينية بعد 11 أيلول". (استرجعت بتاريخ: 8/11/2004).

- **:.www.bintjbeil.com/articales/ar/020329habib.html**

- حجازي، مسعد. "الإرهاب والمقاومة.. وجبروت القوة!!". 6/5/2005. (استرجعت بتاريخ: 27/4/2006).

-http://www.kefaya.org/05znet/050430mhegazi.htm

- حجازي، يوسف. "الإرهاب اليهودي - المنظمات الإرهابية". (استرجعت بتاريخ: 29/5/2005).

-www.moqawama.org/_isrterrorism.php?filename=2005

- الحروب، خالد. "أبو مازن وحماس: كيف يمكن تفادي الحرب الأهلية؟". 31/1/2005. (استرجعت بتاريخ: 30/5/2006).

-www.islamonline.net:

- حسين، مجدي. "الحريات في ظل الحملة الأمريكية الصهيونية على العرب والمسلمين". 25/1/2002. (استرجعت بتاريخ: 8/8/2005).

-http://www.alarabnews.com/alshaab/GIF/25-01-2002/MagdiHussein.htm

- حسين، غازي. الإرهاب الإسرائيلي وشرعية العمليات الاستشهادية. 8/6/2007. (استرجعت بتاريخ:13/9/2007).

http://www.baitalketab.net/index.php?

-option=com_content&task=view&id=28&Itemid=36

- الحسيني، موسى. "المقاومة العراقية والإرهاب الأمريكي المضاد". شبكة البصرة. 4/5/2004. (استرجعت بتاريخ:12/10/2004).

http://www.albasrah.net/maqalat_mukhtara/arabic/0504/hosayni1_040504.htm-

- الحمد، جواد. "مستقبل الصراع العربي-الإسرائيلي حتى عام 2015 ودور الأحزاب العربية في حسم الخيارات". ورقة مقدمة لمؤتمر الأحزاب العربية دمشق 4-6 آذار 2006. (استرجعت بتاريخ 13/3/2007).

- -http://www.mesc.com.jo/vision/1.htm

- "حلقة نقاش تداعيات فوز حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية 2006 على مستقبل القضية والصراع في المنطقة، وعلى إسرائيل". كانون ثاني/2006. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط. (استرجعت بتاريخ: 16/4/2007).

-**http://www.palestine-info.info/arabic/books/2006/5_2_06/5_2_06.htm**

- "حوار مع جاد الكريم الجباعي". جريدة الزمان. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 17/5/2005).

http://hem.bredband.net/b153948/articel17.htm-

- خلف، سميح. "الانقلاب الأمني والسياسي في الساحة الفلسطينية.. أبعاد وأهداف". 18/8/2007. (استرجعت بتاريخ: 3/9/2007).

- **www.arabrenewal.org/articles/6165**

- خليل، محمود. "التوازن العسكري في الشرق الأوسط في مرحلة بعد 11 سبتمبر 2001". السياسة الدولية. أكتوبر/2002. العدد 150. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 17/7/2006).

-**http://www.siyassa.org.eg/asiyassa/ahram/2002/10/1/TOCC0.htm**

- الخيرو، خالد. "واشنطن تصالحت مع شارون وتصالحت مع أصحاب الأرض". جريدة الزمان. العدد 1249. 2/7/2002. (استرجعت بتاريخ: 12/5/2005).

-**1249www.azzaman.com/azzaman/articles/2002/7/-01/7aa.htm**

- "دلالات فوز حماس والتحدي القادم". 7/7/2005. (استرجعت بتاريخ: 7/2/2006)
-**http://www.palestine-info.info**

- ربيع، محمد. "الجذور التاريخية للعلاقة الأمريكية – الإسرائيلية". 21/5/2006. (استرجعت بتاريخ: 30/8/2006).

- **www.kassioun.org**

- ريغان، رونالد. "حرب النجوم".(استرجعت بتاريخ: 16/5/2007).

- **http://www.aljazeera.net/NR/exeres/48C89F7B-E645-4D2A-ABE8-0E4EB49AF905.htm**

- رينولدز، جيمس. "تحليل سبتمبر والقضية الفلسطينية".11/9/2002. (استرجعت بتاريخ: 20/3/2003).

www.news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle-east-news-/newsid225100012251284.stm

- الزّعاترة، ياسر. "تداعيات 11 سبتمبر والانتفاضة الفلسطينية". (استرجعت بتاريخ: 17/5/2006).

- **http://www.aljazeera.net/NR/exeres/AC36DFA4-82CE-40BF-9170-A551CA60D C6A .htm**

- سعد، أحمد. "في الذِّكرى الرّابعة للحادي عشر من سبتمبر 2001". (استرجعت بتاريخ: 11/12/2005).

- **http://www.al-ahaly.com/articles/05-09-14/1245-pst09.htm**

- سعد الدين، نادية. "11 سبتمبر".11/9/2005. (استرجعت بتاريخ: 6/8/2006).

- **www.alghad.jo/?news=44486**

- سماحة، جوزيف. 2002.

-WWW.BINTJBEL.COM

- "السلطة الوطنية الفلسطينية... إلى أين؟".30/3/2002. (استرجعت بتاريخ:16/7/2003).

- http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BE3B1413-A64F-408C-82F3-CAA732DE0311.htm?&-

- سوروس، جورج. "نتائجها فاقت أحداث 11 سبتمبر، أيديولوجية بوش تتناقض مع مبادئ المجتمع المفتوح".8/6/2007. (استرجعت بتاريخ: 8/6/2007).

-www.arabgate.com

- السيد حبيب، محمد. " أثر 11 سبتمبر على مناخ العمل الإسلامي" جريدة الشرق الأوسط. 10/9/2004 العدد 9418. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 9/12/2004).

-http://aawsat.com/leader.asp?section=3&article=254554&issue=9418

- شارون، آرييل. "حديث صحفي بتاريخ 5\3\2002". نشر في مجلة الرقيب. العدد 31. السنة السادسة، تشرين الأول/2002. (نسخة الكترونية).

-www.phrmg.org\arabic\monitor2002\oct2002.htm

- شعبان، عبد الحسين. "تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر أحدثت شرخاً عميقاً في العلاقة بين الشرق والغرب هنتنغتون أطلق في صراع الحضارات التصادم بين الثقافات". جريدة (الزمان) الدولية - العدد 2709 - 30/5/2007. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 25/8/2007).

- http://www.azzaman.com

- شفيق، منير. "الموقف الأميركي المستجد من القضية الفلسطينية".(نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 1/8/2007).

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/htm7 -

- صالح، عبد الجواد. "انتفاضة الأقصى.. هل تصحح المسار؟". (استرجعت بتاريخ: 17/5/2006).

- http://cust-eval5.lbwa.dn.net/NR/exeres/2A6019DA-3B9D-44FC-A00C-8FB6B378B844.htm

- الطناني، معن. "حصار الرئيس عرفات والاجتياح الإسرائيلي". (استرجعت بتاريخ: 20/5/2007).

-http://www.oppc.pna.net/mag/mag5-6/new_page_1.htm

- ظاهر، بلال. "غياب شارون يخلط الأوراق في إسرائيل والمنطقة".5/1/2006. (استرجعت بتاريخ: 15/6/2006).

http://www.arabs48.com/display.x?cid=19&sid=57&id=33996-

- العلاف، إبراهيم خليل. الشرق الأوسط .. الشرق الأوسط الجديد.. والشرق الأوسط الكبير: رؤية تاريخية سياسية . السنة الثالثة، العدد 27، آذار/ 2006. (نسخة الكترونية).

-http://www.ulum.nl/12.htm

- علوش، إبراهيم. "ندوة بعنوان: الانعكاسات الدولية لأحداث 11 سبتمبر على القضية الفلسطينية". (استرجعت بتاريخ: 20/6/2007).

-www.islamweb.net

- علي، عبد الرحيم. شؤون سياسية، القضية الفلسطينية. كانون الأول/2001. (استرجعت بتاريخ: 3/10/2004).

http://www.islamonline.org/Arabic/politics/2001/12/article20c.shtml:2\1

- 0\2004

علي، عبد الرحيم. "الفصائل الفلسطينية.. استراتيجيات متباينة- المقاومة.. برنامج سياسي أم - سياسات انتقامية؟". 29/12/2003. (استرجعت بتاريخ: 10/4/2004).

-www.islamonline.com.

- غرابية، إبراهيم. "قراءة في مذكرات وزيرة_ مذكرات مادلين أولبرايت". (استرجعت بتاريخ: 30/9/2007).

-http://alghad.dot.jo/index.php?news=41621

- الغزالي، صلاح. "إعادة الإعمار بدل الاستعمار". 21/3/2003. (استرجعت بتاريخ: 12/1/2004).

- www.alwaatan.comkw/default.aspx?paye=5&topic=16011

- غلمان، فاطمة. "العنف المسلح بين المقاومة والإرهاب". (استرجعت بتاريخ: 4/10/2006).

-http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=77303

- غليون، برهان. العرب وعالم ما بعد 11 سبتمبر.21/5/2005. (استرجعت بتاريخ: 29/6/2005).

www.fikr.com/cgi-bin/_authbooks.cgi?id=44 -.

- غندور، صبحي. "راعي عمليات حرب وعدوان". 7/4/2002. (استرجعت بتاريخ: 13/8/2004).

- www.albayan.co.ae/albagan/2002/4/7/ray/4.h+m

- فؤاد، أحمد. "القضية الفلسطينية". لقاء أجراه: عبد الرحيم علـــي. 3/10/2004. (اســـترجعت بتاريخ: 26/9/2005).

-http:/www.islamonline.net /Arabic/ politics/2004/10/article02 -

- قراءة مختلفة.. بعد عام علـــى الانقلاب السِّياســـي الـــدّيمقراطي فـــي السّـــاحة الفلســـطينية. 23/12/2006. (استرجعت بتاريخ: 3/4/2007).

-http://www.almokhtsar.com/html/artical/420.php

قدوري، زبير."سبتمبر: الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول 2001". دراسة من منشورات - اتحاد الكتـــاب العـــرب دمشـــق. (نســـخة الكترونيـــة) (اســـترجعت بتاريـــخ: 17/6/2006).

-http://www.dialogueyemen.org/ar/modules.php?
name=News&file=article&sid=3963

- كلينتون، بيل . مذكّرات كلينتـــون . ترجمـــة: محمـــد توفيـــق البجيرمـــي، وليـــد شـــحادة. 28/07/2005. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 12/6/2007).

www.islamtoday.net/articles/showarticles_content.cfm?
id=177&catid=178-&artid=596

-"قوانين أمريكية لمكافحة الإرهاب". 26/10/2001. (استرجعت بتاريخ:17/3/2008).

-http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1621000/1621537.stm

- كيال، ماجد. "المسؤولية العربية عن السياسة الأمريكية الشرق أوسطية". (استرجعت بتاريـــخ: 18/1/2007).

http://almash-had.madarcenter.org/almash-had/viewarticle .asp?

-articalid=3308

- كيبل، جيل. العالم العربي بعد حرب العراق، المحاضـــرة الشـــهرية التاســـعة 5/10/2003. (استرجعت بتاريخ: 20/3/2005).

-www.greenbookresearch.com/ar/lectures/le-10-2003.doc

- لجنة كنج كرين وبرنادوت ووعد بلفور. (استرجعت بتاريخ:7/6/2006).

- http://luq.maktoobblog.com

- لطيفي، عادل. "فوز حماس في سياق المعادلة الشرق أوسطية". 27/2/2006. (اســـــترجعت بتاريخ: 22/2/2007).

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CD99BD5A-4154-45A2-A5DA-95B8C5 A8CD -BC.htm

- لكزيني، إدريس. القضية الفلسطينية والمحيط الدولي المتغير. الحوار المتمدن. العدد 1574 . 7/6/2006. (نسخة الكترونية).

-http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=66844

- اللواج، عز الدين. عالم ما بعد 11 ســـبتمبر 2001. الإشـــكاليات الفكريـــة والاســـتراتيجية. 3/10/2006. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 12/12/2006).

-http://www.akhbar-libya.com

- لوب، جيم. واشنطن تقطع جميع المساعدات عن السلطة الفلسطينية.7/4/2006. (اســـترجعت بتاريخ:28/12/2006).

-WWW.IPS

- ليان، ميشال. "الإرهاب والقوانين الدولية". 20/7/2007. (نسخة الكترونية).

- http://www.intiqad.net

- "مأزق الاحتلال الأمريكي للعراق وأثره على القضية الفلسطينية".7/11/2004. (استرجعت بتاريخ: 9/5/2005).

-http://www.palestine-info.info/arabic/analysis/2004/11_7_04_1.htm

- ماهر، أحمد. حديث عن المقاومة والإرهاب. (استرجعت بتاريخ: 14 /6/2006).

http://www.asharqalawsat.com/leader.asp?

-section=3&article=373132&issue=10090

- مجدلاني، أحمد. "حكومة وحدة وطنية أم حكومة حماس مكررة". مجلة كنعان.22/8/2006. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ:8/8/2007).

-www.kanaanonline.org/suggested.php -

- محمود مصطفى، نادية. الهجمات على أمريكا.. ومستقبل العالم .15/9/2001. (استرجعت بتاريخ: 2/7/2005).

-http://ww.islamonline.net/Arabic/politics/topicI.sht

- مخاطر التعريف بالإرهاب. (استرجعت بتاريخ: 2/5/2006).

- http://www.mondiploar.com/fev02/articles/brown.htm

- المداح، محمد. ندوة «عكاظ» في واشنطن تفتح ملف ما بعد 11 سبتمبر..الاستراتيجيون الأمريكيون:الإسلام نقيض الإرهاب.. وإدارة بوش عمقت كره شعوب المنطقة لأمريكا. صحيفة عكاظ، العدد 1912،11/9/2006 .(نسخة الكترونية).

-http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20060911/Con2006091146519.htm

- المدهون. محمد إبراهيم. ما بعد شارون. 1/7/2006. (استرجعت بتاريخ: 11/12/2006).

-**http://www.alhaqaeq.net/?rqid=2&secid=5&art=42861**

.(المركز الإعلامي الألماني. (استرجعت بتاريخ: 20/10/2007 -

- www.almania-info.diplo.de/Vertretung/gaic/ar/02/1 _Nahosten /Roadmap Seite.html

- المسلمي، عاطف. ردود الأفعال الإسرائيلية على قرار إبعاد الرئيس عرفات.(استرجعت بتاريخ: 16/1/2006).

-**http://www.oppc.pna.net/mag/mag11-12/new_page_3.htm**

- المصري، شفيق. شرعية المقاومة الوطنية بموجب القانون الدولي. (استرجعت بتاريخ: 10/4/2006).

-**http://www.moqawama.org/_isrlegal.php?filename=20050417125938**

- مفهوم الإرهاب، موسوعة الشباب السياسية. (استرجعت بتاريخ: 6/12/2006).

-http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/YOUN59.HTM

- مقترحات بخمسة معايير لإضفاء «القانونية» في مجلس الأمن على مبدأ «الحرب الاستباقية» مبادرة قد تغير مفهوم «الدفاع» كما عرف خلال العقود الستة الماضية، الشرق الأوسط، العدد 9501. 12/2/ 2004. (استرجعت بتاريخ: 5/6/2006).

-**http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=4**

- مكي ، يوسف ، المستقبل العربي والحفاظ على الذّاكرة.

- //:**www.arabrenewal.com/index.php?rd=AI&A10=611922:43 http**

- منظمة آمنيستي. 14/3/2002. (استرجعت بتاريخ: 5/6/2005).

-onenfof=ARA-393 www.ara.amnesty.org/Index/ARIOR410022002 ?

- منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" التقرير السنوي لعام 2003 الشرق الأوسط وشـــمال أفريقيـــا يتناول الفترة من نوفمبر 2001 إلى نوفمبر 2002. (استرجعت بتاريخ: 13/6/2006).

-http://hrw.org/arabic/mena/wr2003/isr-pal3.htm

- الموسوعة الحرة "ويكيبيديا". (استرجعت بتاريخ:18/3/2008).

-http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B1%D8%A8_1956

- الموقع الالكتروني للمترجمين العرب. 13/7/2006.(استرجعت بتاريخ: 20/8/2007).

http://www.wataonline.net/site/modules/newbb/viewtopic.php?topic_id=51

- ميرشايمر، جون، والت ستيفن. اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجيـــة الأميركيـــة. أبحـــاث استراتيجية أميركية. (نسخة الكترونية) (استرجعت بتاريخ: 19/4/2006).

-http://www.asharqalarabi.org.uk/index.htm

- نص خريطة الطريق. (استرجعت بتاريخ: 30/10/2007).

- http://www.pal-news.net/arabic/news.php?maa=View&id=127

- ندوة للمؤتمر الشعبي حول الذكرى الثالثة للعدوان على العـــراق"، 8/4/2006. (اســـترجعت بتاريخ: 3/12/2006).

-www.iraq-amsi.org

- النملة، صالح. الولايات المتحدة الأمريكية.. من دولة المبادئ إلى الإمبراطورية.21/7/2004. (استرجعت بتاريخ: 12/3/2005).

- http://www.alriyadh.com

- نوفل، محمود. عملية السلام قبل وبعد قمة كامب ديفيد الفلسطينية.5/8/2000.(استرجعت بتاريخ: 21/6/2007).

- **www.mnofal.ps**

- نيكسون، ريتشارد. حول كتاب الرئيس الأسبق نيكسون 1999 نصر بلا حرب ترجمة: محمد عبد الحليم أبو غزالة.27/9/2005. (استرجعت بتاريخ: 10/5/2007).

-http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php

- "هارولد بنتر ونعوم تشومسكي وجون بلجر". ندوة: رد بيبر. ديسمبر/2005. (استرجعت بتاريخ:6/8/2006).

-http://www.kefaya.org/05znet/051210chomsky.htm

- هويدي، فهمي. مبادرة بوش.. هزل في موضع الجد. 25/ تموز/2007. العدد 10466. (نسخة الكترونية). (استرجعت بتاريخ: 1/10/2007).

http://www.asharqalawsat.com/leader.asp?

-section=3&issue=10466&article=429624

- وثيقة مفهوم الإرهاب والمقاومة رؤية عربية – إسلامية. تموز/ 2003. (استرجعت بتاريخ: 11/9/2007).

-http://www.mesc.com.jo/mesc-11-01.html

- وثيقة تينيت.. السلطة تدرسها والفلسطينيون يرفضونها. 10/6/2001. (استرجعت بتاريخ: 1/6/2007).

-http://www.islamonline.net/arabic/news/2001-06/10/article7.shtml

- الولايات المتحدة وبناء تحالف دولي ضد الإرهاب. التقرير الاستراتيجي العربي. ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية. (استرجعت بتاريخ: 20/5/2007).

-**http://www.ahram.org.eg/acpss/ahram/2001/1/1/R1RB13.HTM**

- وليد، خالد . الأمن الإسرائيلي في استراتيجيته الجديدة .(استرجعت بتاريخ: 27/4/2006).

-**http://www.palestinesons.com/sub.php?id=1359**

- ويس، خالد محمد. تاريخ الصراع الدولي حول البترول في الشرق الأوسط. (استرجعت بتاريخ: 31/5/2006).

- **http://www.taakhinews.org**

- ياسين، عبد القادر. الانتفاضة إلى أين. 10 /10/2001 . (استرجعت بتاريخ: 2/10/2006).

- **www.islamonline.com**.

BIRZEIT UNIVERSITY
Birzeit.Palestine

كلية الآداب

الدِّراسات العليا

برنامج الدراسات العربية المعاصرة/تركيز شؤون سياسيّة عربيّة

أثر أحداث 11 سبتمبر على الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية

The Impact of 11th September Events on U.S.A Position Toward the Palestinian Question

رسالة ماجستير مُقدَّمة من الطّالبة

روز يعقوب هيلانة

إشراف الدكتور: صالح عبد الجواد

أيار/2008

أثر أحداث 11 سبتمبر على الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية

The Impact of 11th September Events on U.S.A Position Toward the Palestinian Question

إعداد الطّالبة

روز يعقوب هيلانة

تاريخ المناقشة:14/5/2008

اللجنة المشرفة:

د.صالح عبد الجواد (رئيساً)

_____

د. سميح شبيب (عضواً) _____ **د. عبد الكريم البرغوثي (عضواً)** _____

"قُدِّمت هذه الرِّسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدِّراسات العربية المعاصرة/ تركيز شؤون سياسية عربية من كلية الآداب/ الدِّراسات العليا" في جامعة بيرزيت، فلسطين.